

شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث

لشيخ الإسلام

أبى عثمان إسماعيل عبد الرحمن الصابوني

شرح

فضيلة الشيخ

ربيع بن هادى عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية سابقاً

دار السلفية

كانو - نيجيريا

مكتبة الهدي المحمدي

لصاحبها أحمد بن سالم

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

شـــرح

عقيدة السلف أصحاب الحديث

شـــــرح

عقيدة السلف أصحاب الحديث

لشيخ الإسلام

أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني

رحمه الله تعالىٰ

شـرح

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

مكتبة

الهدي المحمدي

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٨/١٩٠٣٥






بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الصادق الوعد الأمين أما بعد:

فهذا شرح مبارك نافع - إن شاء الله تعالى - لكتاب:

«**عقيدة السلف أصحاب الحديث**» للإمام أبي عثمان الصابوني -رحمه الله تعالى- قام بشرحه والتعليق عليه: فضيلة شيخنا العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله تعالى وجزاه عنا وعن سائر المسلمين خير الجزاء.

وقد ابتدأ فضيلته شَرحَه هذا المبارك يوم الجمعة بعد صلاة العصر في شهر شعبان ١٤٢٦هـ وفرغ منه في: ٨/٨/١٤٢٧هـ.

أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجزيَ شيخنا خير الجزاء وأوفاه وأن يرفع درجته في علّيين ويحشره في زمرة السابقين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

المعتني:

١٤٢٨/١/٢١

مقدمة المصنف، وسبب تصنيف الكتاب

قال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه النافع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»:

«الحمد للَّه ربِّ العالمين والعاقبة للمتقين وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وأصحابه الكرام أما بعد: فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجِّهًا إلى بيت اللَّه الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولًا في أصول الدين؛ التي استمسك بها الذين مَضَوْا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهَدَوْا ودَعَوْا الناس إليها في كل حين، ونَهَوْا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالَوْا في اتِّباعها وعادَوْا فيها، وبدّعوا وكفَّروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دَعَوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدّموه من ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها وحملهم إياهم عليها، فاستخرت اللَّه تعالى وأثبتّ في هذا الجزء ما تيسّر منها على الاختصار؛ رجاء أن ينتفع به أولو الألباب والأبصار، واللَّه يحقق الظن ويجزل علينا المنَّ بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله».

الشرح:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، إن الحمد للَّه نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإنّ عناية علماء الإسلام بالعقيدة الإسلامية مازالت على مرّ العصور هي شغلهم الشاغل -رضوان اللَّه عليهم-؛ لما يعلمون من مكانة العقيدة وأهميتها وقيام الإسلام أصوله وفروعه عليها، فترى مؤلفاتهم تتتابع تترى؛ يتبع بعضها بعضًا في كل عصر من العصور، وقد يجد العالم في بلد من البلدان حاجة هذا البلد إلى تنظيف العقيدة؛ لأنَّه قد يُسلَّط عليهم الجهل، وقد يكثر أهل الفتن وأهل البدع فيدفعون بالشبهات إلى الناس؛ فيرى العالم الحاجة إلى درء هذه الشبه وتوضيح معتقد السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أئمّة الحديث -رضوان اللَّه عليهم-، فيقوم بهذا الواجب ويسدّ هذا الفراغ، وهذا الإمام الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ كأنه شعر بحاجة هذه البلاد إلى بيان عقيدة السلف أصحاب الحديث.

وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وهم مرجع الناس في العقيدة وفي أبواب العلم كلها؛ فالفقهاء والمفسِّرون والمؤرِّخون وسائر طوائف الأمة محتاجة أشدّ الحاجة إلى ما عند أهل الحديث من عقيدة، وبيان الأحاديث والتفريق بين صحيحها وضعيفها، ومعرفة الرجال صادقهم من كاذبهم، وضعيفهم من قويهم؛ إذ لا يجدون هذا إلا عند أهل الحديث وهم عالة عليهم -رضوان اللَّه عليهم-، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أنّ الحقّ معهم وأنّهم هم أهل النجاة بقوله: **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم ظاهرون على الناس»**[1].

وأئمة الإسلام المعتبرون من أمثال: ابن المبارك وأحمد بن حنبل وابن معين وعلي بن المديني والبخاري والترمذي وابن تيمية ومن قبله ومن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١)، والبخاري [رقم (٣٦٤١) كتاب المناقب]، ومسلم [رقم (١٠٣٧) كتاب الإمارة] واللفظ له، من حديث معاوية رضي الله عنه.

بعده؛ حتى من علماء من أهل التصوف ومن المتكلمين ومن الأحناف ومن غيرهم يشهدون لهذه الطائفة أنّها هي الطائفة الناجية؛ لأنها نهضت بأعباء الإسلام عقيدة ومنهجًا وعبادة وأخلاقًا وبيانًا وتدوينًا لعلوم رسول اللَّه ﷺ، بل هم عالة عليهم في التفسير؛ فتجدهم أئمة في التفسير، تجد عبد الرزاق من أئمة الحديث فسّر القرآن، وابن أبي حاتم من أئمة الحديث فسّر القرآن، وابن جرير الطبري من أئمة الحديث فسّر القرآن الكريم، والإمام البغوي من أئمة الحديث وقام بتفسير القرآن؛ التفسير المعتَمَد- تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة- لا تجده إلاّ عند هؤلاء ولا تجده عند سائر الطوائف الأخرى، والمعتزلة وغيرهم فسّروا القرآن، لكن ملئوا تفاسيرهم بالتأويلات والتحريفات الباطلة، والأحاديث الموضوعة والضعيفة والمهلهلة؛ لأنهم لا يعرفون الحديث، ونافسوا أهل الحديث فأضرّوا بالناس أكثر مما نفعوهم!

فالعمدة في أبواب العقائد، وفي صحة الأحاديث وضعفها، وفي تمييز الحديث صحيحه من ضعيفه وبيان الرجال، كلّ هذا عند أهل الحديث؛ فحُقَّ لمن يشهد لهم أن يشهد أنهم أهل الحقّ وأنهم الطائفة المنصورة التي نصّ عليها رسول اللَّه ﷺ. ومن سار على نهجهم وتشبث بأذيالهم يكون إن شاء اللَّه تابعًا لهم ومنهم، يدخل في إطار هذه الطائفة القائمة على الحقّ والناجية إن شاء اللَّه يوم القيامة.

فهذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ شعر بحاجة الناس إلى بيان عقيدة السلف أصحاب الحديث. كان المتكلّمون والفقهاء وغيرهم موجودين؛ فنسب هذه العقيدة لأهل الحديث ولم ينسبها لأولئك لماذا؟ لأنّ أهل الحديث على الحقّ، وأولئك دخلوا في الكلام، ودخلوا في الفلسفات، ودخلوا في أشياء- نسأل اللَّه العافية- وظهروا؛ هذا جهمي، وهذا معتزلي، وهذا خارجي، وهذا رافضي. . . إلخ، وبعد ذلك هذا أشعري وهذا صوفي!! فهو رَحِمَهُ اللَّهُ أدرك هذه الأشياء كلها؛ نجمت

هذه البدع كلها وأدركها فنصّ على عقيدة السلف أصحاب الحديث.

بيّن أنه لما وصل إلى البلد الفلاني «آمد طبرستان وبلاد جيلان»؛ لأنه من المشرق، وكان أئمة الحديث الكبار في المشرق؛ الإمام أحمد كان أبوه في المشرق وانتقل إلى بغداد وهو صغير أو وُلِد في بغداد، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة؛ فحول وكبار أئمة الحديث كانوا في المشرق، ويعترف أهل الجزيرة «الحجاز» وأهل مصر وأهل المغرب وغيرهم من الأمصار يعترفون بتقدّم هؤلاء وتفوّقهم في خدمة سنّة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- والعناية بها والتفقه فيها؛ فتجد لهم مؤلفات عظيمة جدًّا في السنن وفي العقائد وفي غيرها -رضوان اللَّه عليهم-.

هنا مسألة ينبغي الوقوف عندها، وهي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «زيارة قبر النبي -عليه الصلاة والسلام-»!! يعني: من مقاصده من السفر إلى الحجاز زيارة قبر النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ فإنّ هذه قد يستغلّها أهل الضلال، فنحن نقول:

أولًا: هو بشرٌ قد يخطئ وليس بمعصوم.

وثانيًا: المعروف عند أهل السنّة وغيرهم: أنه من المشروع شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة؛ لقوله ﷺ: **«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرسول ﷺ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»**(١)، وبيّن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- فضل الصلوات في هذه المساجد فقال: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**(٢). وفي رواية: **«صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٢٣٤)، والبخاري [رقم (١١٨٩) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.]، ومسلم [رقم (١٣٩٧) كتاب الحج]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (١١٩٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة]، ومسلم [برقم (١٣٩٤) كتاب الحج].

المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[(١)]. وقال ﷺ في فضل الصلاة في بيت المقدس جوابًا لمن سأله عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو مسجده: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى»[(٢)]. وهناك روايات أخرى ولكن هذه أرجحها، فهل يتصوّر مسلم في عالم من أئمة الحديث ومن أئمة العقيدة ألّا يخطر بباله هذا المسجد؟! أبدًا. وقد ذكر ابن تيمية أنه قد يقول بعض العلماء: نزور قبر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- لكن قصدهم المسجد؛ لأنه إذا جاء هذا المسجد زار قبر الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

أما المتأخِّرون من الصوفية الخرافيين والروافض: فقصدهم الأساسي زيارة القبر- وإن كان بين القبر والمسجد تلازم- لكن القصد الأساسي عندهم زيارة القبر! والرسول -عليه الصلاة والسلام- لم يشرع شدّ الرحال إلى القبور تقربًا إلى الله تعالى، لا إلى قبره ولا إلى قبر غيره -عليه الصلاة والسلام-، وإنّما أمر بشدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة وشدّ الرحال إلى الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله.

وزيارة القبور إنّما هي لتُذكّرَنا الآخرة ولِنَدْعوَ لصاحب القبر، فأيّ قبر عندك أو أيّ مقبرة تزورها حصل الغرض. لهذا لم يندب رسول الله ﷺ أمّته إلى شدّ الرحال إلى المقابر، ولو كان هذا مشروعًا؛ لأمر بشدّ الرحال إلى قبر أبيه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وقبور إخوانه من النبيين، بل قال رسول الله -

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧، ٣٤٣) وابن ماجه برقم (١٤٠٦) من حديث جابر ﷺ. قال الحافظ في الفتح (٣/ ٨١): ورجال إسناده ثقات. ونقل في الإرواء (٤/ ١٤٦) تصحيحه عن البوصيري والمنذري، وقال: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٤٨) والحاكم (٤/ ٥٠٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٦/ ٤١٤٥) والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٢٠/ ٨٣٩٥-بترقيم الألباني)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٧): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح؛ وانظر الصحيحة (٦/ ٩٤٦).

عليه الصلاة والسلام- كما في حديث عائشة وعبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهم : **«لعنة اللَّه على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. قالت عائشة رضي الله عنها : «يحذِّر ما صنعوا»[1]. هي التي روت هذا الحديث وشاركها ابن عباس؛ يحذِّر ما صنع اليهود، كيف؟ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فالذي يشدّ الرحال من أجل قبر النبي أو غيره ويطرد من ذهنه المسجد تشبّهَ باليهود والرسول ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوًا قبري عيدًا وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[2].

فأهل الضلال تعلّقوا بالقبور وشرعوا لها شدّ الرحال وبناء المساجد والمشاهد وغيرها؛ فضلّوا وأضلّوا كثيرًا وضلّوا عن سواء السبيل -والعياذ باللَّه-، وشابهوا اليهود والنصارى، بل كثير من الخرافيين أشدّ تعلّقًا بالقبور الآن من اليهود والنصارى! مع الأسف الشديد، فقد- واللَّه- شوّهوا الإسلام وجَنوْا على الإسلام، وليس عندهم شيء من القرآن ولا من السنّة يعتمدون عليه فيما يقولون، وإنّما يعتمدون على الأحاديث الموضوعة والخرافات والأساطير والمنامات؛ التي وضعها لهم أئمة الضلال فأنهكوا الأمة وحوّلوها إلى غثاء وأبعدوها عن منهج اللَّه الحقّ.

وواللَّه لن يزول هذا البلاء النازل بالمسلمين- وهم الآن بالملايين بل بلغوا المليار -! لن يزول عنهم هذا البلاء- تسليط الأعداء عليهم والذلّ المُنصَبّ على رءوسهم -؛ حتى يرجعوا إلى الكتاب والسنّة في عقائدهم ومناهجهم، ويفقهوا هذا الدين ويعملوا به كما فقهه السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون الذين تلقوا الإسلام من رسول اللَّه غضًّا طريًّا، فلم يكونوا يتعلّقون بالقبور ولا بالأولياء

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٤٣٥)، كتاب الصلاة] ومسلم [رقم (٥٣١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة].

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود [(٦/ ٢٨٢)، برقم (١٧٨٠)]، وقال: قال الحافظ في الفتح (٦/ ٣٧٩): سنده صحيح. وقال ابن القيم في إغاثة اللّهفان (١/ ١٩١): إسناده حسن؛ رواته كلهم ثقات مشاهير.

ولا بقبور الأنبياء ولا بغيرها ولا بقبر النبي -عليه الصلاة والسلام-، فكان أحدهم يأتي من خارج المدينة فيصلي في مسجد رسول الله ﷺ، ويصلي ويسلم عليه وهو داخل، ويصلي عليه وهو في التشهد إلى آخره، وفي بيته وفي طريقه، ولكنه ليس متعلقًا بالقبر ولا سيّما أيام كانت عائشة موجودة في الحجرة التي فيها القبر؛ فلم يكن أحد يدخل على زوجة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولم يذكر عن أحد من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- أنهم كانوا إذا قدِموا من سفر يأتون قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا ابن عمر فقط؛ فإنه كان إذا قدِم من سفره يأتي قبر النبي -عليه الصلاة والسلام- فيسلم على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعلى أبيه عمر رضي الله عنه ويمشي، وأما بقية الصحابة فلم يكونوا يأتونه والنص الصحيح على ذلك في «مصنّف عبد الرزاق»، فقد روى عن معمر عن أيّوب عن نافع قال: «كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر! السلام عليك يا أبتاه!» وأخبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال: «ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر!»[1] كانوا متعلِّقين بالقرآن وبالسنّة وبسيرة هذا الرسول وبالجهاد لإعلاء كلمة الله، لم يتعلّقوا بقبر الرسول ولا بقبر أبي بكر ولا بقبر عمر ولا بقبور غيرهم من شهداء الصحابة الذين قتلوا في ساحات القتال. من يعرف قبور الصحابة الآن؟ لو كان هناك عناية بالقبور لشيّد عمر وعثمان وعليّ قبور أصحابهم، لكن العناية بالقبور ليست من الإسلام، إنما العناية بالعقائد والمبادئ وما خلّدوه من الأعمال والفتوحات، هذه التي تُدرَس ونأخذ منها السيرة ونسير على نهجهم -رضوان الله عليهم-.

الشاهد: إمّا أنّ هذا زلّة لسان من المؤلِّف وقصده غير هذا ولا ينبغي؛ لأنّ هذا الرجل ليس بمعصوم وكلّ يؤخذ من قوله ويردّ، ولكن لحسن ظنِّنا به ومعرفتنا

(١) مصنف عبد الرزاق [(٣/ ٥٧٦)، برقم (٦٧٢٤)].

بمنهجه وعقيدته -رضوان اللَّه عليه وعلى إخوانه- نعتقد أنه لا يمكن ألَّا يخطر بباله مسجد رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، بل مسجد الرسول -عليه الصلاة والسلام- في ذهنه قبل قبره.

والذي يزور مسجد الرسول -عليه الصلاة والسلام- يأتي قبره ﷺ؛ ويسلم عليه وعلى صاحبيه، ويزور قبور أهل البقيع، ويزور مسجد قُباء، ويزور شهداء أحد؛ كما كان رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- يفعل، هذا لا يصدق عليه أنه شدّ الرحال. أما أن يشدّ الرحال إلى مسجد قُباء أو إلى شهداء أُحد أو إلى قبر عبد القادر الجيلاني أو غيره؛ فهذا ليس من دين اللَّه في شيء، وليس فيه نص لا من كتاب اللَّه، ولا من سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، ولا من عمل صحابي واحد من الصحابة الكرام -رضوان اللَّه عليهم-. هذه وقفة عند هذا الكلام من هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولًا في أصول الدين»: كثيرًا ما يسأل بعض الناس أئمة الإسلام أن يبيّنوا لهم أصول دينهم، فهذا ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ سأله أهل واسط فألّف لهم الواسطية، وجاءه سؤال من حماة فألّف لهم العقيدة الحموية، وهكذا يشعر الناس بالحاجة لبيان عقيدة السلف؛ لأنّه انتشرت العقيدة الأشعرية والعقائد الصوفية وانتشرت فتن؛ فيوفِّق اللَّه بعض الناس أن يتلمّسوا بيان العقيدة من الأكفاء فيسألون الأئمة الذين هم أكفاء لبيان هذه العقيدة فيقومون بهذا الواجب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن أجمع لهم فصولًا في أصول الدين» يعني: في العقيدة «التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين»: انظروا هذا الربط! ما قالوا: نريد رأيك، وإنما قالوا: بيِّن لنا العقيدة التي مضى عليها سلفنا، وهو سينقل النصوص التي كان يحتجّ بها السلف وأقوالهم في بيان هذه النصوص من القرآن والسنة ومواقفهم ممن خالف هذه النصوص؛ يبيّن لهم هذا. فالسؤال مضبوط: «أن أجمع

لهم فصولًا في أصول الدين؛ التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين»؛ هكذا السؤال.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهدَوْا ودعَوْا الناس إليها في كل حين ونهَوْا عما يضادها» هذه أعمال السلف؛ بيّنوا العقيدة الصحيحة المستمَدّة من الكتاب والسنة. يعني أئمة الدين وعلماء المسلمين بيّنوا هذا. «ودعَوْا الناس إليها» لا يبيّنها ويذهب ينام! بل يقوم بدعوة ونشاط وتبصير الناس ودعوتهم إلى ما كان عليه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه. «ونهَوْا عما يضادها وينافيها» يبيِّنون للناس الحق الذي كان عليه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه ودلّ عليه الكتاب والسنة، يدعونهم إلى هذا ويبيِّنونه لهم ويحذِّرونهم وينهَوْنهم عما يُضادّها من العقائد الضالة؛ عقائد الجهمية والمعتزلة والمرجئة والخوارج والروافض وما شاكل ذلك؛ لأن اللَّه -تبارك وتعالى- أخذ على أهل العلم أن يبيِّنوا للناس الحقّ الذي جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ولعن الذين يكتمون هذا الحقّ أو يَلْبِسون الحقّ بالباطل.

فرضي اللَّه عن علماء هذه الأمة أئمة الحديث والتفسير والفقه! إذ بيّنوا للناس العقائد والأحكام والأخلاق وغيرها وما كتموا شيئًا. ولكن رءوس الضلال؛ إذا وقع المبتدع في الضلال يدفعه ضلاله إلى أن يبرز الباطل وأن يكتم الحقّ، قال اللَّه تعالى في هذا الصنف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال ﷺ: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا. ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[1]، فهم ورثتهم في العلم وفي تبليغ هذا العلم ونشره وربط الناس به كلّ على قدر طاقته، - ولله الحمد-

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ٣٣/ ٦٨).

أنه في كل زمان ومكان يقوم علماء السنة بما أوجب اللَّه عليهم من بيان دين اللَّه الحقّ والردّ على من يخالف هذا الحقّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووالَوْا في اتِّباعها وعادَوْا فيها وبدّعوا وكفّروا من اعتقد غيرها».

كفّروا -رضوان اللَّه عليهم- من عطّل صفات اللَّه -تبارك وتعالى- وأنكر رؤية اللَّه وقال بخلق القرآن؛ لأن ردّ هذه الصفات بتأويلها وتعطيلها يُعتبر في الجملة تكذيبًا للَّه عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله -عليه الصلاة والسلام-، خاصّة إذا عاند الإنسان؛ بأن جاءته النصوص فعارضها وعاندها؛ فهذا يحكمون بكفره الكفر المخرج من الملّة.

والسلف كانوا يكفِّرون الجهمية؛ لأنهم يعطِّلون الصفات، ويقولون بخلق القرآن، ولكن كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام أحمد إمام أهل السنّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه كان يكفِّر الجهمية على وجه العموم، أما التعيين فلا يكفِّر بالتعيين فلانًا وفلانًا إلا من قامت عليه الحجّة وتوفّرت فيه شروط التكفير وانتفت الموانع فيكفِّره، قال ما معناه: كان أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكفِّر الجهمية على وجه العموم ويكفِّر بعض أعيانهم ويستغفر لغيرهم، يعني: لمن ليس عندهم فقه وإنّما هم مقلِّدون؛ كبعض الخلفاء الذين وقعوا في تقليد وأسر الجهمية والمعتزلة وأمثالهم ممن لم تتوفر فيهم شروط التكفير فلا يكفِّرهم بل يستغفر لهم، فليس التكفير هذا على إطلاقه وإنّما هو مقيّد[1].

وللبغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح السنّة»[2] ما يشبه هذا الكلام، لكن هذا -واللَّه أعلم- فيما أذكر أنه نسبه إلى الأئمة؛ أحمد والشافعي وأمثالهما أنهم يريدون كفرًا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) انظر: شرح السنة (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

دون كفر ؛ إذا كفّروا أهل البدع يريدون كفرًا دون كفر ، هكذا قال هذا الإمام البغوي أو نحو هذا الكلام. وأما الذين عاصرهم شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة وغيرهم فما كان يكفِّر إلا من قامت عليه الحجّة ؛ قال[1] : «لكن لغلبة الجهل وقلّة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخِّرين لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه». يعني أن المعتزلة أكثروا من الشبهات والأشاعرة أكثروا من الشبهات في باب الصفات وفي غيره فيُقال : إنّ هذا الاعتقاد كفر ؛ إنكار علوّ اللَّه كفر ، وإنكار رؤية اللَّه كفر ، والقول بأن القرآن مخلوق كفر ؛ لأن القرآن كلام اللَّه بنصّ القرآن والسنّة ، والقرآن يرجع إلى علم اللَّه وعلم اللَّه غير مخلوق ، ولهذا كانوا يحاجونهم بالعلم فإن أقرّوا به خُصِموا وإن أنكروه كفروا ، فقال : كثُرت عليهم الشبهات فلا يكفَّر المعيّن إلا بعد إقامة الحجة عليه ، قال : نقول : إنّ عملهم كفر ؛ دعاء غير اللَّه شرك ، والذبح لغير اللَّه شرك. نقول : هذا عمله شرك ؛ شرك أكبر ، لكن لا نكفِّر صاحبه حتى تقام عليه الحجة.

وأنا وجدت كلام كبار أئمة الدعوة في نجد أنهم يشترطون قيام الحجة والحمد للَّه ، ونقلت عنهم نصوصًا كثيرة في كتابي «دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة ابن عبد الوهاب».

وهنا شبهة ينبغي الإجابة عنها ، يقول بعض الناس : لا يشترط فهم الحجة وإنما يشترط البلاغ فقط. يعني : يصل القرآن إلى الشخص أو النص من الحديث فبمجرد سماعه للنص تقوم عليه الحجة.

أقول : ليس الأمر كذلك ؛ لأن اللَّه -تبارك وتعالى- يقول : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الرسول يبلِّغ الحجة ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] يعني : جاءتكم النذر

(١) انظر : الاستغاثة في الرد على البكري (ص٤١١) طبعة دار المنهاج.

بالحجج الواضحة فكذّبتم!! ويقول تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾. فلا تقوم الحجة عليه إلا من بعد ما يتبيّن له الهدى فيعاند، فهذا يكفر، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾لم يقل: «البلاغ فقط»، بل قال: ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الذي يتضمن البيان للناس لتقوم عليهم حجة اللّه -تبارك وتعالى-.

وذكرت لكم أني وجدت أن أئمة الدعوة في نجد يشترطون قيام الحجة والحمد للّه، ونقلت عنهم نصوصًا كثيرة في كتابي «دحر الافتراءات..».

أقول هذا؛ لأن بعض الناس يسمع كلمة: «كفر» في هذا الكتاب فيذهب يكفِّر الناس! فالتكفير أمر صعب، تكفير إنسان يقول: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، ويؤمن بالجنة والنار والقرآن والسنة. .إلخ، ويرى نفسه مسلمًا، وهناك شبهات كثيرة من علماء السوء دون إقامة الحجة عليه أمر صعب.

أعتقد أنّ كثيرًا من علماء السوء معاندون، لكن لا نستطيع أن نعيّن؛ يعرفون أن الحقّ مع أهل الدعوة السلفية!! يعرفون أنّ الحق معهم، وقد اعترف عدد من كبار الصوفية بأنّ الحقّ مع السلفيين، وذكر الشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اثنين من كبار الصوفية الأشعرية أنهم يعتقدون أن السلفيين هم أهل السنة، يقولون عن السلفيين: هم على الحقّ ونحن على الباطل! ولما قيل لهم: فلماذا لا تأخذون بهذا المنهج؟! قالوا: وكيف نترك الناس؟! يعني: وراءهم أناس يقبِّلون أيديَهم وأرجلَهم ويقدِّمون لهم الأموال الطائلة؛ فكيف يتركونهم؟!! يعني: هم مثل اليهود: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

فالذي أعتقده أنّ كثيرًا منهم في البلدان الإسلامية يعرفون أن الحقّ مع أهل السنة والحديث والسلفيين، ولكن من أجل المصالح والمآرب والمناصب والأغراض الدنيوية يعاندون ويستكبرون مع الأسف، وكثير من الناس من أهل

الأهواء يعرف الحق ولكن يحاربه لأغراض وأسباب دنيوية!!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووالَوْا في اتِّباعها وعادَوْا فيها وبدّعوا وكفَّروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعَوْهم إليها بركتها».

هذا مدح لهؤلاء السلف -رضوان اللّه عليهم-؛ بأنهم أحرزوا بركة هذه العقيدة واليمن؛ لأن فيها الخير، والبركة هي الزيادة والنمو في الأمر النافع، ولا شك أن لهذه العقيدة ثمارًا عظيمة؛ لأنّ الاعتقاد الصحيح يوصلك إلى الحقّ، ويوصلك إلى الجنة- إن شاء اللَّه -، إذا أخلصت للّه في هذا الاعتقاد وفي أعمالك الصالحة؛ فهذا- لا شك- أنّ من بركاته وآثاره الطيِّبة أنك تسعد وتحظى برضا اللّه في الدنيا والآخرة وبجنة عرضها السموات والأرض.

«وأفضوا إلى ما قدّموه من ثواب اعتقادهم لها» -إن شاء اللَّه-، يعني: الشخص المعيّن لا تجزم له بجنة ولا نار، وإنّما ترجو للصالح الجنّة وتخاف عليه من العذاب، وتخاف على الطالح من النار وترجو له الرحمة، أما القطع والجزم فلا نقطع ولا نجزم لأحد معيّن إلا من شهد له رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ كالعشرة المبشّرين بالجنة، وثابت بن قيس بن شماس، والجارية التي كانت تصرع، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وأمثال هؤلاء. قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[1].

فهؤلاء نشهد لهم بالجنة ومن عداهم من العلماء والفضلاء والصالحين نرجو لهم الجنة رجاء قويًا ولا نقطع بذلك، ومع ذلك نخاف عليهم أو على بعضهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأفضوا إلى ما قدّموه من ثواب اعتقادهم لها واستمساكهم بها

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، من حديث جابر رضي الله عنه. وهو عند أحمد (٣/ ٣٥٠)، ومسلم [رقم (٢٤٩٦)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم] من حديث أم مبشر رضي الله عنها أخبرته جابرًا رضي الله عنه وبسياق أطول.

وإرشاد العباد إليها» يعني: من استمسك بها نال ثوابًا عظيمًا، وكذلك من قام بالدعوة إليها قال ﷺ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(١)، وقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء»(٢)، فإذا علّم الناس العقيدة ودعا إليها، واستفاد الناس منه وعرفوا هذا الحقّ عن طريقه؛ فهذا يكون- إن شاء الله- قد سنّ للناس سنّة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

العلماء لهم منزلة عند الله -تبارك وتعالى-، وأثنى الله عليهم في كتابه، وبيّن أنهم هم أهل خشيته وأن الله يرفعهم درجات؛ لأنهم السبب في هداية الناس إلى ما شرعه الله -تبارك وتعالى- لهم من الدين: من العقائد وغيرها، وربطهم بدين الله ﷻ الذي يؤدّي بهم إلى مرضاة الله ﷻ عليهم وإلى رحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاستخرت الله وأثبتّ في هذا الجزء ما تيسّر منها على الاختصار» استخار الله ﷻ في هذه الاستجابة للسائلين؛ لأنه -والله أعلم- يرى نفسه قد يغلط أو كذا فيستخير الله ﷻ لهذا، وإلا فهذا هذا العمل الخيري لا يحتاج إلى استخارة ولكن يمكن أن يكون عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيء دفعه للاستخارة!

فإنّ الاستخارة إنما تكون في الأمور الجائزة والملتبسة عليك؛ كأمور التجارة والزواج ونحو ذلك. أما أن تقول: أستخير الله لأصلي أو لا أصلي، أو أحج أو لا أحج، أو أتصدق على هذا المسكين أو لا أتصدق؛ فهذه -بارك الله فيكم- لا تحتاج إلى استخارة.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري [رقم (٢٩٤٢) كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ]، ومسلم [رقم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة ﷺ] واللفظ له، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٢) قطعة من حديث جرير بن عبد الله ﷺ، أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٧) ومسلم [رقم (١٠١٧)، كتاب العلم].

«رجاء أن ينتفع به أولوا الألباب والأبصار» يعني: من أهل هذا البلد ومن غيرها، وليس يريد بالنفع إجابة السائل وقصر الانتفاع عليه فقط، لا؛ بل يريد أن يعمّ الانتفاع بما كتب في هذا الكتاب كل الناس إلى يوم القيامة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللَّه يحقِّق الظنّ ويُجزل علينا المنّ بالتوفيق والصواب والصِّدق والهداية والاستقامة على سبيل الرشد والحقّ بمنه وفضله».

فهو يظنّ أن الناس سيستفيدون من كتابه ويهدي اللَّه بكتابه خلقًا؛ فيتمنى أن يحقِّق اللَّه ظنّه ويمنّ عليه وعلى الناس بالتوفيق للصواب والهداية، وأن يوفِّقه هو لأن يقول الحقّ والصواب، وأن يمنّ عليه بالصدق في قوله وما يكون فيه سببًا في هداية الناس واستقامته واستقامة غيره على سبيل الرشد والحق بمنّ اللَّه وفضله.

ودعاء اللَّه مشروع؛ دعاء اللَّه بالتوفيق لنفسك ولغيرك من المسلمين فتدعو اللَّه لهم بالتوفيق، تدعو اللَّه لهم بالهداية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

نكتفي بهذا القدر في شرح هذه المقدمة التي تستدعي التوضيح لا سيّما كلمة «زيارة قبر نَبِيِّه»؛ فإنّ هذه قد تشوِّش على بعض الناس فاحتجنا إلى إطالة الكلام حولها، والحمد للَّه على توفيقه.

* * *

معتقد أصحاب الحديث في صفات اللَّه

«قلت -وباللَّه التوفيق-: إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة - حفظ اللَّه أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون للَّه تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ﷻ منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يحرِّفون الكلام عن مواضعه؛ بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريفَ المعتزلة والجهمية- أهلكهم اللَّه -، ولا يكيِّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيهَ المشبِّهة- خذلهم اللَّه -».

الشرح:

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «قلت -وباللَّه التوفيق-: إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة- حفظ اللَّه أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون للَّه تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ﷻ منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ».

يبيِّن لنا المؤلِّف رحمه الله مذهب أهل الحديث الذين وصفهم بأنهم المتمسكون بالكتاب والسنة، فليس كل من انتمى إلى الحديث يكون على عقيدتهم وإنّما هو

يذكر نوعًا خاصًا؛ متمسكون بكتاب اللَّه وبسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في عقائدهم ومناهجهم وعباداتهم وتلقِّيهم واستدلالهم -رضوان اللَّه عليهم-؛ هؤلاء هم أهل الحديث وهم الطائفة المنصورة الذين اعترف لهم علماء الأمّة بأنهم هم الطائفة المنصورة.

يبيِّن لنا مذهب هؤلاء، وهو يحبهم ويجلهم ويحترمهم فقال: «حفظ اللَّه أحياءهم»؛ لأنه كان في عصره علماء الحديث المتمسِّكون بالكتاب والسنة كثيرون. «ورحم أمواتهم»: أهل الحديث الذين هذا شأنهم يدعو لهم بقوله: «حفظ اللَّه أحياءهم» يعني: ثبتهم على دينهم وحفظهم من الانحراف وحفظهم من كل ألوان الشرّ والفتن و«رحم اللَّه أمواتهم».

ما هي عقيدتهم؟ قال: «يشهدون للَّه بالوحدانية»؛ لأنه هو الواحد في ربوبيته لا شريك له، واحد في ذاته لا شبيه له؛ واحد في صفاته- كذلك- لا شبيه له ولا شريك له ﷻ، واحد في أنه وحده المستحقّ للعبادة، والعبادة: هي التذلل والخضوع والمحبة والرجاء والتوكل وسائر أصناف ما يتقرب به إلى اللَّه، وقد عرفها ابن تيمية بأن العبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

فهم يؤمنون بوحدانية اللَّه ﷻ؛ فيوحِّدونه في الربوبية بأنه الخالق الرازق المحيي المميت المدبِّر لشئون هذا الكون إلى آخر صفات الربوبية، ويوحِّدونه في صفاته؛ فلا شريك له في أيّ صفة من صفاته ﷻ ولا شبيه له في ذلك ولا ندّ له ﷻ، وأنه واحد في أفعاله لا يشاركه أحد في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

استندوا إلى هذه الآيات وأمثالها في توحيد اللَّه -تبارك وتعالى- وإثبات ربوبيته على الوجه اللائق به، وإثبات وحدانيته وصفاته على الوجه اللائق به، لا شريك له في كلّ ذلك ﷻ ولا شبيه ولا ندّ له ولا نصير ولا ظهير؛ فتعالى اللَّه عما يقول المنحرفون والملحدون في أيّ نوع من أنواع الوحدانية؛ وحدانية الربوبية ووحدانية الألوهية ووحدانية الأسماء والصفات.

قال: «وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة» محمد ﷺ نبيّ ورسول، والنبوّة أشمل من الرسالة من حيث الأشخاص؛ فالأنبياء كُثُر والرسل منهم ونوع منهم، ولكنهم يمتازون عليهم بأنهم كُلِّفوا بتبليغ الوحي الذي أوحاه اللَّه إلى من خالف من أعداء اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالأنبياء ينبئهم اللَّه والرسل كذلك ينبئهم اللَّه لكن يمتازون بأنهم يرسلهم اللَّه إلى أعدائه المخالفين فيبلِّغونهم ما أرسلوا به، والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الغالب يتّبعون شريعة من قبلهم ويعملون بها ويبلِّغونها ويأمرون بها من يؤمنون بها ويتبعونهم ولا يُكَلَّفون بتبليغ أعداء اللَّه المخالفين لما جاء به الرسل.

وهناك تفريقات بين الرسول والنبي منها قولهم المشهور: «الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه»، وهذا ليس بصحيح! فإن الأنبياء يبلِّغون في الجملة لكن لم يُكَلّفوا بدعوة الكفار وإنما يبلِّغون أتباع شريعة معيَّنة، مثل بني إسرائيل؛ كَثُر فيهم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لكن ما كانوا يُرسَلون إلى غير بني إسرائيل؛ كما قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذه فائدة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهي في كتاب [«النبوات» (ص٢٥٥)] وفيها توسّع لكن هذا خلاصة كلامه؛ حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النبي هو

الذي ينبئه اللَّه وهو ينبئ بما أنبأه اللَّه به، فإن أُرسل إلى من خالف أمر اللَّه ليبلِّغه رسالةً من اللَّه إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرسل إلى أحد يبلِّغه عن اللَّه رسالة فهو نبي وليس برسول». وفي خلال كلامه الطويل احتج على هذا التفريق بقول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، فقال: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾. فغاير بين الرسول وبين النبي؛ فاعتمد رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا التفريق على نص هذه الآية، وله كلام جيِّد في تحقيق هذا البحث فارجعوا إليه.

وتعرض الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ مرةً لهذه القضية في درس من الدروس فقال: كيف لا يبلِّغون؟! العجائز مأمورون بالتبليغ فكيف بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟! لكن تبليغهم إنما يبلِّغون رسالة من قبلهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعرفون ربهم عَزَّ وَجَلَّ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جَلَّ جَلَالُهُ منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ» يعني: لا يسلكون مسالك أهل البدع في إثبات صفات اللَّه بعقولهم الضالة كما يفعل الجهمية والمعتزلة والمتكلمون، وإنما مدارهم على نصوص الكتاب والسنة؛ فما أثبته اللَّه ورسوله لنفسه أثبتوه وما نفاه اللَّه ورسوله عن ربِّ العالمين نفوه، فمدارهم على الوحي؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي ومن الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، فما أنزله اللَّه في كتابه من أوصافه وأسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يثبتونها للَّه على الوجه اللائق به تَبَارَكَ وَتَعَالَى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلم يسلكوا مسلك الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن شاركهم في تعطيل الصفات؛ فينكرون أن اللَّه استوى على العرش، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يجيء، وأن له رحمةً، وأنه يرضى ويغضب.

كيف وصل هؤلاء إلى ذلك؟ الجواب: سلطوا عقولهم الشيطانية على

النصوص القرآنية والنبوية وتحكّموا فيها!! حكّموا أهواءهم وعقولهم القاصرة العاجزة عن معرفة أنفسهم؛ فأدّى بهم إلى أن يثبتوا للَّه ما لم يثبته لنفسه، وينفوا عنه ما أثبته لنفسه. والإنسان لا يعرف كيف ركّب اللَّه خلقه وما هي روحه؛ فكيف يتكلم عن اللَّه ربّ العالمين بعقله العاجز القاصر الذي يعجز عن إدراك نفسه وإدراك أصغر شيء حوله!! فلا جرم أنهم وقعوا في مثل هذا الضلال.

وقوله: «بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله» يعني: التي نصّ عليها القرآن «أو شهد له بها رسوله ﷺ» فإنّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- أثبت للَّه صفات، وكثير من الصفات التي وردت في السنّة موجودة في القرآن، وإذا نصّ رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- على صفات لم تُذكَر في القرآن وثبت ذلك عنه -عليه الصلاة والسلام- بالأسانيد الصحيحة؛ فإنه يجب الإيمان به كما نؤمن بما ورد في القرآن؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤]، والسنّة وحي إلا ما ورد في بعض الاجتهادات، لكن في هذه الأبواب ليست إلا وحيًا لا دخل للاجتهاد فيها؛ فبعض الأحكام قد يجتهد فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وقد يجتهد بعض الأنبياء؛ كما اجتهد داود عليه السلام في قضية الغنم والحرث الذي نفشت فيه، وجاء الصواب مع نبي اللَّه سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقوله: «على ما وردت الأخبار به، ونقلته العدول الثقات عنه» اشترط المؤلِّف في قبول ما نصّ عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- من صفات ربّنا أن ينقله العدول الثقات؛ ثقة عن ثقة إلى أن يصل إسناد الخبر إلى رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-. فإذا جاء الإسناد برواية عدل تامّ الضبط متّصل السند غير معلل ولا شاذّ وجب قبول هذا الخبر؛ لأنه جاء من طريق صحيح ليس فيه انقطاع، وليس فيه غير عدل وليس فيه علّة ولا شذوذ. انتفت هذه العلل كلها عنه

فثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ فنقبله لأنه حقّ واللَّه أمرنا باتِّباع هذا الرسول وطاعته وتصديقه والإيمان به -عليه الصلاة والسلام-؛ إذ حكم الأحاديث في وجوب الاتّباع والتصديق والإيمان بها حكم القرآن، ومن قال غير هذا فقد ضلّ وتاه.

والطاعنون في أخبار الآحاد بأنها لا تفيد إلا الظنّ هؤلاء أهل الأهواء، هؤلاء حكَّموا عقولهم حتى في القرآن وتأولوا نصوص القرآن، يعني: إن كان من أخبار الآحاد ردّوه؛ لأنه يفيد الظنّ -في زعمهم-، وإن كان من القرآن فدلالته ظنيّة أيضًا، فيتأوّلون النص كما تعاملوا مع كثير من أحاديث الصفات وأوّلوها وحرّفوها، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء اللَّه بالتفصيل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يحرِّفون الكلام عن مواضعه؛ بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريفَ المعتزلة والجهمية- أهلكهم اللَّه -، ولا يكيِّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيهَ المشبِّهة- خذلهم اللَّه -».

قوله: «ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه» يعني: لا يعطِّلون ولا يشبِّهون، «فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله -عز من قائل-: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]».

ما هي عمدتهم في إثبات صفة اليدين؟ عمدتهم القرآن والسنة، اللَّه عَجَلَّ أخبر ورسوله الصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى وصف ربه بأن له يدين، لكن يداه ليست كيدي المخلوقين ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيثبتون له يدين على هذا الأساس، يثبتون له يدين لا تشبه أيدي المخلوقين، فكما أن له سمعًا وبصرًا وقدرة وإرادة واستواء ونزولًا لا تشبه صفات المخلوقين؛ كذلك له يدان لا تشبه أيدي المخلوقين

تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا . قال ابن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى- : «فيد تقبض السموات ويد تقبض الأرض تشبه أيدي المخلوقين؟!!»(١) . تعالى اللَّه عن ذلك، هل يوجد في الخلق من هذه صفته؟!! تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا ؛ إذ كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين .

فللَّه يدان تليق بجلاله، ونصّ اللَّه -تبارك وتعالى- أنه خلق آدم بيديه، فإذا كانت اليد بمعنى القدرة فما ميزة آدم على إبليس وعلى غيره؟! يعني : هؤلاء الجهمية والمعتزلة أوّلوها بمعنى القدرة أو القدرتين والنعمتين! فنقول : إنّ اللَّه على كل شيء قدير، وخلق المخلوقات كلَّها بقدرته وإرادته ومشيئته، وإذا قلنا : إنّ اليدين في قوله تعالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ . تفسر بالنعمتين والقوتين ؛ فما هي ميزة آدم -عليه الصلاة والسلام- على إبليس؟ فلإبليس حينئذٍ أن يقول : إذا كنتَ خلقت آدم بقدرتك، فأنا كذلك خلقتني بقدرتك فما هي ميزة آدم عليّ؟

فالنص على إكرام اللَّه لآدم عليه السلام بأنه خلقه من بين المخلوقات بيديه وهذه ميزة عظيمة له -عليه الصلاة والسلام- ، أما إذا فسرناها بالقدرة فأين الميزة؟ أين امتيازه على غيره من الملائكة والجنّ وغيرهم؟ فكان إبليس بإمكانه أن يقول : وأنا كذلك خلقتني بقدرتك ؛ فنصّه على أنه خلقه بيديه دليل واضح على أن للَّه يدين تليق بجلاله، وفي هذا تمييز من اللَّه لآدم عن غيره من المخلوقات بأنه خلقه بيديه .

وإذا قيل لنا : ما كيفية اليدين؟ نقول : لا ندري، لا نعلم! نؤمن بأن له يدين حقيقة ؛ ثابتتان له، لكن ما هو كنه اليدين وكيفيتها؟ لا ندري! كيف خلق اللَّه آدم بهاتين اليدين؟ هذا يرجع إلى اللَّه جل جلاله ؛ لأنه أمر غيبيّ لا يعلمه إلا اللَّه عز وجل .

قال رحمه الله : «ولا يحرفون الكلام عن مواضعه ؛ بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين» هذا تفسير الجهمية، واللَّه له قدرة يخلق بها كل شيء وليس قدرتان،

---

(١) انظر كلامه في الصفحات (١٦٢-١٦٤) من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة رحمه الله . ط دار الآثار، صنعاء.

ونعمه لا تُحصى، وليس له نعمتان فقط؛ تعالى اللَّه عن ذلك، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فتأويلهم سمج مفضوح يكذِّبه المؤلِّف بالقرآن والسنة والعقل، وهم يدّعون أن عندهم عقولًا! فأين عقولهم؟!!

ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تحريف المعتزلة والجهمية -أهلكهم اللَّه-» عندما يفسِّرون «اليدين» بأنهما النعمتان أوالقدرتان.

أليس هذا تحريفًا؟! نقول: بل هو تحريف وتخريف في نفس الوقت؛ إذ كيف تكون «اليدين» بمعنى القدرتين؟! ومن أين جاءنا أن للَّه قدرتين في القرآن أو في السنّة؟!!

إنّ اللَّه على كلّ شيء قدير؛ نَصِفه ﷻ بالقدرة والعلم ولا نقول: إنه يوصف بعلمين أو ثلاثة علوم؛ بل نقول: هو متصف بعلم شامل لكل شيء، وقدرة يقدر بها على كل شيء، ولا يعجزه شيء في السماء والأرض ﷻ، فكلامهم سخيف!

وكيف تكون «اليدين» بمعنى النعمتين؟! ومن أين جاءنا أن للَّه نعمتين في القرآن أو في السنّة؟!! إنّ نعم اللَّه ﷻ على أهل السموات والأرض لا تُحصى! بل نعمه على أفراد قليلين لا نستطيع إحصاءها، فكيف بالكون كلّه من الملائكة والجنّ والإنس وجميع من في الكون من مخلوقاته؟!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يكيِّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيهَ المشبِّهة -خذلهم اللَّه-» لا يشبِّهونهما بأيدي المخلوقين ولا يكيِّفونهما فيقولون: يد اللَّه على الكيفية الفلانية. لماذا؟ لأنهم معتصمون بالكتاب والسنّة، فالقرآن لم يكيِّف فلا نكيِّف، ولم يمثِّل فلا نمثِّل، ونزّه اللَّه نفسه عن المثال والأمثلة فقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فلا نشبِّه ذاته بذوات المخلوقين ولا صفاته

بصفات المخلوقين ولا يديه بأيدي المخلوقين، ولا نكيِّفها ونقول على كيفية كذا؛ لأننا نعتصم بالوحي من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

فلا نغلو في الإثبات غلوّ المشبِّهة الذين يشبِّهون اللَّه بخلقه؛ فيقولون: له يد كأيدينا، وله سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، واستواء كاستوائنا، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأنّ اللَّه ﷻ ينفيه عن نفسه في آيات كثيرة؛ كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] يعني: نظيرًا أو ندًّا أو شبيهًا؛ فتعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: نظراء ومشابهين.

فهذا عمدة أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة في نفي التشبيه والمماثلة بالمخلوقات عن صفات اللَّه ﷻ وعمدتهم في عدم التحريف والتعطيل؛ وهو كتاب اللَّه وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-. فمثلًا:

١- قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فيه ردّ على المشبِّهة، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فيه ردّ على المعطِّلة. فهذه الآية جمعت أصلين: التنزيه والإثبات، فالإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والتنزيه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فنثبت سائر الأسماء والصفات بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وننفي عنها المشابهة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فعلى هذا الأساس نثبت أسماء اللَّه وصفاته اللائقة بجلاله على الوجه الذي يليق بعزّته وجلاله وعظمته.

٢- وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. أحد في ذاته، فرد في صفاته، فرد في أفعاله، فرد في عظمته وجلاله، لا نظير له في هذه الأشياء؛ فلا يشبهه أحد

ولا يشاركه أحد في هذه الأحدية التي تفرد بها في ذاته وأسمائه وصفاته، وتنزّه عما يتّصف به المخلوقون من الولادة يعني: كونه يولد من غيره أو يلد غيره؛ لأن هذه من صفات المخلوقين وقد نزّه ﷻ نفسه عن هذا بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لا يشابهه ولا يناظره ولا يكافئه أحد تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

* * *

«وقد أعاذ اللَّه تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم؛ حتى سلكوا سُبُل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول اللَّه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]**».**

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أعاذ اللَّه تعالى أهل السنة من التحريف» الذي هو منهج المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن سار على طريقتهم. «و» كذلك أعاذ اللَّه الذين اعتصموا بكتابه وبسنة نبيِّه من أن يكونوا على منهج «التكييف والتشبيه» الذي هو طريقة المشبهة؛ الذين يشبهون اللَّه -تبارك وتعالى- ويشبهون صفاته وأفعاله بذوات وصفات وأفعال المخلوقين، وقد نقل الترمذي -رحمه اللَّه تعالى- في جامعه عن أئمة الإسلام مثل السفيانين والأوزاعي ومالك وغيرهم من أئمة الإسلام: أن إثبات الصفات للَّه على الوجه اللائق به ليس فيه تشبيه وإنما التشبيه أن تقول: يد كيد وسمع كسمع وبصر كبصر، أما أن تثبت النصوص وتؤمن بها على الوجه اللائق باللَّه -تبارك وتعالى- مع نفي المشابهة والتكييف فهذا ليس بتشبيه[1].

(١) قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامعه عقب حديث «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كما=

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم» يقصد -والله أعلم- بالعلم والفقه والفهم: ما سار عليه السلف في صفات الله في التعامل مع صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن ذلك قاعدتهم المشهورة: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»؛ فالنصوص التي ذكرها الله في كتابه وذكرها رسوله -عليه الصلاة والسلام- في سنته نعرف معناها ونفهم مراد الله منها لكن كيفيتها ننفيها فالله يقول: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ويقول: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] فنعرف أن لله سمعًا ونفهم أن لله سمعًا يليق بجلاله لا يشبه سمع المخلوقين ونعرف أنّ لله بصرًا ونفهم أنّ لله بصرًا يليق بجلاله لا يشبه بصر المخلوقين ولا صفات المخلوقين، فالظاهر أن هذا هو مراده «حتى سلكوا سُبُل التوحيد والتنزيه» بهذا الفهم وبهذا الوعي. وقوله: «سُبُل التوحيد» يعني: الإثبات؛ إثبات أنواع التوحيد لله -تبارك وتعالى-، «و» سلكوا في الوقت نفسه سبل «التنزيه»؛ تنزيه الله -تبارك وتعالى- عن النقائص كلها، ومن ذلك: مشابهة المخلوقين؛ كل المخلوقات من الأنبياء والملائكة... وإلى آخره؛ فإنّ الله تَنَزَّه عن مشابهتها؛ فهم ينزِّهون ربنا عن مشابهتها، فالله لا يشبه شيئًا من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

= يُرَبِّي أحدكم مُهْرَهُ حتى أن اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ وَتَصْدِيقُ ذلك في كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وَ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾» حديث رقم (٦٦٢): «وقد قال غَيْرُ وَاحِدٍ من أَهْلِ الْعِلْمِ في هذا الحديث وما يُشْبِهُ هذا من الرِّوَايَاتِ من الصِّفَاتِ وَنُزُولِ الرَّبِّ -تبارك وتعالى- كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ قالوا: قد تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ في هذا وَيُؤْمَنُ بها ولا يُتَوَهَّمُ ولا يُقَال كَيْفَ، هَكَذَا رُوِيَ عن مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بن الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قالوا في هذه الْأَحَادِيثِ: أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ من أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هذه الرِّوَايَاتِ وَقالوا: هذا تَشْبِيهٌ! وقد ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في غَيْرِ مَوْضِعٍ من كِتَابِهِ الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتْ الْجَهْمِيَّةُ هذه الْآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا على غَيْرِ ما فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَقالوا: إِنَّ اللَّهَ لم يَخْلُق آدَمَ بيده! وَقالوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ ها هنا الْقُوَّةُ! وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يَكُونُ التَّشْبِيهُ إذا قال يَدٌ كَيَدٍ أو مِثْلُ يَدٍ أو سَمْعٌ كَسَمْعٍ أو مِثْلُ سَمْعٍ فإذا قال سَمْعٌ كَسَمْعٍ أو مِثْلُ سَمْعٍ فَهَذَا التَّشْبِيهُ، وَأَمَّا إذا قال كما قال اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ ولا يقول كَيْفَ ولا يقول مِثْلُ سَمْعٍ ولا كَسَمْعٍ فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا وهو كما قال اللَّهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾». اهـ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

الظاهر أنه يعني بقوله: «تركوا القول بالتعليل»: منهج المعتزلة والخوارج والجهمية، فلم يتابعوا أهل التعطيل في جحد صفات اللَّه وتعطيلها؛ لأنّ هذا أمر عظيم، وقد كفّر السلف الجهمية بهذا التعطيل. «و» تركوا سبل «التشبيه»: والمشبّهة أصلهم من الروافض! فأصل الروافض أنهم كانوا مشبّهة، وهناك غيرهم ممن وُصِم بالتشبيه لكن اشتهر رءوس الروافض بتشبيه اللَّه بخلقه تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فابتعدوا وأعاذهم اللَّه من أن يسلكوا سبل المعطلة أو سبل المشبهة وإنما أثبتوا للَّه -تبارك وتعالى- صفاته اللائقة بجلاله على الوجه اللائق به على أساس قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: استفادوا منه تنزيه اللَّه عن المماثلة بالمخلوقات لا في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: استفادوا منه إثبات ما وصف اللَّه -تبارك وتعالى- به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- على الوجه اللائق باللَّه وعلى أساس التنزيه عن مشابهة المخلوقين.

وذكر الأصل الذي اعتمدوا عليه في مخالفة المشبهة والمعطلة وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقد شرحنا معناها وبيناه؛ ووجه حجتهم أنّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: دليلهم على نفي المشابهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ دليل لهم على وجوب إثبات الصفات للَّه عَزَّ وَجَلَّ على الوجه اللائق به -تبارك وتعالى-؛ فهم يثبتون أسماء اللَّه وصفاته.

١- على الوجه اللائق به عَزَّ وَجَلَّ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٢- ويثبتونها على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو تنزيه اللَّه عن مشابهه المخلوقات.

هنا قاعدة- وهي تنطبق على كلّ الصفات- وهي قولهم: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»، قالها مالك وغيره؛ قالها قبله شيخه ربيعة، واشتهرت عن مالك؛ وذلك لما سئل عن الاستواء؛ كيف الاستواء؟ أطرق حتى عَلَته الرحضاء ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا» وأمر بإخراجه من حلقته رضي الله عنه؛ فـ «الاستواء معلوم»؛ لأننا نعرفه من لغة العرب ومن لغة القرآن وفهم الصحابة، «والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا» وأمر بإخراجه من حلقته رضي الله عنه.

فهذه قاعدة لكل الصفات؛ إذا قيل لك: السمع، البصر، القدرة، اليد، الضحك، الغضب، كيف هذه؟ تقول: السمع معلوم، والبصر معلوم، والقدرة معلومة، واليد معلومة، والضحك معلوم، والغضب معلوم؛ كل هذه الصفات معانيها معروفة لكن الكيفية لا نعرفها، فكما أنّ «الاستواء معلوم والكيف مجهول»؛ كذلك «السمع معلوم والكيف مجهول»، و«الرضا معلوم والكيف مجهول»، و«القدرة معلومة والكيف مجهول»، و«النزول معلوم والكيف مجهول»، وهكذا..».

فهذه قاعدة تنطبق على كل الصفات ويُرَدّ بها على كل صاحب هوى؛ يُردّ بها على المعطلة بـ «الاستواء معلوم»؛ لأنهم يعطلون الصفات عن معانيها، وعلى المشبهة الممثلة بـ «الكيف مجهول»؛ لأنهم يكيفون الصفات ويحددونها!

* * *

«وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ وردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذِكر اليد؛ كخبر محاجة موسى آدم وقوله له: «خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته»، ومثل قوله ﷺ: «لا أجعل صالحي ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له: كن فكان» وقوله ﷺ: «خلق الله الفردوس بيده».

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ وردت الأخبار الصحاح عن رسول اللَّه ﷺ بذكر اليد».

أي: فكما ثبت هذا في القرآن؛ أيضًا وردت به السنة، فالقرآن ورد بإثبات اليدين والسنة كذلك وردت بإثبات اليدين للَّه -تبارك وتعالى-، واللَّه عَزَّ وَجَلَّ قد أمر رسوله -عليه الصلاة والسلام- أن يبيِّن للناس ما نزِّل إليهم؛ فلو كانت هذه الصفات- صفة اليدين وغيرها- مما يحتاج إلى البيان على طريقة الجهمية وغيرهم لوُجِد هذا البيان، ولكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أكد ما في القرآن مما يدلّ على أن المنهج الصحيح هو منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفات اللَّه -تبارك وتعالى- الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق باللَّه، ولو كانت مما تحتاج إلى التأويل لبيَّن ذلك رسول اللَّه ﷺ الذي كلفه اللَّه تعالى بالبلاغ وكلفه -عليه الصلاة والسلام- بالبيان؛ بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فبيَّن للناس أحكام كل شيء، أيكون بيّن أحكام الصلاة والزكاة والصوم وتفاصيلها.. إلى آخره حتى الحيض والنِّفاس ثم هذا الأمر الخطير لا يبيِّنه؟!! واللَّه لو كان يحتاج إلى شيء مما يدَّعي هؤلاء لبيَّنه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، ولكنّه أكد وأكد ما ورد في القرآن، فهذا حجة دامغة على المشبهة وعلى المعطلة.

الشاهد: إن أهل السنة متمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم في كل أبواب الدين؛ في أبواب الصفات والربوبية وأحكام الإيمان وغيرها من أبواب دين اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، كلها سائرون فيها على كتاب اللَّه وعلى سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وعلى ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان اللَّه تعالى عليهم.

فالمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بيّن أنه كما وردت هذه الصفات في القرآن كذلك وردت في

السنة. فقال: «وردت الأخبار الصحاح عن رسول اللَّه ﷺ بذكر اليد؛ كخبر محاجة موسى آدم وقوله له: «خلقك اللَّه بيده وأسجد لك ملائكته»».

أخذ الشاهد من الحديث، والقصة هي كما يرويها أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**احتجّ آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحجّ آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض! فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللَّه برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقرّبك نجيًّا فبكم وجدت اللَّه كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا. قال آدم: فهل وجدت فيها «وعصى آدم ربه فغوى»؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملًا كتبه اللَّه عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!**». قال رسول اللَّه ﷺ: «**فحجّ آدم موسى**»(١).

الشاهد: أن موسى في محاجته لآدم ذكر أن من ميزاته أن اللَّه خلقه بيده وأسجد له ملائكته، والشاهد منه قوله: «**خلقك اللَّه بيده**». فهذا ورد في السنة.

وهذه عقيدة موسى وعقيدة آدم وعقيدة جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وعقيدة محمد وصحابته الكرام، وهذه العقيدة في التوراة والإنجيل لم يحرِّفها لا يهود ولا نصارى، النصارى في هذا الباب واليهود لم يحرِّفوا صفات اللَّه في التوراة والإنجيل، ولو فعلوا ذلك لبيّن اللَّه حالهم وفضحهم كما فضحهم بتحريف كثير من الدين، وكان يبدأ قبل هذا بتحريفهم لصفات اللَّه لو كانوا حرفوها كما حرّفها الجهمية والمعتزلة، ولكنهم في هذا الباب لم يحرِّفوا شيئًا من صفات اللَّه -تبارك وتعالى-.

والعرب المشركون الذين كانوا يعارضون رسول اللَّه في رسالته وفي

---

(١) أخرجه مسلم [رقم (٢٦٥٢)، كتاب القدر]، وأخرجه البخاري مختصرًا [رقم (٧٥١٥). كتاب التوحيد].

الإيمان بالبعث وما شاكل ذلك وفي قضية التوحيد لم يعارضوه في باب الأسماء والصفات إلاّ صفة الرحمن فقط: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]. أما سائر الصفات فما اعترضوا عليها، واعترضوا على كتابة «رسول اللَّه» يوم الحديبية، لما كتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قالوا: اكتب «باسمك اللَّهم»، فصفة الرحمن هي الوحيدة التي عارض فيها عتاة قريش وغيرهم، أما باقي الصفات فلم يعارضوا رسول اللَّه في شيء منها أبدًا.

فالملل كلها جاءت بهذه الصفات، ومنها -كما ترون-: أنّ آدم أقرّ موسى على هذا وما اعترض عليه؛ نعم اعترض عليه في قوله: **«أنت أخرجتنا من الجنة»** لكن لم يعترض عليه في قوله: **«خلقك اللَّه بيده»**، فهذا آدم وهذا موسى وهذا محمد ﷺ وهذه الكتب السماوية كلها ليس فيها هذا التحريف الذي يدعو إليه الجهمية والمعتزلة ومن سار في نهجهم!!

واحتج المؤلِّف بحديث ضعيف بحثنا عنه هنا وهنا فما وجدناه وهو: قوله رحمه الله: «قال ﷺ: **«لا أجعل صالحي ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له: كن فكان»**»، فهذا يسوقونه في المفاضلة بين الملائكة وبين بني آدم وهو حديث لم يثبت[1]. وهذه القضية ترك الخوض فيها أولى؛ أعني: المفاضلة بين الملائكة وبين بني آدم.

قال رحمه الله: «وقوله ﷺ: **«خلق اللَّه الفردوس بيده»**» هذا الحديث نقل

---

(١) الحديث هذا أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦١٧٣) عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان». قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه إبراهيم بن عبد اللَّه بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضًا». وضعّفه الألباني في [«تخريج شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٤٢)].

المحقِّق أنّ البيهقي رواه من طريق عبد اللّه بن الحارث وأعلّه بالإرسال، ولكن الحديث نحوه في صحيح مسلم[1]؛ من حديث المغيرة بن شعبة في كتاب الإيمان؛ حدّث بهذا الحديث على المنبر؛ رواه عنه الشعبي فقال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي ﷺ: **«إن موسى سأل ربه أيّ أهل الجنة أدنى منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة. فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب! كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب! فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب! فيقول: هذا لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول: رضيت رب! قال: رب! فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقه في كتاب اللّه ﷻ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾** [السجدة: ١٧].

والمهمّ أن البيهقي أعلّ هذا الحديث، وفي إعلاله نظر؛ فإن الحارث بن نوفل الذي يروي عنه ابنه عبد اللّه صحابي، بل عبد اللّه وأبوه وجدّه كلهم لهم صحبة؛ فهذا يحتاج إلى إعادة نظر، وعلى فرض أنه مرسل؛ فإنه يقوم مقامه هذا الحديث الصحيح في صحيح مسلم **«غرست كرامتهم بيدي»**.

الشاهد: أنّه ثبت في السنة أن للّه يدًا كتب بها التوراة وغرس بها جنة عدن.

نسأل اللّه -تبارك وتعالى- أن يثبّتنا وإياكم على دينه الحقّ وعلى طريقة الصحابة الكرام ومن تبعهم من أسلافنا العظام إن ربنا لسميع الدعاء وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) برقم (١٨٩).

قولهم في الصفات

«وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نَزَل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح: من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك وغيرها، من غير تشبيهٍ لشيءٍ من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله اللَّه تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل مُنْكَر، ويُجْرُونه على الظاهر، ويَكِلون علمه إلى اللَّه تعالى، ويُقِرُّون بأنّ تأويله لا يعلمه إلا اللَّه؛ كما أخبر اللَّه عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]».

الشرح:

قال الإمام الصابوني -رحمه اللَّه تعالى-: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نَزَل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح: من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، واليقظة والفرح، والضحك وغيرها».

«وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نَزَل بذكرها القرآن»: الإشارة ترجع إلى أهل الحديث الذين ذكر لنا شيئًا من عقائدهم فيما سبق ومثّل لذلك بصفة اليدين للَّه -تبارك وتعالى-، وهنا يقول: «وكذلك يقولون» أي: أهل

الحديث وأئمة الحديث- رحمهم اللَّه تعالى -، وهذا يشمل أئمة الفقه والتفسير؛ لأن العلماء في السابق كان العالم يتضلّع بعلوم الحديث والتفسير والفقه وغيرها؛ مثل الأوزاعي ومالك والثوري والسفيانين والإمام أحمد والبخاري ومسلم؛ فهؤلاء أئمة فقهاء محدِّثون ومفسِّرون إلى آخره. «في جميع الصفات التي نَزَل بذكرها القرآن» كل صفة وصف اللَّه بها نفسه في كتابه أو في سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- يؤمنون بها -رضوان اللَّه عليهم- على الوجه الذي سيأتي «ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع» مِنْ وَصْفِ اللَّه -تبارك وتعالى- بصفة السمع؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، فاللَّه -تبارك وتعالى- وصف نفسه في آيات بأنه سميع بصير؛ كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فيأتي الوصف بالفعل وبالاسم وبالصفة.

«والبصر»؛ كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

«والعين»؛ كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٤٦].

«والوجه»: وصف اللَّه نفسه بهذه الصفة في آيات من القرآن الكريم منها قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

«والعلم»: في آيات كثيرة يصف نفسه بأنه السميع العليم ﷻ، قال: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩]، فآيات كثيرة جاءت بهذا.

«والقوّة»؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

«والقدرة»؛ كما قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

«والعزّة»: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

«والعظمة»: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

«والإرادة»: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

«والمشيئة»: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

«والقول»: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فهو يقول.

«والكلام»: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء١٦٤]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

«والرضا»: ذكر الله -تبارك وتعالى- صفة الرضا في آيات كقوله ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وفي دعاء نبيه سليمان ﷺ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل: ١٩]، وفي الأحاديث وصفه الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالرضا **«اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك»**(١)، وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

«والسخط»؛ ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ

---

(١) أخرجه مالك [رقم (٥٠٠)، كتاب القرآن] وأحمد (٦/ ٥٨، ٦٠١) ومسلم [رقم (٤٨٦)، كتاب الصلاة]، من حديث عائشة ﵂.

لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

«والحياة»: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وصف نفسه بالحياة.

«واليقظة»: لا نعرف حديثًا أو آية جاءت بهذا اللفظ، وكأنه -والله أعلم- يريد معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والسِنة هي مبدأ النوم، والنوم هو النوم المعروف؛ فالله منزّه عن ذلك: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لكمال حياته وقيوميته؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهذا تأكيد لوصفه بالحياة الكاملة والقيومية الكاملة على كل شيء وتلاها قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يعني: لكمال حياته وقيوميته.

وقد ورد مثل هذا اللفظ في مسائل حرب نسبها للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونقلها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن القاعدة عندنا أننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه؛ فإذا ورد وصفٌ في القرآن والسنة؛ وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله -عليه الصلاة والسلام-؛ نصفه به، وما لم يرد فيهما لا نصفه به.

«والفرح»: قال ﷺ: «للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ. فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته. فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللَّهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»(١) فالرسول -عليه الصلاة والسلام- وصف ربه بالفرح؛ بأنه يفرح بتوبة التائبين، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهذا فيه تشجيع على التوبة؛ فالإنسان إذا وقع في الذنوب عليه أن يتوب إلى الله ﷻ ويحسن الظن بالله، وأن الله يقبل التوابين

(١) أخرجه مسلم [رقم (٢٧٤٧)، كتاب التوبة] من حديث أنس رضي الله عنه.

مهما أذنبوا؛ لو كفر وقتل وزنا ثم تاب توبة نصوحًا فاللَّه يقبل توبته: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. فعلى المؤمن إذا وقع في ذنب صغير أو كبير أن يتوب إلى اللَّه؛ لأن اللَّه يفرح بتوبة عبده ويحب التوابين ويحب المتطهرين ﷻ لرحمته وحلمه -تبارك وتعالى-.

«والضحك»: كذلك جاء في الأحاديث الصحيحة أن اللَّه -تبارك وتعالى- يضحك يوم القيامة لعبده؛ قال ﷺ: «ويضحك اللَّه إلى رجل قتل رجلًا آخر ثم دخلا الجنة»[1]؛ التقى مسلم وكافر فقتل الكافر المسلم فمات المسلم شهيدًا، ثم منّ اللَّه على هذا الكافر القاتل فأسلم فدخلا الجنّة.

والمؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يسق الأدلّة؛ لأنه اشترط على نفسه الاختصار والاقتصار كما قال، وقد ألّف في هذا؛ في إثبات الصفات والأدلة عليها كتابًا سماه «الانتصار»، وهنا سلك مسلك الاختصار؛ فلم يسق الأدلة، وأنتم تعرفون هذا -والحمد للَّه- والقرآن مليء بهذا.

«وغيرها» من الصفات التي وصف اللَّه بها نفسه في كتابه أو في سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-؛ مثل الاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك من الصفات التي ذكرها اللَّه في كتابه ووصفه بها رسوله في سنته؛ القاعدة فيها أنهم يؤمنون بجميع ذلك؛ بجميع ما ورد في الكتاب وثبت في السنة على الوجه اللائق باللَّه.
«من غير تشبيهٍ لشيءٍ من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله اللَّه تعالى وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه» أي: على ما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، «ولا إضافة إليه» والإضافة هي الزيادة «ولا تكييف

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٢٨٢٦)، كتاب الجهاد والسير]، ومسلم [رقم (١٨٩٠)، كتاب الإمارة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يضحك اللَّه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل اللَّه فيقتل ثم يتوب اللَّه على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل اللَّه فيستشهد»، واللفظ للبخاري.

له»؛ أي: أن الصفات التي نؤمن بها لا نكيّفها «ولا تشبيه» يعني: هذا رد على المشبهة الذين يُردّ عليهم بمثل هذه الآيات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. . ، فعندما يقول المشبِّه: له علم كعلمنا وقدرة كقدرتنا واستواء كاستوائنا ومجيء كمجيئنا؛ نقول: تعالى اللَّه عن ذلك، ونسوق الأدلة في إبطال هذا المذهب الفاسد. وإذا جاء المعطل يعطّل صفات اللَّه؛ نسوق الآيات ونسوق له هذه الآية التي هي ميزان وضابط في كيفية التعامل مع آيات الصفات وأحاديثها؛ وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فنثبت له ﷻ الصفات على أساس تنزيه اللَّه ﷻ المستمَد من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ فنقول: له سمع ليس كسمع المخلوقين وبصر ليس كبصر المخلوقين وكذلك الاستواء، وهكذا . . ، ولهذا قال: «ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير» أي: كما يفعل المعطلة يغيِّرون! ويقولون في «استوى»: «استولى»! اللَّه يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وهم يقولون: استولى! واللَّه ﷻ يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ويقول: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ وهم يقولون: «اليدان»: هما النعمتان أو القدرتان أو القدرة والنعمة! ؛ هذا تبديل وتحريف وتلاعب بالنصوص!

ويردّون آيات العلو وأحاديث العلو وأدلة العلو وهي تبلغ ألف دليل؛ يردّونها بقول الأخطل النصراني ويقولون: قال الأخطل:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

ويمكن أن يكون هذا النصراني هو أول من وضع هذا اللفظ: «استوى» على معنى: «استولى»، يعني: «استولى بشر على العراق»، وبشر هو أخو عبد الملك ابن مروان تغلّب على العراق وحكمها وولاّه عليها أخوه عبد الملك، وكان هذا الأخطل من شعراء بني أمية نصراني خبيث، وقال هذا البيت يمدح بشرًا؛ فردّوا

كل النصوص التي تثبت علو اللَّه على خلقه واستواءه على عرشه بهذا البيت، واحتجوا به على رد النصوص!

قال ابن تيمية:

تبًّا لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدلّ يقول قال الأخطل

فالمعطلة يحتجون بهذا البيت على تعطيل صفة العلو للَّه ﷻ، ولو هداهم اللَّه لعرفوا أن استواء اللَّه لا يشبه استواء المخلوقين، ولو فهموا النصوص التي تنزِّه اللَّه عن مشابهة المخلوقين والنصوص التي يريد اللَّه -تبارك وتعالى- بها إثبات صفات كماله وعزته وجلاله؛ لو فهموا هذا لساروا وسلكوا مسلك الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولكن حكّموا عقولهم الكاسدة الفاسدة في نصوص الوحيين؛ فعارضوها بهذه العقليات الفاسدة، وراحوا يتلمسون غرائب اللغة لتعطيل صفات اللَّه -تبارك وتعالى-. قال: «ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر»؛ كما يفعل المعطلة مثل قولهم: «استوى» معناه: استولى، و«اليدين» معناهما: النعمتان أو القدرتان، و«الوجه» معناه: الذات، و﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: جاء أمره، وهكذا..؛ يتأولون ويتلاعبون!

وفي الجملة: أراد المصنف أن يبيّن أنّ السلف أصحاب الحديث يثبتون أسماء اللَّه وصفات كماله من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، بل يثبتونها على الوجه الذي يليق بعزّته وجلاله وعظمته؛ فلا يجارون المشبِّهة فيشبِّهوا اللَّه تعالى بصفات المخلوقين ويقولوا: علم كعلمنا واستواء كاستوائنا وقدرة كقدرتنا! فإنّ هذا ضلال، ولا يجارون المعطلة في نفي صفات الكمال التي أثبتها اللَّه ﷻ لنفسه، و-كما يُقال-: المشبِّه يعبد صنمًا، والمعطِّل يعبد عدمًا.

فنحن -إن شاء اللَّه- نبرأ إلى اللَّه من مذاهب المشبِّهة ومن مذاهب المعطلة، فنثبت هذه الصفات على الوجه اللائق باللَّه مع تنزيهنا للَّه -تبارك وتعالى- عن التشبيه وابتعادنا عن التعطيل؛ فلا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف

ولا تمثيل، تعالى الله عن ذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، يعني: نظيرًا وشبيهًا؟!! تعالى الله عن ذلك؛ فنحن لا نشبِّه وفي نفس الوقت لا نعطل، بل نثبت للَّه الصفات على الوجه اللائق به -تبارك وتعالى-.

قال: «ويُجْرُونه» أي: أهل السنة هم الذين يجرونه «على الظاهر» أي: على ظاهره اللائق باللَّه ﷻ، وليس الظاهر الذي يذهب إليه أهل الباطل من المعطلة والمشبِّهة؛ فإنّ كلًّا من المشبِّهة والمعطِّلة يقولون: إنّ الظاهر هو هذه المعاني الفاسدة التي يتوهمونها من مشابهة ومماثلة صفات اللَّه ﷻ لصفات المخلوقين!

لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كل معطِّل مشبِّه وكل مشبِّه معطِّل، وذلك أنّ المعطِّل يفهم من ظاهر النصوص أن فيها تشبيهًا؛ فيذهب إلى التأويل والتحريف والتعطيل، والمشبِّه يفهم هذا التشبيه ويجمد عليه ويعطِّل الصفة الحقيقية التي يجب إثباتها للَّه ﷻ!

فالمراد بـ «الظاهر»- عند أهل السنة -: المعنى الذي يفهم من اللفظ في لغة العرب؛ فظاهر الاستواء- مثلًا- في قوله سبحانه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أن اللَّه ﷻ استوى فوق عرشه واستقر عليه وعلا عليه؛ كما فسره السلف، فهذا الذي يُفهم من لغة العرب، والذي لا نفهمه هو الكيفية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويَكِلون علمه إلى اللَّه تعالى» أي: يكلون كيفية الصفات، فالذي يكلونه إلى اللَّه تعالى هو علم الكيفية لا علم المعنى؛ فإنّ اللَّه يتّصف بأنه عالم ونؤمن بهذا العلم، لكن هذا علم لا يشبه علم المخلوقين؛ فعلمه ﷻ أحاط بكل شيء؛ كما أخبر اللَّه عن نفسه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ

عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وعلم المخلوقات لا يشبه علم الله ﷻ لا من قريب ولا من بعيد، لا البشر يشبه علمهم علم الله -تبارك وتعالى- ولا الملائكة؛ قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

«ويُقِرُّون بأنّ تأويله لا يعلمه إلا اللَّه»: يأتي هنا كلام الإمام مالك -رحمه اللَّه تعالى-: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»، فهذا يأتي جوابًا على كل سؤال عن أي صفة من الصفات؛ فإذا قيل مثلًا: كيف اليدان؟ نقول: اليدان معلومتان لكن كيفيتهما مجهولة، وهكذا نقول في سائر الصفات؛ العلم معلوم والكيف مجهول، الاستواء معلوم والكيف مجهول، والنزول والمجيء والغضب والرضا والضحك.. إلخ؛ صفات الأفعال وصفات الذات كلها نعرف معانيها ويجب أن نؤمن بها ونثبتها للَّه، لكن الذي لا يجوز أن ندّعيه أو نقوله هو علم الكيفية، نثبت للَّه الصفة على الوجه اللائق به ثم لا ندّعي علم الكيفية لا من قريب ولا من بعيد؛ لأن هذا هو الذي لا يعلمه إلا اللَّه -تبارك وتعالى-، واحتج رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «كما أخبر اللَّه عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ الْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال اللَّه ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ الْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذه قراءة لكثير من السلف يقفون على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ﴾. وقراءة أخرى تنسب إلى ابن عباس وغيره من العلماء يقولون: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» ويجعلون علم المتشابه مما يعلمه الراسخون في العلم.

ووجه ذلك: أن من وقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يجعل الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ استئنافية، فيقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويجعل الواو في قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ يجعلها استئنافية؛ والفرق بين الواو الاستئنافية والواو العاطفة: أن الواو الاستئنافية لابتداء الكلام والعاطفة تجعل ما بعد الواو معطوفًا على ما قبلها ويشاركه في الحكم، وكلا القراءتين جيِّدة؛ كلٌّ منها لها معنى صحيحٌ؛ كما قال ذلك ابن تيمية[1] وغيره من العلماء.

فالذين يجعلون الواو استئنافية ويقفون على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: يريدون معرفة حقائق الأشياء وكيفياتها؛ كمعرفة حقيقة الاستواء والوجه واليدين وما أخبر اللَّه به من نعيم أهل الجنة من اللباس والنكاح وما شاكل ذلك؛ فهذا شيء لا يعلمه إلا اللَّه، فنعرف منها الأسماء والمعاني في الجملة، لكن الحقائق والإحاطة بها هذا يختص به اللَّه وينفرد به اللَّه وحده ﷻ.

والذين يجعلون الواو عاطفة ويقفون على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾: فهذا معنى صحيح، لكن العلم هنا بمعنى التفسير وفهم المعنى في الجملة من غير إحاطة، فنعلم أن للَّه استواء لكن حقيقة الاستواء لا نعرفها؛ لأنّ الاستواء معلوم والكيف مجهول، وكذلك نقول في كل الصفات من النزول والمجيء والرضا والغضب والعلم والقدرة والإرادة؛ كل صفة نقول فيها: إن هذه الصفة معلومة والكيف مجهول؛ لأنه مما لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ.

وظاهر كلام المصنِّف هنا يوهم بعض الشيء، لكن هو من أهل السنة- إن شاء اللَّه- في أن هذه الصفات نعلمها في الجملة ونعرف معناها لكن حقائقها وكيفيتها لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ، فالعلم والإحاطة بحقائقها وكيفيتها لا يعلمه

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٨١، ٤٠٠).

إلا اللَّه، ونحن نعلم من لغة العرب معاني هذه الصفات وأنّ اليدين غير الوجه، والوجه غير اليدين.. وما إلى ذلك، ونعلم القدرة ماذا يُراد بها وأنها تتعلق بالمقدورات، وأن السمع يتعلق بالمسموعات، والبصر يتعلق بالمبصرات، وهكذا..؛ فنعتقد أن اللَّه يرانا وأن اللَّه يسمعنا وأن اللَّه يبصرنا وأن اللَّه ينزل وأن اللَّه يجيء، فهذه نثبتها للَّه ﷻ ونؤمن بها وننفي عنها التشبيه والتكييف والتعطيل والتحريف، وأما الحقيقة من هذه الصفات والكيفيات لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ.

* * *

«وآياتُ الكتاب وأخبارُ الرسول ﷺ الصحيحةُ المنيرةُ الناطقةُ بهذه الصفات وغيرِها كثيرةٌ، يطول الكتاب بإحصائها وذكر اتِّفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مُخَرَّج بالأسانيد الصحيحة في «كتاب الانتصار» وشرطُنا في أول هذا الكتاب: الاختصار والاقتصار على أدنى المقدار، دون الإكثار برواية الأخبار وذِكر أسانيدها الصحيحة عند نقلة الآثار ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار».

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وآيات الكتاب وأخبار الرسول ﷺ الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها» لو قال: الصحيحة المفيدة لهذه الصفات أو التي نستفيد منها هذه الصفات، بدل قوله: «الناطقة بهذه الصفات»؛ لأنّ كلمة «ناطقة» قد تستغرب، «كثيرة» جدًّا «يطول الكتاب بإحصائها»؛ فإنّ القرآن الكريم مليء بها فلعلّ أكثر الآيات مختومة بوصف أو وصفين من صفات اللَّه -تبارك وتعالى- أو اسم من أسماء اللَّه تعالى، مثل قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. . . والأحاديث كذلك كثيرة جدًّا؛ فعندكم كتاب التوحيد من صحيح البخاري، وأفردت كتب في العقائد لإثبات صفات اللَّه وأسمائه بأدلتها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذكر اتّفاق أئمة الملّة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها» أي بصفات اللَّه -تبارك وتعالى- الكثيرة التي تضمنها كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه. «وأكثرها مُخَرَّجٌ بالأسانيد الصحيحة» فأكثر هذه الأخبار الواردة بهذه الصفات مخرَّج بالأسانيد الصحيحة في الصحاح والمسانيد والمعاجم وغيرها، وقد يُفهَم من كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ أن هناك صفات ثابتة في السنة ولم ترد في الكتاب.

على كل حال: أهل الباطل يردون أخبار الآحاد في أبواب الاعتقاد ويقولون: أخبار الآحاد تفيد الظن، والعقيدة لا تبنى إلا على اليقين، فهذه الأخبار أخبار آحاد حتى أخبار الصحيحين!!

أخبار الصحيحين تلقتها الأمة بالقبول، وهي تفيد العلم، وكذلك أحاديث أخر خارج الصحيحين تلقتها الأمة بالقبول، والخبر إذا تلقته الأمة بالقبول تصحيحًا له وعملًا بموجَبه أفاد العلم اليقيني، نقل ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن أهل الحديث قاطبة، وعن كثير من أئمة المعتزلة والأشاعرة وعن أئمة المذاهب الأربعة والأصوليين وغيرهم، ولم يُخالف في ذلك إلا المتكلِّمون! وإن كان في المتكلِّمين من يخالفهم.

ويكفي إطباق أهل الحديث المتخصِّصين في سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- فهم أهل الفنّ، وأهل كل فنّ هم مرجع الأمة في ذلك الفنّ؛ فسيبويه وأمثاله هم مرجع النحاة وغيرهم من طلاب العلم في علم اللغة العربية، وأئمة التفسير هم مرجع الأمة من علماء وطلاب علم في تفسير القرآن فالذين يريدون

معرفة تفسير القرآن يرجعون إليهم، وأئمة الفقه هم مرجع الأمة علماء وطلاب علم في التفقه، فالمتفقهون يرجعون إليهم، وهكذا. . . ، فلكل فن رجاله، والحديث رجاله هم أئمة الحديث، هم الذين يقولون: هذه الأحاديث صحيحة، ويستيقنون مدلولاتها، فإليهم المرجع.

وإذا تشكّك أهل الكلام في دلالة هذه الأحاديث على الصحة؛ فلا عبرة بهم ولا يُلتفت إليهم وإلى ما يهرفون به سواء قالوا: أفادت الظن أو غير ذلك، وإنما العبرة بمن أفنى حياته في خدمة سنة النبي ﷺ حتى اصطبغ بها وجرت في دمائه؛ فيميِّز صحيحها من ضعيفها، ويجزم بأن هذا الحديث قد قاله النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه تلقاه عن الأئمة الحفاظ الثقات عن الحفاظ عن الحفاظ إلى أن يصل إلى أصحاب رسول الله ﷺ يروونه عنه -عليه الصلاة والسلام-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشرطُنا في أول هذا الكتاب الاختصار والاقتصار على أدنى المقدار دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدها الصحيحة عند نقلة الآثار ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار» وكأنه قدم اعتذاره دفعًا لما قد يقوله قائل: لماذا لم تسق الأدلة؟! يقول: طريقتي وشرطي أني التزمت الاختصار، وإذا أردتّ الأدلة فارجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ في الاستدلال على هذه الصفات وإلى ما دونته في كتابي «الانتصار»؛ لأنه ألّف كتابًا واسعًا كما يذكر- ما رأيناه -، لكن- على حسب ما يذكر- استوفى فيه الأدلة، وأما هذا فقد ألفه لطلاب العلم واختصره اختصارًا.

* * *

القرآن كلام الله غير مخلوق

«ويشهدُ أصحابُ الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام اللَّه وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام اللَّه ووحيه: هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون بشيرًا ونذيرًا؛ كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، وهو الذي بلَّغه الرسول ﷺ أمَّته، كما أُمِر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. فكان الذي بلغه كلامَه ﷻ، وفيه قال ﷺ: «أتمنعوني أن أبلِّغ كلام ربي» وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الألسنة ويُكْتَب في المصاحف، كيف ما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تُلِي، وفي أيِّ موضع قرئ أوكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها كلُّه كلام اللَّه ﷻ، وهو القرآن بعينه الذي نقول أنه غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر باللَّه العظيم».

الشرح:

القرآن كلام اللَّه والقرآن علمه والقرآن تنزيله؛ أخبر بذلك ربنا ﷻ في محكم كتابه؛ فالقائل بأن القرآن مخلوق يكذِّب اللَّه في أخباره بأن القرآن كلامه وصفته؛ لأن القرآن من علمه والكلام صفة من صفاته ﷻ.

فالمعتزلة والجهمية وغيرهم أنكروا أن يكون القرآن كلام اللَّه وأنكروا صفات اللَّه -تبارك وتعالى-، وذلك كله منهم قائم على أصول فاسدة، من أهمِّها: ذلكم الأصل الخبيث الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه ينبوع

البدع[1]، وهو قولهم واستدلالهم على خلق الكون بخلق الأجسام وخلق الأجسام بخلق الأعراض؛ فقالوا: إنّ الأجسام مخلوقة؛ لأنها لا تنفك عن الأعراض، والأعراض حادثة، وما لا ينفك عن الأعراض فهو حادث، واستدلوا على حدوث الكون بأنه جسم وكل جسم حادث ومخلوق، وبناء على هذا الأصل قالوا: إذا أثبتنا للَّه الصفات وأثبتنا له الكلام فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِم أَنْ يَكُونَ جِسْمًا واللَّه ينزه عن أن تقوم به الأعراض والحوادث- وهذه أعراض- والأعراض لا تقوم إلا بجسم، فيزعمون أنهم نزهوا اللَّه عن ذلك بناء على هذه الفلسفة الخبيثة التي هي ينبوع الضلال والفتن[2]!!

فصفات اللَّه تليق بجلاله ليست كصفات المخلوقين ولا نسمِّيها أعراضًا؛ وهم سمَّوْها أعراضًا لينفوها ويعطِّلوها! وهي ليست أعراضًا وإنما هي صفات كمال، ومن هذه الصفات: صفة الكلام؛ إذ تكلم اللَّه بالقرآن وتكلم بالتوراة وتكلم بالإنجيل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والمخلوقات كلها خُلِقت بكلامه ﷻ؛ فربنا ﷻ موصوف بالكلام قديمًا في الأزل ويتكلم متى شاء وإذا شاء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، خلق الأشياء كلها بكلامه؛ خلق السموات والأرضين والجنة

---

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (ج١/ ٣١٢) -محمد رشاد سالم.

(٢) قال في مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٥٣- ٤٥٤): وَأَمَّا الَّذِينَ قالوا إِنَّهُمْ أَثْبَتُوا الْقَدِيمَ مِنْ الجهمية وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ الْأَشْعَرِيَّةِ والكرامية الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِحُدُوثِ الْأَعْرَاضِ وَلُزُومِهَا لِلْأَجْسَامِ وَامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا عَلَى حُدُوثِ الْأَجْسَامِ فَهَؤُلَاءِ لَمْ يُثْبِتُوا الصَّانِعَ لِمَا عُرِفَ مِنْ فَسَادِ هَذَا الدَّلِيلِ حَيْثُ ادَّعَوْا امْتِنَاعَ كَوْنِ الرَّبِّ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ أَوْ فَعَّالًا لِمَا يَشَاءُ. بَلْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ امْتِنَاعُ كَوْنِهِ لَمْ يَزَلْ قَادِرًا. وَأَدِلَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الِامْتِنَاعِ قَدْ ذُكِرَتْ مُسْتَوْفَاةً فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَذُكِرَ كَلَامُهُمْ هُمْ فِي بَيَانِ بُطْلَانِهَا. . . وَهُمْ يُسَمُّونَ الصِّفَاتِ أَعْرَاضًا وَالْأَفْعَالَ وَنَحْوَهَا حَوَادِثَ. فَقالوا: الرَّبُّ يُنَزَّهُ عَنْ أَنْ تَقُومَ بِهِ الْأَعْرَاضُ وَالْحَوَادِثُ. فَإِنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا. قالوا: وَقَدْ أَقَمْنَا الدَّلِيلَ عَلَى حُدُوثِ كُلِّ جِسْم. فَإِنَّ الْجِسْمَ لَا يَنْفَكُّ مِنْ الْأَعْرَاضِ الْمُحْدَثَةِ وَلَا يَسْبِقُهَا وَمَا لَمْ يَنْفَكَّ عَنِ الْحَوَادِثِ وَلَمْ يَسْبِقْهَا فَهُوَ حَادِثٌ. وَقَدْ قَامَتْ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ وَأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ فَيَلْزَمُ عَلَى قَوْلِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ الْحَوَادِثَ وَلَمْ يَنْفَكَّ عَنْهَا. وَيَجِبُ عَلَى قَوْلِهِمْ [كَوْنُهُ] حَادِثًا. فَالْأَصْلُ الَّذِي أَثْبَتُوا بِهِ الْقَدِيمَ هُوَ نَفْسُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ بِقَدِيمِ وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ قَدِيمٌ.

والنار، هذه المخلوقات خلقها اللَّه -تبارك وتعالى- بكلامه ﷻ، وكلامه صفة قائمة بذاته تليق بجلاله وهو يتكلم متى شاء وإذا شاء ﷻ؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. ومن هذا الكلام: كلام اللَّه القرآن وكتبه المنزلة.

الشاهد: أن المعتزلة والجهمية وتابعهم الخوارج وغيرهم يقولون: إن كلام اللَّه مخلوق! وهذا كفر؛ لأنه ردٌّ لإخبار اللَّه -تبارك وتعالى- أنه تكلّم ويتكلّم بهذا القرآن؛ كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. فسمّاه كلام اللَّه، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]. وسمّاه قولًا وسمّاه حقًّا وسماه تنزيلًا وسمّاه كتابًا؛ كل هذه من أسماء القرآن.

ويحتج المؤلّف على أن القرآن كلام اللَّه ﷻ، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون بشيرًا ونذيرًا، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]. ما قال: «مخلوق رب العالمين»، وإنما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فليس خلقه، وإنما هو كلامه كلّم به جبريل، وجبريل بلّغه محمدًا ﷺ؛ كما أوحى الكتب السابقة المنزلة على الأنبياء؛ أوحاها إلى الملَك، والملَك بلّغها إلى الرسل الذين يرسله اللَّه -تبارك وتعالى- إليهم، وغالبًا هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]؛ نزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند اللَّه؛ بعد أن أوحاه اللَّه إليه؛، فبلّغه إلى الرسول ﷺ. فهذا من أدلة أهل السنة على أن القرآن كلام اللَّه وليس بمخلوق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو الذي بلّغه الرسول ﷺ أمّته، كما أُمِر به في قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

الذي أنزل إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- من ربه هو القرآن، وقد بلّغه -عليه الصلاة والسلام- تبليغًا أمينًا صادقًا فلم يكتم شيئًا؛ امتثالا لأمر ربّه ﷻ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

بلّغ الرسول -عليه الصلاة والسلام- القرآن الكريم وبيّن معانيَه وفسّرها لهم، قام بتبليغه على أكمل الوجوه -عليه الصلاة والسلام-، وأشهدَ على ذلك أمته يوم الحج الأكبر فقال: «**ألا هل بلّغت ألا هل بلّغت؟** قالوا: نعم. قال: **اللّهم اشهد** -ثلاثًا-»[(١)].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكان الذي بلَّغه كلامَه ﷻ، وفيه قال ﷺ: «**أتمنعوني أن أبلّغ كلام ربي**[(٢)]؟!!».

قال: «كلام ربي» لم يقل: مخلوق ربي، فهذا من أدلة أهل السنة على أن القرآن كلام اللّه وليس بمخلوق، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة ويُكْتَب في المصاحف كيفما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تُلِي، وفي أيِّ موضع قرئ أوكتب في مصاحف أهل الإسلام...»

فالقرآن كلام اللّه ﷻ «كيفما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ»؛ إذ القراءة

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري [رقم (٤٤٠٣)، كتاب المغازي والسير]، وأخرجه مسلم [رقم (٦٦)، كتاب الإيمان] مختصرا بدون ذكر التبليغ والإشهاد، من رواية ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠) والبخاري في «خلق أفعال العباد» برقم (١٥٧) وأبو داود برقم (٤٧٣٤) والترمذي برقم (٢٩٢٥) وابن ماجه برقم (٢٠١)، وقال الترمذي: «حديث غريب صحيح»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٢-٦١٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، قال الألباني في «الصحيحة»: [(٤/ ٥٩١)، برقم (١٩٤٧)]: «هو على شرط البخاري».

غير المقروء؛ فالقراءة هي فعل العبد والمقروء هو كلام اللَّه.

«وحفظ حافظ» والحفظ في الصدور فالصدور تحفظ، والمحفوظ غير الحفظ؛ فالمحفوظ كلام اللَّه. «أو كتب في مصاحف أهل الإسلام» ويُكتب في الصحف والمصاحف، والكتابة غير المكتوب؛ فالكتابة من أفعال العباد والمكتوب كلام اللَّه ﷻ. في كل هذه الأحوال هو كلام اللَّه ﷻ، وهو القرآن بعينه الذي نقول إنه غير مخلوق.

فـ «كلام اللَّه» كتِب أو قرئ أو حُفِظ هو كلام اللَّه وإن كانت هذه الأفعال مخلوقة، لكن المحفوظ غير الحفظ والمكتوب غير الكتابة والمقروء غير القراءة.

والمصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يردّ على الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، فبين أنّ الملفوظ غير اللفظ والمنطوق به غير النطق والمكتوب غير الكتابة ردًّا على هؤلاء الذين يشبِّهون بمثل هذا المتشابه من الكلام.

ثم ساق الأدلة من القرآن على أن القرآن كلام اللَّه؛ وأتى بكلام أئمة الإسلام المعتَبَرين؛ الذين هم شهداء اللَّه في الأرض وأمناؤه على دينه فقالوا: إن القرآن كلام اللَّه، بخلاف أهل البدع والضلال؛ فإنهم يخالفون كتاب اللَّه وسنة الرسول ﷺ ويخالفون علماء الأمة؛ علماء السنة أهل الحديث، فكلامهم باطل لا يستند إلى كتاب ولا إلى سنة ولا إلى عقل ولا إلى وعي ولا إلى فهم، وإنما عمدتهم الهوى والفلسفات الباطلة.

* * *

قال الشيخ أبو عثمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت شيخنا الحاكم أبا عبد اللَّه الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: سمعت الإمام أبا الوليد حسّان بن محمد يقول: سمعتُ الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، فمن قال: «إن

القرآن مخلوق» فهو كافر بالله العظيم، لا تُقبَل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يُصلَّى عليه إن مات، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضُرِبَت عنقه».

الشرح:

فهذا الإمام الصابوني ينقل بإسناده عن شيخه الحاكم أبي عبد الله وهو من أئمة الحديث رَحِمَهُ اللَّهُ. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد» وهذا من أئمة الإسلام الأعلام «يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة» وهو المشهور المعروف: صاحب كتاب التوحيد وغيره من المؤلفات الكثيرة؛ الذي سمّوه: إمام الأئمة رَحِمَهُ اللَّهُ «يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: «إن القرآن مخلوق» فهو كافر بالله العظيم»؛ لأنه كذّب القرآن، القرآن كلام الله وكلام الله صفته وصفاته غير مخلوقة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تُقبل شهادته ولا يُعاد إن مرض ولا يصلَّى عليه إن مات، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ويُستتاب فإن تاب وإلا ضُرِبت عُنُقُه»

وهنا لا بد من بيان شيء وهو: أن من قامت عليه الحجة فهو كافر وتنطبق عليه هذه الأحكام، ومن يُقلِّد في ذلك وهو جاهل هذا يكون ضالًا مبتدعًا لكن لا نكفِّره، وإذا قلنا في حقِّه: كَفَر؛ فهو كفر دون كفر؛ هذا في الجهّال.

وأئمة الإسلام ساروا عل هذا، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في هذا الباب لم يكن يُكفِّر المأمون ولا كثيرًا من الحكام والقضاة وغيرهم، وإنما يكفّر أساطينهم وشياطينهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٩): «ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحلّلهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو

كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع.

وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفِّروا المعيّنين من الجهمية الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق، وإن اللَّه لا يُرى في الآخرة.

وقد نُقل عن أحمد ما يدل على أنه كفّر به قومًا معيّنين، فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر أو يحمل الأمر على التفصيل؛ فيقال: من كَفَّره بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه، ومن لم يكفِّره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم.

والدليل على هذا الأصل الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار».

فلا بد من فهم هذا؛ لأنه عندنا - الآن- أناس يقولون: إن القرآن مخلوق، وهم الأشاعرة وبقايا المعتزلة؛ فهل خرجوا من دائرة الإسلام؟! نقول: من قامت عليه الحجة فهو كافر، ومن لم تقم عليه الحجة ولم يفقه هذا الباب فهو ضالّ مبتدع، لكن لا نكفِّره، فالإمام أحمد وعبد العزيز الكناني والبغوي وغيرهم من أئمة الإسلام يقولون: يُطلق عليهم الكفر على وجه العموم، وأما عند التعيين فلا يكفَّر إلا من قامت عليه الحجة. وإذا وقع الإنسان في مكفِّر سواء في القول بخلق القرآن أو غيره فلا بد من هذا التفصيل.

وهذا التفصيل هو مذهب السلف؛ أنّ الذي يقول: القرآن مخلوق؛ كافر على وجه العموم، وعندما نحكم على معيّن، مثل: زيد أو عمرو وهو يقول بخلق القرآن أو ينكر رؤية اللَّه، لكنه يؤمن بالقرآن وبالسنة وبالجنة وبالنار ويرى نفسه مسلمًا ويجاهد. . وإلى آخره؛ نقول له: اعتقادك هذا اعتقاد كفر، وإذا قامت عليك الحجة وأصررت على هذا الباطل فأنت كافر، ونسوق الأدلة من القرآن والسنة على أن هذا القول كفر، فإن رجع وتاب فالحمد للَّه وهذا هو المطلوب،

وإن أصرّ على رأيه فهو كافر يُستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه.

* * *

قال الشيخ أبو عثمان: «فأما اللفظ بالقرآن؛ فإنّ الشيخ أبا بكر الإسماعيليّ الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان قال فيها: إن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن.

وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه «الاعتقاد» الذي صنّفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة: القولُ بأنّ القرآن كلام اللَّه سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال: مخلوق؛ فهو كافر باللَّه العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم اللَّه عَجَّلَ به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوقٌ؛ فهو جاهلٌ ضالٌّ كافرٌ باللَّه العظيم.

قال الشيخ الإمام أبو عثمان: وإنما ذكرتُ هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه، فإنه اتّبع السّلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في علم الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدُّمه وتبرُّزه عند أهله.

قال الشيخ: أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قرأتُ بخط أبي عمرو المستملي سمعت أبا عثمان سعيد بن أشكاب الساش يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم بنيسابور عن اللفظ بالقرآن فقال: «لا ينبغي أن يُنَاظَر في هذا! القرآن كلام اللَّه غيرُ مخلوق».

الشرح:

بعد بيانه الحكم فيمن يقول بخلق القرآن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما اللفظ بالقرآن» أي الذي يتستّر ويقول: لفظي بالقرآن مخلوق ماحكمه؟!

يقول الإمام أحمد: إنه جهميّ؛ مثل الجهمية! وبيّن ذلك الإمام إسماعيل

ابن عبد الرحمن الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ -كما سيأتي-: أن الجهمية كانوا يصرِّحون بـ «أن القرآن مخلوق»؛ لأن الدولة كانت معهم والصولة والجولة بأيديهم فكانوا يجاهرون بـ «أن القرآن مخلوق» بل سَجنوا وقَتلوا وضَربوا، فلمّا ذهبت دولتهم في عهد المتوكِّل- رحمه اللَّه وجزاه اللَّه خيرًا -؛ لجئوا إلى الطرق الملتوية؛ لمّا لم يستطع أحدهم أن يجاهر ويقول: إن القرآن مخلوق، صار يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق»، ويريد أن القرآن بلفظه هذا: مخلوق؛ ليتوصل إلى القول بأن القرآن مخلوق.

فهذا جهمي وإن الْتَوَى وتستّر واستخدم التقية والأسلوب الماكر، هو جهميّ ولا ينفعه هذا التستّر، وإلاّ لماذا يقول: لفظي بالقرآن مخلوق وهو يجب عليه أن يقول: القرآن كلام اللَّه؟!! ما الداعي إلى أن يحدث ويقول: لفظي أو غير لفظي؟!!

إذا كان منتسبًا إلى السنة فليقل: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، وإن كان جهميًّا فليصرِّح ويقول: «القرآن مخلوق»، وله حكمه بعد ذلك.

فكثير من أهل البدع يتستّرون بهذه الأساليب يقول لك: أنا سلفيّ! ولكن عنده منهج آخر ويأتي بالعبارات المموِّهة ليوهم الناس أنه سلفي وهو خلفيّ! فأكثر أهل البدع يقولون: إنهم أهل السنة، وعندهم بدع وضلالات، ويتستّرون بعبارات وتصرفات ومواقف، لكن عند التمحيص والوقوف على حقائق الأشياء يتبيّن أنهم أهل أهواء وأهل ضلال.

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بيِّنات فأبناؤها أدعياء

هم يقولون: إنهم من أهل السنة؛ إن كانوا صادقين أنهم من أهل السنة فليقولوا: القرآن كلام اللَّه، وليكفِّروا من يقول: القرآن مخلوق مثلما كفَّرهم أهل السنة، ولا يلفّوا ويدوروا ويقولوا: لفظي بالقرآن مخلوق!

قال الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عرف مكرهم

وكيدهم وأنهم يقولون هذا مكرًا وتسترًا وفرارًا من أن يوصموا بأنهم جهمية؛ فيزدريهم الناس ويسقطون في المجتمع. .إلى آخره، فيتسترون بهذه الألفاظ؛ فقال الإمام أحمد ومن معه: إنّ من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهميّ، بل هو شر من الجهمية. لماذا؟! لأنهم يشبهون المنافقين؛ فالمنافق لا يجهر بنفاقه؛ بل يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ويصلي مع الناس وقد يخرج إلى الجهاد وهو أكفر من الكفار وهم في الدرك الأسفل من النار! فهؤلاء شرّ من الكفار وهؤلاء شر من الجهمية لماذا؟ لأنهم اعتقدوا عقيدة الجهمية في أن القرآن مخلوق لكن يَسْتُرون هذه العقيدة بقولهم: لفظي بالقرآن مخلوق!

ثم جاء أناس ينتمون إلى السنة ووقعت عندهم شبه -مساكين-؛ يقولون: «كلام اللَّه» ويسكتون ولا يقولون: «غير مخلوق». نعم! قبل وجود هذه الفتنة يسعهم أن يقولوا: القرآن كلام اللَّه ويسكتوا. أما بعد أن حدثت هذه الفتنة: وحصلت فيها الدماء، وانتهكت فيها الأعراض، وشُرِّد أهل السنة من أجل القول بأن القرآن كلام اللَّه، وحصل لهم من الجهمية ما حصل؛ يأتي هؤلاء ويسعهم أن يقولوا: القرآن كلام اللَّه ويسكتوا؟! لا، لا يسعهم ذلك؛ لأنّ هذا قرينة[1] على أنهم لا يؤمنون بأن القرآن كلام اللَّه فيقولون مثلما تقول الجهمية؛ حتى الجهمية من أساليبهم يقولون: القرآن كلام اللَّه يعني: مخلوق اللَّه مثل ناقة اللَّه وبيت اللَّه!! فإذا جاء شخص يدّعي السنة في وقت اشتدت فيه الفتنة على أهل السنة مثلًا يقول: القرآن كلام اللَّه، نقول له: قل: غير مخلوق، فيقول: لا أقول

(١) قال الإمام الآجري في «الشريعة» (١/ ٥٢٧-٥٢٨رقم١٨٧): «حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد يُسأل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام اللَّه، ثم يسكت؟ فقال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟ قال محمد بن الحسين: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام اللَّه تعالى؟ فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيًا، شاكًا في دينه» والأثر في (مسائل أبي داود-ص٢٦٣-٢٦٤).

مخلوق أو غير مخلوق، لماذا؟ ما الذي يمنعه؟ فلا بد من أن هناك شيئًا؛ هذا قرينة، فإما أن يقول: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق؛ لأن هناك أمةً أمامه تقول: القرآن مخلوق. وإمّا أنه جهميّ وإلاّ فلماذا لا ينفي هذه الصفة الذميمة عن كلام اللَّه ﷿، ما الذي يمنعه أن ينفيها ويرد هذا الباطل؟!!

في الأصل- أي: قبل نشوء الفتنة- كان يكفي الإنسان أن يقول: «القرآن كلام اللَّه»، لكن لما حدثت الفتنة وحصل ما حصل من المحن لأهل السنة، وصار الناس يمتحنون بسؤالهم عن القرآن: هل هوكلام اللَّه غير مخلوق أو هو مخلوق؟ فأهل السنة يقولون: كلام اللَّه غير مخلوق، والجهمية يقولون: «القرآن مخلوق»، ثم صاروا يقولون: «القرآن كلام اللَّه» ويريدون به أنه من مخلوقات اللَّه مثل ناقة اللَّه وبيت اللَّه، فإضافة القرآن عند الجهمية إلى اللَّه ﷿ إضافة مخلوق إلى خالقه ليست كالإضافة التي يقولها أهل السنة ويعتقدونها؛ إذ إنّ أهل السنة يقولون: «القرآن كلام اللَّه» قبل أن تحدث الفتنة فلما حدثت قالوا: «القرآن كلام اللَّه غير مخلوق» ردًّا على من يقول: إن القرآن مخلوق.

والمقصود: أنّ أهل الفتن دائمًا يحدثون أشياء وأشياء -والعياذ باللَّه-، ومن ذلك أنهم يحدثون وسائل يتذرعون بها إلى نشر بدعهم وإشاعتها، فممّا أحدثه الجهمية بعد هذه الفتنة شيئان:

الأوّل: إما أن يقولوا: «إنّ القرآن كلام اللَّه» ويسكتون، ويقصدون به أنه مخلوق للَّه، ولا يقصدون ما اعتقده أهل السنة؛ والقرينة على ذلك أنك إذا قلت لأحدهم: قل: غير مخلوق يقول: لا. لماذا لا يقول غير مخلوق والفتنة أمامه تتأجج؟ فلا يقف عند القول بـ«أن القرآن كلام اللَّه»، ولا ينفي عنه كونه مخلوقًا؛ إلا وفي نفسه مرض بعد حدوث هذه الفتنة!

الثاني: وإما أن يقولوا: «لفظي بالقرآن مخلوق»، ويريدون أن القرآن مخلوق؛ لأنّ كلمة «لفظ» كلمة مجملة؛ تحتمل أن يُراد بها: «الملفوظ به»،

وتحتمل أن يراد بها: «نفس اللفظ»، فإذا أطلقها؛ فإنه في الغالب يريد: أن الذي أتلفظ به- وهو القرآن -: مخلوق! فيقول له أهل السنة: اترك قولك: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ لأنّ هذا بدعة، وإلا فأنت بقولك هذا إما أن تكون جهميًّا وإما أن تجاري الجهمية؛ فاترك هذا اللفظ ولا تقل: «لفظي بالقرآن مخلوق»، وقل: «القرآن كلام اللَّه غير مخلوق».

فهذان الأمران من وسائل أهل البدع التي يتذرّعون بها إلى القول بأن القرآن مخلوق، ولما نجمت هذه الالتواءات وهذه الحيل وهذه الألفاظ واجهها أهل السنة[1] بفقه وعلم.

* * *

«وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الاعتقاد» الذي صنفه في هذه المسألة وقال: «أما القولُ في ألفاظ العباد في القرآن فلا أثر فيه نعلمُه عن صحابيّ ولا تابعيّ إلا عمّن في قوله الغنى والشفاءُ، وفي اتِّباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى أبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن أبا إسماعيل الترمذي حدَّثني قال: سمعتُ أبا عبد اللَّه أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «اللفظيةُ جهميةٌ»، قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ممّن يسمع؟!.

قال: ثم سمعتُ جماعةً من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. قال محمد بن جرير: «ولا قولَ في ذلك عندنا يجوزُ أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا فيه إمامٌ نأتم به سواه، وفيه الكفايةُ والمَقْنَع، وهو الإمام المتّبع رحمة اللَّه عليه ورضوانه عليه». هذه ألفاظُ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها إلى ما هاهنا من

---

(١) قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية» (٦١): «الكلام لايعارض بالسكوت، والشك لايداوى بالوقوف». وقد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة وذكر أن هذا من فطنته «الفتاوى» (١٧/ ٣٤).

كتاب «الاعتقاد» الذي صنفه.

قلت: وهو- أعني محمد بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نُسِب إليه وقُذِف به من عُدُولٍ عن سبيل السّنّة، أو ميلٍ إلى شيءٍ من البدعة، والذي حكاه عن أحمد -رضي اللّه عنه وأرضاه- أن اللفظية جهميةٌ فصحيحٌ عنه، وإنما قال ذلك؛ لأن جهمًا وأصحابه صرَّحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرَّجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهلَ السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فأدرجوه في هذا القول ذي اللبس؛ لئلا يُعدُّوا في زمرة جهم؛ الذين هم شياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض زُخرُف القول غرورًا، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهمية، وحُكي عنه أيضًا أنه قال: «اللفظية شرٌّ من الجهمية».

الشرح:

فهذا ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماذا يقول في هذا العبارة: «لفظي بالقرآن مخلوق»؟ يقول: «أما القولُ في ألفاظ العباد في القرآن فلا أثر فيه نعلمُه عن صحابيّ ولا تابعيّ إلا عمّن في قوله الغنى والشفاءُ، وفي اتِّباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى أبي عبد اللّه أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ» أي: ليس عندنا شيء منصوص من القرآن والسنة ولا أثر عن صحابي ولا تابعي، نعتمد عليه في القول بأن هذا اللفظ بدعة وأنه تجهم، وإنما قدوتنا فيه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ حجة عندنا في هذه القضايا؛ لأنه عارك الجهمية وعرف أساليبهم وعرف مقاصدهم فهو إمام مقنع وحجة متّبع في هذا الباب، وليس معناه أنه يقصد أن الإمام أحمد معصوم في كل ما يقول! إنما في هذه القضية بالذات مسلَّم له؛ لأنه يتكلم بحق وعن معرفة وخبرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه منزلة عظيمة للإمام أحمد يعترف بها ابن جرير وغيره؛ وابن جرير ذاك الإمام العظيم في التفسير والحديث والفقه والفنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينزل الإمام أحمد هذه

المنزلة العظيمة ويقول: ليس لنا إمام غيره وفيه مقنع وهو يقوم مقام الأئمة.

قد يُفهم من هذا الكلام أننا نقلِّد أحمد ونغمض عيوننا ونقول: قال أحمد فقط. لا، لا نقلّد أحمد مثل هذا التقليد! فإنّ أحمد عنده أدلة وقرائن؛ أحمد قال هذا مستندًا إلى واقع وإلى قرائن تدين هؤلاء بأنهم يريدون بقولهم: «لفظي بالقرآن مخلوق»: أن القرآن مخلوق؛ فلهذا اعتبرهم جهمية.

فنحن لا نقلّد الإمام أحمد مجرد تقليد، بل لأن عنده أدلة عقليةً، وعنده قرائن وأشياء، فليس المراد أننا نقلد الإمام أحمد مجرد تقليد دون أن نفقه، لا! بل عرفنا من واقع هؤلاء ومن القرائن: أنهم لا يريدون بقولهم: «لفظنا بالقرآن مخلوق» إلا أن القرآن مخلوق، فلهذا قال: اللفظية شر من الجهمية؛ لأن أولئك الجهمية صرحاء، وهؤلاء أساليبهم أساليب المنافقين؛ لا يجهرون بما جهر به أهل السنة، ولا يجهرون بما جهر به الجهمية، وإنما يستخدمون ألفاظًا يغطّون بها ويسترون بها بدعتهم، ومن هنا قال: هم شر من الجهمية؛ لأن حالهم حال المنافقين.

وإذا تأمل المنصف في قول الإمام أحمد: «اللفظيةُ جهميةٌ».. وقوله: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع»..، وما حُكي عنه أيضًا أنه قال: «اللفظية شرٌّ من الجهمية». في ضوء هذا الكلام الذي يقوله الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن كلام الإمام أحمد لا غبار عليه في دمغ هؤلاء بأنهم من فروع الجهمية وأنهم مبتدعة أو شر من الجهمية أحيانًا. لماذا شر من الجهمية؟ لأن الجهميّة صرحاء في الأيام التي كان يمكنهم أن يكونوا فيها شجعانًا وصرحاء؛ فصرحوا وقالوا: القرآن مخلوق. أما هؤلاء فيلفلفون ويتحايلون ويتستّرون وراء الألفاظ؛ فبدَّعوهم.

* * *

«وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن «من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع» فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُحوِجْهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمُّق وذوي الحمق؛ الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد: هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتديِّن أن يَدَعَه وكلّ بدعة مبتدَعة، ولا يتفوَّه به ولا بمثله من البدع المبتدَعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتّبَعَة: أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه.

قال: وأخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه الحافظ- رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «التاريخ» الذي جمعه لنيسابور وعلمائها عند ذكر إمام المسلمين «-» عبد اللَّه بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد اللَّه الجراحيُّ بمرو، حدثنا يحيى بن ساسويه عن أبيه عبد الكريم اليشكري قال: قال وهب بن زمعة: أخبرني علي الباساني قال: سمعت عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «من كفر بحرف من القرآن فقد كفر؛ يعني بالقرآن، ومن قال: لا أؤمن بهذا الكلام فقد كفر».

الشرح:

أصل هذه المسألة إنكار أن يُقال: القرآن كلام اللَّه؛ أنكرت الجهمية ومن تابعها أن يكون القرآن كلام اللَّه وقالوا: إنه مخلوق! وخالفوا بذلك نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان؛ إذ ما كانوا يعتقدون إلا أن القرآن كلام اللَّه؛ تكلم به جَلَّ جَلَالُهُ؛ أوحاه إلى جبريل وبلغه جبريل إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وما كان يدور بخلد أحد منهم أن هذا القرآن مخلوق.

ولكن أهل الضلال والزنادقة الذين يندسّون في صفوف المسلمين ويتكلمون باسم الإسلام يخترعون مثل هذه الكفريات! فعطلوا صفات اللَّه:

أنكروا علو اللَّه على العرش، وأنكروا علمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره؛ هذه الصفات العظيمة التي امتلأت بها نصوص القرآن والسنة عطلوها- والعياذ باللَّه- وحاربوا السنة بأصول فاسدة!

منها: أن السنة أخبار آحاد ليتخلّصوا مما دلت عليه من عقائد من صفات اللَّه ومن غيرها! وهذا من أعظم المكائد لدين اللَّه الحق.

ومنها: أنهم ردّوا أقوال السلف التي نقلت عنهم بأنهم كانوا يدينون بصفات اللَّه تعالى وغيرها من العقائد بما في ذلك أن القرآن كلام اللَّه؛ تكلم به ﷻ، بدعوى: أنهم رجال ونحن رجال.

إنّ آيات القرآن متضافرة على إثبات صفة الكلام للَّه ﷻ؛ فنصوص القرآن مليئة؛ بـ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾، ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾، فما معنى﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾إلا أن اللَّه يتكلّم، وقال -تبارك وتعالى-: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ هذه الآية فيها تأكيد بأنّ اللَّه يوصف بالكلام حقيقة.

إنّ عند هؤلاء الضلال فيما يقررونه في قواعد اللغة: أنّ الكلام إذا أكِّد ينتفي عنه احتمال المجاز، وهم يقولون: المجاز، المجاز. يخاصمون به أهل السنة!! لكن أراد اللَّه أن يفضحهم فقعّدوا قواعد تدينهم بالضلال.

فمثلًا صفة الرحمة وصف اللَّه بها نفسه في أكثر من خمسمائة آية، هذا غير الأحاديث، فيها التكرار وفيها التأكيد في هذه المواضع كلها، فبقاعدتهم نضربهم ونحجّهم: التكرار والتأكيد يرفعان احتمال المجاز[1]، نقول لهم: أنتم نفيتم صفة الرحمة عن اللَّه ﷻ بزعم أن الرحمة هي ضعف ورِقّة في القلب- قاتلهم اللَّه -! واللَّه؛ إنّ الضعيف إذا رحم لا يُقال له: رحيم لأنه ضعيف عاجز،

(١) وقال أبو العباس: التَّوْكِيدُ: دخل في الكلام لإخراج الشك، وفي الأعداد لإحاطة الأجزاء، . ومن ذلك أن تقول: كلّمني أخوك فيجوز أن يكون كلمك هو أو أمر غلامه بأن يكلمك، فإذا قلت: كلّمني أخوك تكليمًا لم يجز أن يكون المكلم له إلا هو. . تهذيب اللغة (٣/ ٣٩٨) للأزهري.

لكن لا يوصف بالرحمة إلا القادر ﷻ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فكيف تشبه صفة المخلوق وتدل على الضعف؟!!

فعلى قواعدكم: اللَّه ﷻ يوصف بالرحمة حقيقة لا مجازًا؛ لأنّ اللَّه وصف نفسه في القرآن أكثر من خمسمائة مرة بالرحمة؛ إذ يفتتح كتابه ﷻ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وهذه البسملة هي في أوّل كل سورة إلا سورة براءة، وذكرها تعالى في أثناء سورة النمل، ؛ فكرر اللَّه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في القرآن (١١٤) مرة، ونص على أنه ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في آي كثيرة، وأنتم تقولون: إن التكرار يمنع احتمال المجاز!!! وهذا تأكيد وتكرار؛ فالتأكيدات لوصف اللَّه نفسه بأنه ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كثيرة جدًّا، من أول البسملة التي صدِّر بها القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيها تأكيد، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيها تأكيد، وهكذا...

إذن؛ لا حجة لهم لا في اللغة ولا في القرآن ولا في السنة ولا في العقل ولا في الفطرة ولا في شيء! إنما هي الأهواء -والعياذ باللَّه-، فإذا خصمتهم بهذه القواعد لا يستسلمون! مع أنهم هم الذين وضعوا هذه القواعد!

ونقول لهم: إنّ اللَّه كرر في القرآن أنه يتكلم وأخبر أنه قال ويقول؛ ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ و﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، فهنا جاء بمصدر مؤكِّد[1] لـ«كلّم»؛ فقال: «كلّم تكليمًا»؛ هذا من

(١) وقال أحمد بن يحيى في قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: لو جاءت كَلَّمَ اللَّه مُوسَى مجردة لاحتمل ما قلنا وما قالوا يعني المعتزلة فلما جاء تكليمًا خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام وخرج الاحتمال للشَّيْئين والعرب تقول إذا وُكِّد الكلامُ لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتوكيدُ بالمصدر دخل لإخراج الشك. (اللسان: ج١٢/ ٥٢٢/ مادة: كلم).
قال أبو العباس: التوكيدُ دخل في الكلام لإخراج الشَّكِّ وفي الأَعْدادِ لإحاطةِ الأَجْزاء ومن ذلك أن تقول كلَّمني أخوك فيجوز أن يكون كلمك هو أو أَمَر غلامه بأن يكلمك فإذا قلت: كلمني أخوك تَكْليمًا لم يجز أن يكون المكلّم لك إلا هو. «اللسان ٣/ ٤٦٦ مادة: وَكَد».

الحجج عليكم فسلِّموا لأنكم أنتم وضعتم هذه القاعدة، أنتم وغيركم! وهم لا يكابرون فيها؛ لا يقولون: هذه القاعدة غير صحيحة فيسلِّمون بصحتها لكن لا يلتزمونها؛ لأن المسألة مسألةُ هوى، وليست مسألةَ قصد الحق ثم إذا وقف على الحق وظهرت له الحجة يرجع عن باطله، إنما له هدف معيّن وله قصد معيّن لا يتزحزح عنه -والعياذ بالله-.

الشاهد: أنه نشأ عن القول بخلق القرآن فتنة عظيمة؛ آذوا الإمام أحمد في هذه المسألة أذى شديدًا وآذوا أهل السنة، وكان الإمام أحمد أعرف بالمبتدعة وأصولهم وقواعدهم وألاعيبهم وحيلهم في كل الأبواب، وخاصة في باب قول المبتدعة بخلق القرآن -والعياذ بالله-.

فأهل السنة يقولون: القرآن كلام الله، والمبتدعة من الجهمية والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وامتحنوا الإمام أحمد وآذوه وسجن وضرب وجرى عليه ماجرى، ثم نصره الله -تبارك وتعالى-؛ تعاقب عليه ثلاثة خلفاء وأعوانهم من الجهمية من قضاة ومن أمراء ومن... إلى آخره على هذا الإمام الجبل الأشم رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان يقول لهم: القرآن كلام الله ويجادلونه بحجج وسفسطات وكلام فارغ فيقول لهم: ائتوني بشيء مما قاله الله أو قاله رسوله -عليه الصلاة والسلام- فيعجزون أو يُلَبِّسُون ببعض الأشياء! فيردها عليهم رَحِمَهُ اللَّهُ، وصبر على السجن والضرب والاضطهاد، ثم أزاح الله هذه الغمة وكشفها عن الأمة وعن أهل السنة خاصة؛ بأن قيض الله الخليفة «المتوكل»؛ الرابع بعد المأمون وبعد قيام الفتنة فنصر الله به أهل السنة وأوقف القول بخلق القرآن بقوة السلطان؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فأهل البدع لا يردعهم إلا السيف ولا يردعهم إلا السلطة القوية الحازمة، أما الحجج فلا تنفعهم إلا من أراد الله له الهداية، فأوقف القول بخلق القرآن واضطهد بعض القائلين به، ورفع من شأن الإمام أحمد فكان يستشيره ويعظِّمه ويعظم أهل السنة؛ كان يعظم الإمام أحمد تعظيمًا كبيرًا فوق

الأمراء والوزراء رَحِمَهُ اللَّهُ، اللَّه رفع شأنه بالحق والصبر على مرّ الأذى الذي ناله في الدفاع عن كتاب اللَّه وعن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

القرآن كلام اللَّه، القرآن من علم اللَّه -تبارك وتعالى-؛ قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة١٢٠]. يعني: القرآن من علم اللَّه، ولهذا كان يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ناظروهم- أي القدرية النفاة- بالعلم فإن أقروا به خُصِموا وإن جحدوه كفروا»؛ لأن الذي ينكر علم اللَّه كافر والذي يقول: القرآن مخلوق كافر، إلا أن الأغبياء المتأخرين لا نستطيع أن نحكم عليهم بالكفر حتى نقيم عليهم الحجة؛ لأن الشبه تراكمت عليهم وكثرت؛ هم يقرءون في كتب كثيرة فيجدون هذه التلبيسات! فلا بد من إقامة الحجة عليهم وإلا: فإنّ القضية خطيرة؛ كفر وخروج من الإسلام؛ لأنّ القول بأن القرآن مخلوق تكذيب للَّه -تبارك وتعالى- وتكذيب للقرآن الذي ينص أنه كلام اللَّه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. فكلام اللَّه هو القرآن، والحجج كثيرة جدًّا على أن القرآن كلام اللَّه.

ثم كما ذكرنا؛ نصر اللَّه أهل السنة واختفى أهل البدع؛ اختفوا في الجحور كعادتهم! ثم بدءوا ينفثون السموم في حياة الإمام أحمد؛ يقولون: القرآن كلام اللَّه ويسكتون، فقال الإمام أحمد فيهم: إنهم جهمية؛ لأنّ الذي يقول: القرآن كلام اللَّه ويسكت هذا قرينة على أنه جهمي لأنّ الجهمية كانوا يقولون: القرآن مخلوق وبعدما ذهبت دولتهم صاروا لا يستطيعون أن يقولوا: القرآن مخلوق- كما كانوا يقولون في السابق-؛ فصاروا يتدسسون ويتسترون وراء هذه الألفاظ ويقولون: القرآن كلام اللَّه ويسكتون خوفًا من السيف؛ خوفًا على أنفسهم وخوفًا أن يقال فيهم: جهمية فيأتيهم العقاب الشديد إما القتل أو السجون والاضطهاد.. إلخ.

إنما كان ينفعهم أن يقولوا: القرآن كلام اللَّه ويسكتوا قبل ظهور الفتنة التي أتت على الأخضر واليابس وتميّز فيها أهل السنة عن أهل البدعة؛ بأن أهل البدع يقولون: القرآن مخلوق، وأهل السنة يقولون: القرآن غير مخلوق ويقولون: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق. أما بعد هذه الفتنة؛ فالذي يقول: القرآن كلام اللَّه ويسكت هذا قرينة على أنه جهمي وأنه متحايل وأنه يعتقد أن القرآن مخلوق! حتى ولو قال: كلام اللَّه؛ لأنه يقصد: مخلوق اللَّه، فهي مثل ما يقول: ناقة اللَّه وبيت اللَّه!! أضيفت إلى اللَّه ﷻ إضافة المخلوق إلى خالقه، فالقرآن عندهم من هذا الباب؛ من باب إضافة المخلوق إلى الخالق- قاتلهم اللَّه- فعرف الإمام أحمد مكيدتهم وعرف ألاعيبهم؛ فقال فيمن يقول: القرآن كلام اللَّه وسكت في تلك الأحوال العصيبة التي يتميز فيها أهل السنة بأنهم يصدعون بالقول بأن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق؛ فإذا كنت من أهل السنة ما الذي يمنعك أن تقول: غير مخلوق؟ لا يمنعك إلا لأنك مريض بمرض الجهمية!

وظهر أناس آخرون يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق! ماذا يريدون؟ يريدون بهذا اللفظ -أيضًا-: أن القرآن مخلوق! يوهم الناس أنه يؤمن بأن القرآن كلام اللَّه وأن لفظه مخلوق ولكن قصده غير هذا، قصده من قوله: «لفظي بالقرآن مخلوق»: ملفوظي؛ لأن كلمة اللفظ مشتركة؛ تطلق على «اللفظ» وهو الفعل والنطق، وتطلق على «الملفوظ به» وهو الشيء المتكلَّم به وهو القرآن فعرف مغزاهم فقال: هؤلاء جهمية!

فالذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق عنده حيلة!! والذي يقول: القرآن كلام اللَّه ويسكت عنده حيلة!! وإلا فما الداعي أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ ليقل: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق وانتهى الكلام لا يلف ويدور؛ لهذا سمى الإمام أحمد ووصف من يقول: كلام اللَّه ويسكت في ذلك الوقت بعد المحنة وصفه بأنه جهميّ، ووصف من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق بأنه جهميّ وبأنه

مبتدع؛ لأنه يعرف مخاطر ودسائس ومكائد الجهمية ومن أصيب بشيء من التجهم فرحمه اللَّه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن «من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع» فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُحوِجْهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمُّق وذوي الحمق؛ الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد: هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتديِّن أن يَدَعَه وكلّ بدعة مبتدَعة، ولا يتفوَّه به ولا بمثله من البدع المبتدَعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتَّبعَة: أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه».

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيب على قول بعض الناس: ما هي وجهة نظر أحمد في تبديعهم؟ كيف بدعهم أو حكم عليهم بأنهم جهمية أو شر من الجهمية؟!

قال: لأنهم ليس لهم سلف، ليس لهم سلف في هذا اللفظ؛ واللَّه تَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. لماذا تترك سبيل المؤمنين وتخترع سبلًا أخرى وطرقًا للفتن والمشاكل؟!! بدّع الإمام أحمد هؤلاء وضللهم وحكم عليهم بهذه الأحكام الحاسمة الشديدة لأنهم ليس لهم سلف.

ومثل هؤلاء- في هذا العصر- «أهل جنس العمل» الذين أدخلوه في الإيمان؛ ليهلكوا أهل السنة ويضلِّلوهم، نسأل هؤلاء الذين يرجفون على أهل السنة بجنس العمل، ونقول لهم: من سلفكم في هذا؟!! من سبقكم إلى هذه الفتنة وأرجف بها؟!! من أدخلها وجعلها ركنًا في تعريف الإيمان- يا كذّابين-؟!! من سلفكم في هذا التضليل وفي هذه الفتن؟؟

أنا أدخل القول بجنس العمل وألحق أصحابه من هذا الصنف ممن يريد الفتن والشغب على أهل السنة! بهؤلاء الذين بدّعهم الإمام أحمد بمسألة اللفظ؛ لأنهم ليس لهم سلف، فهم مبتدعة ضلاّل يريدون إهلاك المسلمين وضرب الدعوة السلفية وأهلها والحكم عليهم بالإرجاء! فهم مبتدعة ضلال. إنّ السلف قرّروا: أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كلهم يقولون هذا الكلام، وخالفوا المرجئة وأقاموا عليهم الحجج والبراهين وضللوهم.

فيكفي هذا.. وهذا القول: الإيمان قول وعمل واعتقاد سندُه كتاب اللَّه وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأجمع عليه السلف، فلماذا تترك هذا اللفظ وتخترع ألفاظًا أخرى؟!!

ولهؤلاء القوم- الآن- بدعة أخرى؛ وهي أنهم يقولون عن الذي لا يزيد على قول السلف في تعريف الإيمان: «.. وينقص حتى ينتهي ولا يبقى منه شيء» أنه مبتدع ومرجئ وأنّ من يقول: «الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وينقص وينقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة» يقولون: مبتدع ومرجئ!!

على قولهم هذا الخبيث الجديد «البدعة الثانية»: أن السلف مبتدعة! أئمة الإسلام بما فيهم الإمام أحمد والبخاري كلهم مبتدعة! لماذا؟ لأنهم لم يقولوا: «حتى ينتهي ولا يبقى منه شيء». ويضلل هؤلاء القوم أهل السنة- الآن- ويبدِّعونهم بهذا! يبدعون المعاصرين! لكن لخبثهم وجهلهم لا يدركون ماذا يترتب على إنشاء هذه الأصول والتبديعات! فهم الآن- من حيث يدرون أو لا يدرون- يقذفون أهل السنة السابقين واللاحقين بأنهم مبتدعة! لأنهم ما قالوا: «حتى لا يبقى منه شيء».

وكنت قلت في محاضرة لي: «إن الإيمان يزيد حتى يصبح أمثال الجبال وينقص إلى أن يصل إلى أدنى مثقال ذرة من الإيمان». وفي المجلس نفسه قلت: «لأن الأعمال من صميم الإيمان -بارك اللَّه فيكم- وأن الإيمان بدونها قد يضيع،

وقد يخرج -تاركها- من الإسلام، وقد لا يبقى منه إلا مثقال ذرة- بارك الله فيكم- »، والله بدّعوني وقالوا: مرجئ!!

إذن؛ هؤلاء أهل أهواء جامحة وأهل خبث؛ تنصحه من خطأ فيقذفك بأنك عدو لله وأنك تطعن في الله وتطعن في الأنبياء وتطعن في الصحابة وتطعن في الملائكة!! هذا القذف والصنيع منهم بهت وإجرام!

وأصل هؤلاء تكفيريون متستِّرون يريدون أيّ مَنفذٍ ينفُذون منه إلى تكفير علماء السنة وأهل السنة فيقذفونهم بهذه القذائف؛ ينصحهم أهل السنة من غلط ومن جريمة فينفجرون عليهم كالبراكين بالتبديع والتكفير والأقوال المكفِّرة! فهؤلاء أخطر على الإسلام من الجهمية! لأنهم يلبسون لباس السلفية- كذبًا وزورًا -! ويقذفون أهل السنة بالكفريات والمكفِّرات!!

ومن بهتهم وإجرامهم أنهم يدّعون -الآن- أنني أقول: «يجوز التنازل عن أصول الدين مطلقًا!» يعني: أنني أقول: يجوز الخروج من الإسلام؛ يقصدون هذا عندما ينسبون إلي أنني أقول: «يجوز التنازل عن أصول الدين»، ويحاربون على ذلك ويوالون ويعادون ويهجرون!! يرمون أهل السنة بأنهم يقولون: «يجوز التنازل عن أصول الدين» يعني: التنازل عن الإسلام والكفر بالإسلام والكفر بال. سالة يجوز؛ هكذا يفترون على أهل السنة، قاتلهم الله أنى يؤفكون!!
الفاسدة المهـ
ير له حتى الخوارج والروافض ما وصلوا إلى هذا الفجور؛
أبو الحسن ك
جريمة؛ فيأنف ويستكبر، ويسعى في سحق أهل السنة على مستوى العالم! تقول له: أخطأت في كذا وكذا وتناصحه سرًّا؛ فينفجر عليك بهذه الأقوال التي لا تخطر بعقول الروافض ويقذفك بها! أنت تنادي بالدعوة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ والتمسك بها فروعًا وأصولًا، ليلًا ونهارًا، ويقذفك أنك تدعو الناس للخروج عن الإسلام وإلى التنازل عن أصول الدين، كذب وافترى هو وعصابته- ورب الكعبة -!!

أنكر هذا الإنسان مراعاة المصالح والمفاسد في الإسلام، وكانوا يذكِّرونه بأنك أنت لا تراعي مصلحة الدعوة السلفية كما هو حال أهل العلم؛ فيقول: لا، ويطعن في العلماء الذين يراعون المصالح والمفاسد، وينكر شيئًا اسمه المصالح والمفاسد عمليًّا إنكارًا لا غبار على أنه ينكر هذا، ولفظًا أحيانًا يقولها، لكن لا تطبيق لها، قد يقولها كذبًا لكن لا تطبيق لها أبدًا، وأهلك السلفيين وأهلك السلفية في مشارق الأرض وفي مغاربها، ولما جئت أنصحه سرًّا وتلطفًا؛ صار يقذف بالمكفِّرات؛ يقول عني أنني أقول: الرسول تنازل عن رسالته! انظر إلى هذه الجرأة التي لا نظير لها!

أنا قلت: رسول اللَّه ﷺ تنازل عن كتابة بل تسامح في كتابة «رسول اللَّه» في صلح الحديبية مراعاة للمصالح ودرءًا للمفاسد، وهذا والفجّار من ورائه من الحدادية يقولون عنّي أني أقول: الرسول تنازل عن رسالته! يعني: أنني كفّرت الرسول وكفّرت الصحابة! جرأة، جرأة لا نظير لها؛ لا أخطر من هذه الفرقة ولا أفجر منها، افهموها في كل مكان ولاحقوها؛ الفرقة الخبيثة.

وقالوا عني: أنِّي أسبّ اللَّه وأسبّ الأنبياء! أنا أدافع عن صغار الطلبة من السلفيين من أجل السلفية؛ أسب اللَّه وأسب رسول اللَّه وأسب الصحابة يا أعداء اللَّه!!!

هؤلاء لا أستبعد أن في أوساطهم زنادقةً يحاربون الإسلام! ـردون ماذا
يحارب البدع صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها ويدعو إلى كتاب حيث يدرون أو
بسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ من لا إله إلا اللَّه إلى إماطة الأذى عن الطريق وفي قضايا الصلاة وقضايا الزكاة وقضايا الصوم وقضايا الحج وقضايا العقيدة... إلخ، -واللَّه- أرى الإنسان يصلي إلى غير سترة فأستاء وأنصحه ولا أسكت عن شيء- وللَّه الحمد-، وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر- وللَّه الحمد-، وعندي وللَّه الحمد من حب الإسلام واحترامه والغيرة عليه ما لا يوجد

عند هؤلاء شيء منه، ثم يصيرون هم الغيورين!! بعدما أهلكوا السلفيين؛ التقّوا مرة ثانية وجاءوا من أبواب أخطر من الأولى وأفجر منها!!

الشاهد: أنّ الإمام أحمد بدّع الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق! بأي شيء؟ لأنهم لا سلف لهم، فنقول نحن: من سلفكم -أيّها الحدادية- في هذه الفتن؟ من سلفكم في هذا التأصيل؟ من سلفكم في هذه القواعد التي جئتم بها لإهلاك السلفية والسلفيين ثم عندما ينصحونكم تحاربونهم هذه الحرب التي لا تنتهي بالأكاذيب والفجور، فينقلب الفاجر المجرم إلى وليّ من أولياء اللّه المناضلين عن دين اللّه وهو يحارب السنة وأهلها!!! ويصبح من يذبّ عن دين اللَّه الحق مجرمًا محاربًا للَّه عدوًّا للَّه ولرسوله وللإسلام ويدعو إلى التنازل عن الإسلام؛ ما سمعنا بهذا!!

فهذا أصل أصيل: تمسّكوا بما قرّره السلف في كل أبواب الدين ولا تأتوا بشيء جديد خاصة في الأصول والتأصيلات، الآن كلما يظهر واحد يقول: الأصول..، التأصيل..، عدنان عرعور كان يركض وينادي: أصول..، وتأصيل..، ويأتي بأصول فاسدة! ويأتي أبو الحسن بعده: أصول..، أصول..، ويأتي بأصول فاسدة! ويأتي فالح: أصول..، وأصول..، ويأتي بالقواعد الفاسدة! يمهّد لضلالته وفتنته بأصول وتأصيل، ويسمي أصوله الفاسدة المهلكة بأصول السلف!

أبو الحسن كان يحارب السلفيين في اليمن وفي كل مكان باسم أنهم حدادية ويقول: إنهم حدادية وحدادية، وسأفضح الحدادية وأبيِّن أصولها، ثم أخيرًا وضع يده في أيدي الحدادية! لأن الهدف واحد؛ هو إهلاك السلفية؛ لذا لما ظهرت الحدادية- الآن- بقيادة فالح لم يقل أيّ كلمة في الحدادية! ظهرت على حقيقتها وبأصولها وبفتنتها وبمشاكلها ولم يقل أيّ كلمة فيها! بل أصحابه يتعاونون مع الحدادية الجديدة وينشرون منشوراتهم! لعبة ومكيدة! كلهم هدفهم

واحد! هذا جاء يميِّع وهدفه ضرب السلفية وهذا جاء يشدِّد وقصده إهلاك السلفية! ويلتقون عند هذه الغاية ويتعاونون!! افهموا هذا!

جرّنا إلى هذا؛ الفتنةُ القائمة التي لا ينبغي لمسلم أن ينام عنها، ويجب أن يستيقظ لها، وأن يعرف مكائد أهلها ويعرف أهدافهم.

هي فتنة عظيمة وكبيرة والله! والله أنا أعتقد أنها أكبر من الحروب العسكرية على الدعوة السلفية، ولكن من يدرك هذه الأشياء؟! لا يدركها إلا من عاركها كما عارك أحمد قضايا الجهمية وكان يعرف دسائسهم.

الآن- في هذا الوقت- الذي عارك فتن الأحزاب وما نشأ عنها هو الذي يعرف هذه المكائد والدسائس، فإذا جاء إنسان يخالفه معناه: أنه لا يعرف ولا يدري مسكين!!

أسأل الله أن يثبِّتنا وإياكم على الحق وأن يجنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا أحملكم على سوء الظنّ بالناس، لكن الحدادية أمرها واضح وليس- والله- من باب الظنون، والله هي من البديهيات واليقينيات عندنا؛ أمرها وشرها وخطرها عندنا من البديهيات التي لا يجوز لعاقل أن يتردد فيها، وهم- والله- أخطر على الإسلام عندي من الروافض وأهل البدع؛ أخطر وأشد وأنكى وأكثر حقدًا على أهل السنة من هذه الفرق! والله رددنا على الروافض وسكتوا، رددنا على الصوفية وتأدّبوا وردّوا ردودًا خفيفة وانتهى شغبهم. أماّ هؤلاء فتنتهم لا تنتهي وقائمة على الكذب الخالص! فأمرها خطير جدًّا فتنبّهوا لهذا في كل بلد: في الجزيرة وفي الجزائر وفي أوربا وفي أمريكا وفي كل مكان، وتنبّهوا لجماعة أبي الحسن؛ فإنهم الآن هم والحدادية شيء واحد فاحذروهم وحذِّروا منهم.

نسأل الله أن يكفينا شرهم، ونعوذ بالله من شرورهم وندرأ به في نحورهم؛ هم وكل كائد للإسلام، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

* * *

استواء الله على عرشه

«ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله ﷻ فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله ﷻ في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [الآية: ٣]، وقوله في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: ٢]. وقوله في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية: ٥٩]، وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعتقد أهل الحديث»؛ لأن الكتاب كما علمتم في بيان عقيدة أهل الحديث؛ لأنهم أئمة الإسلام. وأئمة الحديث في كلام المؤلف هم أئمة الفقه من الصحابة والتابعين، ولا يقصد أهل الاصطلاح بمعنى أن أهل الحديث يغايرون أهل الفقه؛ فإن أئمة الفقه العظماء من كبار التابعين ومن أتباعهم؛ كالإمام مالك والأوزاعي والثوري والسفيانين والحمادين ومن تلاهم -رحمهم الله- ما كانوا إلا أئمة حديث، كانوا أئمة عظماء في الحديث وفي الفقه؛ فهم -رضوان الله عليهم- مرجع الأمة في الاعتقاد وفي الفقه بعد الكتاب والسنة.

«ويشهدون»: عقيدة وشهادة؛ يعتقدون ذلك في قرارة أنفسهم ويشهدون بذلك في دروسهم ومؤلفاتهم ودعواتهم إلى دين الله الحق؛ يشهدون «أن الله ﷻ فوق سبع سموات على عرشه» في العلوّ وليس في الأرض أو في أيّ مكان

كما قالت الجهمية قبحها الله!

«كما نطق به كتابه» يعني: ليس من عقولهم وإنما قالوا هذا استمدادًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، والفطرة تؤيِّد ذلك والعقل يؤيِّد ذلك؛ إذ علو الله ﷻ فطر الله عليه الخلق والحيوانات؛ فتجد الطفل إذا سألته: أين الله؟ يجيبك: في السماء! وإذا نزلت الشدة بإنسان مسلمًا كان أو كافرًا؛ اتّجه قلبه إلى السماء؛ إلى الله -تبارك وتعالى- الذي بيده كشف الكروب ﷻ!

«في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]» هذه الآية عظيمة جدًّا فيها: أن الله -تبارك وتعالى- هو ربّ هذا الكون، وأنه هو الذي خلق السموات والأرض ﷻ، لا شريك له في شيء في هذا الكون، لا في خلقه ولا في تدبيره ولا في تصريفه ﷻ، فهذا هو ربكم؛ هو الذي هذا شأنه وهذه صفاته وهذه أفعاله الدالة على عظمته وأنه المستحقّ للعبادة وحده ﷻ. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولو شاء أن يخلقها بكلمة واحدة لحصلت في أدنى من لحظة، ولكن لحكمة لا يعلمها إلا هو خلق السموات والأرض في ستة أيام كما قال في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. فحكمته اقتضت أن يخلق السموات والأرض في ستة أيام؛ فالأرض خلقها في أربعة أيام وهي أصغر من السماء بكثير بما لا يقاس، والسماء خلقها في يومين؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو ﷻ. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وصف نفسه بهذا الفعل وهو الاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض، وهو قد خلق العرش قبل السموات بألوف السنين؛ فلما تحدث في سورة هود عن خلق السموات والأرض قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ يعني: كان خلقه للسموات والأرض وعرشه مخلوق موجود على الماء،

فالعرش موجود قبل خلق السموات والأرض؛ خلقه الله قبل خلق السموات والأرض، ثم لم يأت هذا الفعل يعني: «استواؤه على العرش» إلا بعد خلق السموات والأرض؛ هذا من أفعاله ﷻ الاختيارية وكل أفعاله اختيارية ﷻ.

والجهمية يقولون: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استولى على العرش! يعني: هذا الذي حصل بعد خلق السموات والأرض إنما هو الاستيلاء والقهر!!

فنقول ردًّا عليهم:

أولًا: من المعلوم بداهة أنّ اللَّه ﷻ قَهَر العرش قبل أن يخلق السموات والأرض، وقاهرٌ للعرش ولجميع المخلوقات ومستولٍ عليها، واللَّه ﷿ أخبر أن استواءه كان على العرش فقط وأنه كان بعد خلق السموات والأرض فدل على أنّهما وصفان متغايران.

ففرق بين الاستواء والاستيلاء؛ إذ الاستيلاء: هو السيطرة والهيمنة والسيادة على جميع المخلوقات؛ لا يخرج عن ذلك أحد، فاللَّه ﷿ مستولٍ عليها جميعًا، استولى على السموات وعلى الأرضين وعلى البشر وعلى الجمادات وعلى الحيوانات وعلى جميع المخلوقات، هو مسيطر عليها؛ يسخِّرها وقادر عليها.. إلخ.

والاستواء الثابت في هذه الآيات: فعل خاص وهو علوّه ﷻ على العرش؛ إذ خصّه اللَّه ﷻ بعرشه، فلا يجوز أن نجعله عامًّا في جميع المخلوقات، وهل يجوز أن نقول: إن اللَّه استوى على الحيوانات، استوى على السماء، استوى على الهواء، استوى على الأرض؟!! لا يجوز أن نقول هذا.

ثمّ إنّ اللَّه ﷻ يفعل ما يشاء، ويختار ما يريد، فشاء اللَّه ﷻ أن يحصل هذا الفعل بعد خلق السموات والأرض، أما الاستيلاء والقهر فهذا حاصل له سبحانه منذ خلق العرش وخلق هذا الكون، وقبل خلقه هو مستول ومسيطر ﷻ على كل شيء.

ثانيًا: أن تفسير الاستواء بالاستيلاء لم يعرف إلا عن طريق الجعد بن درهم، ورثه عنه جهم وأتباعه، وهذا التفسير قام على أصول فاسدة خبيثة- والعياذ باللَّه- وتابعهم من أضلّه اللَّه، وأما تفسير الاستواء بالعلو على العرش هو المأثور عن الصحابة وأئمة الهدى جميعًا.

ثالثًا: هذا كلام لا يعرفه العرب، ولهذا كل العلماء؛ علماء اللغة، وعلماء التفسير، وعلماء الفقه، لمّا بلغهم قول الجهمية: استوى بمعنى استولى أنكروا ذلك، ولمّا بلغهم هذا البيت من الشعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

يعني: أن بشرًا استوى بمعنى استولى! قالوا: هذا ليس من كلام العرب، وأنكروا أن يكون هذا من كلام العرب.

وقيل: إن قائل هذا البيت نصراني وهو الأخطل! ويمكن أنه ضلّ في اللغة كما ضلّ في عقيدته إن صحّ عنه، لكن قالوا: حتى الأخطل لم يثبت عنه! لهذا أنكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إنكارًا شديدًا على من يعارض القرآن ببيت هذا النصراني الضالّ فقال:

تبًا لمن نبذ الكتاب وراءه   وإذا استدلّ يقول قال الأخطل!

ألف دليل على علوّ اللَّه على خلقه، وأنه استوى على عرشه، تترك هذه الأدلة من ربّ العالمين ومن سيّد المرسلين ومما أطبق عليه الصحابة والتابعون وتتعلق ببيت شعر لنصراني جاهل إن ثبت عنه!! وهو لا يصحّ لغة وأئمة اللغة يرفضون تفسير الاستواء بالاستيلاء وينكرونه.

قالوا: أراد ابن أبي دؤاد من أحد أئمة اللغة أن يجد له في اللغة ما يدلّ على أن استوى بمعنى استولى! قال: لا أجد هذا في اللغة، وما طاوعه[1] وكان ابن

(١) قال محمد بن النضر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه: آية ٥]. استوى: بمعنى استولى، فقلت له: واللَّه ما يكون هذا ولا وجدته. «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم (ص ١٤٨).

أبي دؤاد من عظماء المقربين إلى المأمون والواثق، ولعله أغرى هذا اللّغوي بالمال فرفض؛ لأن هذا دين وأمانة، فقال: لا أجد هذا في اللغة. فهذا احتال على أحد أئمة اللغة ليعطيه تفسيرًا للاستواء من لغة العرب فقال: لا أجد.

وأنكر هذا التفسير ابن الأعرابي[1] وغيره من أئمة اللغة كما أنكر ذلك الفقهاء وأئمة الإسلام -رضوان اللَّه عليهم-.

ومما رد به السلف على هذا التفسير الضال: أن الاستواء بهذا المعنى لا يوجد في لغة العرب ولا في كلام الصحابة والتابعين.

رابعًا: إنّ الاستواء له في القرآن وفي لغة العرب معانٍ معينةٌ ومعروفةٌ؛ يأتي مطلقًا يعني: ليس مقيدًا بحرف ولا بوصف ولا بشيء من القيود، ويأتي مقيدًا:

* أما المعنى الأول للاستواء؛ وهو الذي يأتي مطلقًا فمثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] قالوا: هذا بمعنى تمّ وكمل ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: يعني كمُلَ عقله وانتهى أشده وكمل، فهذا معنى استوى إذا كان مطلقًا.

* وأما إذا كان مقيدًا فمعناه بحسب ما يعدى به:

---

(١) قول أبي عبد اللَّه محمد بن الأعرابي: قال ابن عرفة- نفطويه- في كتاب الرد على الجهمية: حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجلٌ فقال: ما معنى قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾؟ فقال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبَرَ. فقال: يا أبا عبدِ اللَّه إنما معناه استَوْلى. فقال ابن الأعرابي: ما يُدْرِيك؟ العرب لا تقول استَوْلى على الشيء حتى يكون له مُضادٌّ فأيهما غَلَب فقد اسْتَوْلى؛ أما سمعت قول النابغة:

إلاَّ لِمِثْلِكَ أو مَن أنت سابِقُه ... سبْقَ الجوادِ إذا اسْتَوْلى على الأَمَدِ

«اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم (ص ١٤٨). وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر العلو للعلي الغفار-ص١٩٦»: أخرجه المصنف- الذهبي- من طريق الخطيب البغدادي وهو في تاريخه (٥/ ٢٧٣-٢٧٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٩٢/ ١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤١٥) وإسناده صحيح. انتهى

وانظر: «لسان العرب» (ج١٤/ ١٠٨).

- فإن كان متعديًا بـ «إلى» فمنهم من فسره بأنه بمعنى «علا»، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فسره كثير من السلف على أن هذا المعدّى بـ «إلى» هو أيضًا بمعنى المعدّى بـ«على»؛ فقالوا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: علا على السماء؛ فكثير منهم فسره بـ: «علا» ومنهم ابن جرير، وبعض السلف فسره: بقصد، وهو الذي ذهب إليه ابن كثير، والأمر في هذا سهل- إن شاء الله -؛ لأنّ الأدلة كثيرة جدًّا على علوّ الله ﷻ، منها سبع آيات تنصّ على أن الله استوى على العرش.

- والمعنى الثالث من معاني الاستواء: أن يُعدّى بـ«على»، وهو الموجود في القرآن

بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سبعة مواضع من القرآن الكريم؛ عُدِّي فيها بـ«على»؛ فهو هنا بمعنى علا، وبعضهم فسره بـ: «استقرّ»، وبعضهم فسره بـ «صعد» و«علا» و«ارتفع» وهو الذي لا يجوز لمسلم أن يتردد فيه، وهو اختيار ابن جرير -رحمه الله تعالى-؛ علا وصعد على العرش ﷻ، وهو فوق العرش كما أخبر، فهذه تفاسير الاستواء في لغة العرب وفي القرآن، وليس الاستيلاء واحدًا منها.

خامسًا: إنما قالت الجهمية: إنّ «استوى» معناه: استولى وصاروا إلى التأويل؛ لأنهم لم يتصوروا إثبات الصفات إلا مع التشبيه والتمثيل بصفات المخلوقين، وقد سبق أن ظاهر آيات وأحاديث الصفات ليس هو ما يذهب إليه ويتوهمه أهل الباطل من المعطلة والمشبِّهة؛ وإنما ظاهرها هو معانيها اللائقة بالله ﷻ التي تدل عليها لغة العرب، وقد قال مالك وربيعة وغيرهما: «الاستواء معلوم...»؛ «معلوم» يعني: من القرآن ومن لغة العرب وما كان عليه السلف، قالوا: «والكيف مجهول» غاير بين معنى الاستواء وبين معنى الكيف، فجزم بأن معنى الاستواء أمر معلوم مُسَلَّم به، أما الكيف فقال: مجهول، وكما قلنا لكم بأن وصف الاستواء أمر خاصّ بالعرش، أما الاستيلاء فعلى المخلوقات كلها؛

فلا يجوز أن نقول: استوى على الأرض، استوى على الجبال، استوى على البحار، لا يجوز أن نقول هذا! تقول: استولى على المخلوقات كلها هذا أمر جائز وهو حق وهو واقع

وقوله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: هذا من صفاته ﷻ، ومما انفرد به أنه يدبِّر الأمر؛ الأمر الكوني والأمر الشرعي كله مرجعه إلى الله؛ هو الذي يدبر هذا الكون ويصرِّفه ﷻ، وهو الذي ينزل أوامره الشرعية وأحكامه العادلة ﷻ. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ هذا من صفاته؛ ليس من شفيع إلا من بعد إذنه لعظمته ﷻ وعزّته وقهره، لا يجرؤ أحد أن يشفع في شيء إلا بعد أن يأذن الله له؛ قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]. وفي آية الكرسي: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وهذا استنكار، فلا يشفع عنده أحد إلا بعد إذنه ﷻ، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، وهذا فيه إبطال لدعاوى المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله! ويزعمون أن الملائكة من آلهتهم ويشفعون لهم عند الله! فيردّ الله هذه العقيدة الفاسدة؛ لأن أمر الشفاعة ليس لعبًا وليس أمرًا سهلًا كما يتصور الضالون، إنما أمر الشفاعة أمر خطير لأن الشفاعة لله وحده ﷻ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]. فالشفاعة له وحده ﷻ؛ هي مِلكُه وحده يأذن لمن يشاء أن يشفع بشرطين:

- أن تكون الشفاعة في الموحدين.

- وأن يكون ممن رضي الله عنهم من الملائكة والأنبياء والصالحين: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]. فهذه آية عظيمة وتحتها معان جليلة منها هذا الذي أشرنا إليه، ومعانيها أوسع من هذا.

«و» الآية التي بعدها «قوله في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]» فهذه السموات العظيمة وهذه الأرضين

السبع يمسكها اللَّه ﷻ بقدرته ويمسك العرش بقدرته، والمخلوقات كلها مُدبَّرة بأمره ﷻ فيمسكها اللَّه بإرادته وقدرته ﷻ، فهذه السموات العظام ما الذي يمسكها؟ قدرة اللَّه ﷻ!! قال تعالى في سورة فاطر: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]. فيمسك السموات والأرض، وإذا زالتا لا يستطيع أحد أن يمسكهما، فاللَّه ﷻ يمسكها بغير عمد؛ ليس لها دعائم فتمسكها بل بقدرته؛ تعتمد على قدرة اللَّه ﷻ وإرادته؛ هذه الأجسام العظام: السموات والشمس والقمر يمسكها اللَّه ﷻ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فيجب علينا أن نعظِّم اللَّه وأن نقدره حقّ قدره ﷻ؛ تخيّل كيف هذه الأجرام العظام لا يمسكها إلا اللَّه؛ يمسكها أن تقع على الأرض بقدرته ﷻ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أنت لا تستطيع أن ترفع ريشة؛ لأنك مسكين ضعيف، واللَّه ﷻ يرفع هذه الأجرام العظام؛ يرفعها بغير عمد ويحفظها أن تسقط أو تزول ﷻ.

قال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقوله في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية: ٥٩]» فهذا شاهد آخر على أن الاستواء حصل بعد أن خلق ﷻ السماء ورفعها، والعرش مخلوق قبل السموات، ولو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء ما قال هذا الكلام؛ لأنّ الاستيلاء حاصل على العرش قبل أن يخلق السموات والأرض؛ كما قال ﷺ: «**كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء**»[1] يمكن أن يكون قبل خلق السموات بملايين السنين، لكن الكتابة حصلت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان العرش على الماء، فكيف لم يحصل هذا الاستيلاء إلا بعد هذه الآماد الطويلة يا سفهاء؟!!

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ.

يعني: كان تحت سيطرة غيره أو كان مفلوتًا هكذا بدون سيطرة من اللَّه ﷻ؟! انظروا إلى كلام أهل السفه وما فيه من الضلال!

نحن نورد عليهم هذا السؤال:

اللَّه خلق العرش قبل السموات بما لا يعلمه إلا اللَّه من الآماد والدهور فهل كان غيره مستول عليه؟!! وهل قدرة اللَّه ﷻ على الاستيلاء على العرش لم تحصل إلا بعد خلق السموات والأرض؟!!

اللَّه خلق العرش قبل السموات بما لا يعلمه إلا اللَّه من الآماد والدهور، فإذا قلنا: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء؛ فمعناه أن العرش كان منفلتًا عن قدرة اللَّه وسيطرته وخارجًا عن نطاق هذه القدرة، ثم لمّا خلق السموات والأرض- بعد ذلك -؛ حصلت القدرة للَّه ﷻ فاستولى على العرش!! أدركتم فساد هذا القول الخبيث؟!!

«وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: ٤]» هذا جزء من آية السجدة؛ انتزع آية من سورة السجدة وقال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾» ثم قال: «وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]» كم آية يذكر فيها خلقه للسموات والأرض وبعد ذلك يعقِّبها بالاستواء على العرش؟ أليس هذا بواضح على أن الاستواء على العرش إنما حصل بعد خلق السموات والأرض؟ فهو فعل خاص، وأما الاستيلاء فهو عام لكل المخلوقات. وقد فسرنا نظير هذه الآية فيما سلف.

هذه كلها نصوص على أن اللَّه -تبارك وتعالى- استوى على عرشه؛ صرح بذلك في سبع آيات في كتابه المنزل، واستواؤه على العرش يدل على علوه، والعلو ثابت بالكتاب وبالسنة وبالعقول وبالفطرة.

غلاة الفلاسفة يقررون أن اللَّه وملائكته في السماء؛ في العلو، والجهمية ومن تابعهم من المعتزلة والخوارج والأشعرية وغيرهم في هذا الميدان أحطّ من

الفلاسفة، وأضلّ وأجهل من الفلاسفة!! الفلاسفة على ضلالهم وإلحادهم يعتقدون بأن اللَّه في السماء، بل اليهود والنصارى يعتقدون أن اللَّه في السماء آخذين هذا من التوراة والإنجيل، فالتوراة والإنجيل فيها نصوص على أن اللَّه في السماء، والفلاسفة يعترفون بهذا؛ عقولهم على ضلالها اعترفت بعلو اللَّه، وعقل جهم ومن تابعه- نعوذ باللَّه- صار في هذا الباب أضلّ من الفلاسفة الضالين الملحدين!!

فالأمم كلها حتى قريش وغيرها لما نزلت هذه الآيات ما كانوا يجادلون فيها؛ وإنما يجادلون في توحيد العبادة، أما توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية فلا ينازعون في ذلك! ومن الأدلة على ذلك أنهم إذا قيل لهم: من خلق السموات والأرض؟ من رب العرش؟ من رب الأرض؟ يقولون: اللَّه، ولا ينازعون رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في هذه الآيات أبدًا إنما ينازعون في توحيد العبادة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]. ويعاندون!

أما إذا قيل لهم: اللَّه رب السموات، اللَّه رب الأرض، اللَّه استوى على العرش، اللَّه قدير، سميع، بصير، لا يكابرون في ذلك إنما يعاندون في توحيد العبادة؛ فهم يرون أن العبادة ليست خاصة باللَّه وإنما هي مشتركة بين اللَّه وبين معبوداتهم! ويحاربون على هذا وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها وحاربوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- من أجل هذا، أما في صفات اللَّه، في ربوبيته، فما كانوا يجادلون في ذلك أبدًا، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر: ٣].

* * *

«وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

وأخبر اللَّه ﷻ عن فرعون اللعين أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧].

وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه السلام يذكر أنّ ربّه في السماء، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾. يعني في قوله: أنّ في السماء إلهًا».

الشرح:

«و» من الأدلة على علو اللَّه ﷻ وأنه على العرش«قوله» تعالى: «﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]» «إليه» إلى من؟ إلى اللَّه، «يصعد» الصعود إلى أين؟ يكون إلى فوق أو إلى أسفل أو يمينًا أو يسارًا؟!! الصعود يكون إلى أعلى؛ يصعد إلى اللَّه العمل الطيب؛ تُرفع الأعمال إلى اللَّه -تبارك وتعالى- يصعد بها الملائكة إلى اللَّه ﷻ.

العمل الطيب وهو العمل المقبول عند اللَّه ﷻ تحتفظ به الملائكة وترفعه إلى اللَّه وتنزل ملائكة، «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[1]؛ هكذا الأعمال الصالحة تصعد إلى اللَّه، ولو كان في كل مكان كما تقول الجهمية ما يحتاج إلى أن نقول: تصعد إلى اللَّه ﷻ ولا قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. يعني: من يرفعه؟ في أحد التفاسير أن اللَّه هو الذي يرفعه، وفي تفسير آخر أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكن الظاهر أن العمل الصالح يصعد إلى اللَّه والكلم الطيب يصعد إلى اللَّه -تبارك وتعالى-.

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٧٤٢٩)، كتاب التوحيد] ومسلم [(٦٣٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال: وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ من أين يبدأ التدبير؟ يبدأ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾. لماذا؟ لأن اللَّه في السماء في العلو، ولو كان تحت أو في كل مكان لم يصح هذا الكلام.

يدبِّر الأمر من الأرض؟! تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن الأرض سفل واللَّه فوق جميع مخلوقاته، ومن هناك يدبِّر أمر السماء والأرض ﷻ من السماء ومن العلو إلى الأرض وإلى السفل ﷻ.

أمور يدبِّرها ﷻ لا يعلمها إلا اللَّه؛ يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل... إلخ؛ هذا التدبير كله مصدره من اللَّه -تبارك وتعالى- من السماء إلى الأرض، فما يجري شيء في هذه الأرض إلا بتدبير اللَّه ﷻ ومشيئته وإرادته وهو فوق جميع مخلوقاته عال عليهم ﷻ، وهذا من صفات الكمال التي تليق بجلاله وعظمته أن يكون فوق جميع مخلوقاته ﷻ.

«و» من الأدلة على علو اللَّه ﷻ- كذلك- وأنه فوق عرشه «قوله» تعالى: «﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]». و السماء كل ما علا؛ كل ما علاك فهو سماء، ولهذا نجد في القرآن أنه يطلق على السحاب أنه سماء: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل: ٦٠]. السماء هنا بمعنى السحاب؛ أطلق عليه كلمة سماء؛ لأنه في العلو، والسموات لعلوها قيل لها: سموات، واللَّه في السماء؛ يعني في العلو، فـ«في» هنا إن قلنا أنها للظرفية فالمراد أن اللَّه -تبارك وتعالى- في العلو أو نقول: إن «في» هنا بمعنى «على» لأن حروف الجر تتناوب فتأتي«في» بمعنى «على» ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني أأمنتم الذي على السماء فـ«في» بمعنى «على»، وإذا أبقيناها على بابها ظرفية فالمراد بالسماء العلو ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني من في العلو وهو اللَّه -تبارك وتعالى-.

هذا وعيد شديد للكفار والعصاة؛ على كفر الكافرين ومعاصي العاصين؛

كيف تأمنون الله رب السماء والأرض الذي من عزته أنه في السماء؟! لأن السماء والعلو فيهما عظمة والسفول فيه خِسّة ودناءة، ولهذا يقول الكفار يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]، وقال: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨]، المغلوبين الأذِلاء.

فالسفول المعنوي والحسي فيه نقص، أما العلو ففيه كمال، فمن كماله ﷻ وعزته وعظمته أنه في السماء، فالسماء والعلو فيه كمال، والسفول فيه نقص، فكيف نجعله في السفل؟! يعني ننكر أن الله في العلو وأنه على العرش ثم نقول: إنه في السفل؟! هل هذا تعظيم لله؟! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

يقولون: الله في كل مكان ولا يستحون!! وجرهم هذا إلى القول بوحدة الوجود! القول بأنه في كل مكان معناه أنه حالّ في كل شيء من المخلوقات- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- فهم يزعمون أنهم ينزهون الله فوقعوا- والعياذ بالله- في شر العقائد وأخبثها فينزهون الله أن يكون في العلو وأن يكون فوق مخلوقاته جميعًا وأن يكون فوق العرش وجعلوه في كل مكان! والله لو كان ملكًا على العرش وتقول له: لا هذا المكان غلط ليس طيبًا، انزل تحت؛ انزل يا ملك تحت كُنْ تحت أقدام الناس لكان هذا إهانة له فكيف بالله رب العالمين؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ثم قال بعد أن أورد آية الملك: «وأخبر الله ﷻ عن فرعون اللعين أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧]» يعني: أنه كذَّبَ موسى أنه رسول من الله ﷻ، ومن جملة ما كذبه فيه: أن الله ﷻ في السماء؛ قال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ هذا يدل على أن موسى كان يخبره أن ربه في السماء، يقول له فرعون: أنا ربك! فأين ربك؟ يقول له موسى: في السماء، فيقول

فرعون: هات ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾؛ أي: قصرًا عظيمًا أصعد فيه إلى السماء ليَبين كذبُ موسى، وأظن أنه يكذب علينا ويقول: إن له ربًّا في السماء!!

فهذا يدل على أن موسى كان يخبره ويواجهه بأن رب هذا الكون في السماء؛ ربك ورب هذه المخلوقات في السماء؛ أي: أن ربي كامل ليس مثلك في الأرض؛ أنت عبد ضعيف ومسكين؛ فاللَّه ﷻ لعزته وعظمته فوق هذا الكون، فيدعوه إلى الهداية وإلى التزكية: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ١٨- ٢٤]

والظاهر أن فرعون كان يعتقد أن اللَّه في السماء ويعتقد قطعًا أن موسى رسول من اللَّه ﷻ ولهذا قال في شأنه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤]. فالناس- بما فيهم فرعون- مفطورون على أن اللَّه في السماء ولهذا قال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ من جملة ما جحد به فرعون وكذب فيه موسى: إنكاره أن اللَّه في السماء؛ فيموّه ويستخف عقول قومه ويقول: أنا سأكذِّب لكم موسى ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، إله موسى هو إلهك وإله الخلق أجمعين يا عدو اللَّه، يا سفيه!

الشاهد: أنّ من الأدلة على أن اللَّه في السماء وأن اللَّه في العلو هذه الآية، وأنها من الأدلة على أن هذه عقيدة الأنبياء ومنهم موسى -عليه الصلاة والسلام- الذي أخبر فرعون أن ربه في السماء وأراد هذا الخسيس أن يكذِّبه. فالجهمية وراث فرعون في إنكار علو اللَّه ﷻ!!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما قال ذلك لأنه سمع موسى عليه السلام يذكر أن ربه في السماء» هذا يؤخذ من الآية «ألا ترى إلى» يعني: دليلي أن موسى قد أخبر فرعون أن اللَّه في السماء «قوله ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾»، كاذبًا في ماذا؟ قال: «يعني: في قوله: إنّ في السماء إلهًا» أي: أنّ اللَّه في السماء مما يدل أن موسى كان يخبره أن

اللَّه في السماء، فهذه الآية من أدلة علو اللَّه -تبارك وتعالى-.

* * *

«وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم اللَّه لم يختلفوا في أنّ اللَّه تعالى على عرشه، وعرشه فوق سمواته، يثبتون له من ذلك ما أثبته اللَّه تعالى، ويؤمنون به ويُصَدِّقون الربّ ﷻ في خبره، ويطلقون ما أطلقه ﷻ من استوائه على العرش، ويُمرّونه على ظاهره، ويَكِلُون علمه إلى اللَّه، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. كما أخبر اللَّه تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك، ورَضِيَه منهم، فأثنى عليهم به».

الشرح:

ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآيات لإثبات علو اللَّه وأنه على عرشه وأنه في السماء يعني: في العلو ثم ذكر أن «علماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم اللَّه لم يختلفوا» يعني: أجمعوا على أن اللَّه ﷻ استوى على عرشه، وأنه فوق جميع مخلوقاته؛ حتى جاء هذا الضال الجعد بن درهم وتابعه الجهم وأمثاله فخالفوا القرآن وخالفوا السنة وخالفوا العقول والفطر!! وخالفوا أئمة الإسلام «في أن اللَّه تعالى على عرشه وعرشه فوق سمواته». يعني: في قضيتين:

الأولى: أن اللَّه تعالى على عرشه.

الثانية: أن العرش فوق السموات.

فلم يختلف أئمة الإسلام في هاتين القضيتين، بل «يثبتون له من ذلك ما أثبته اللَّه تعالى، ويؤمنون به ويصدِّقون الرب ﷻ في خبره» بخلاف الجهمية ومن وافقهم من أهل الضلال؛ فإنهم لا يلتفتون إلى هذه الآيات بل يطعنون فيها! يعني إذا خالف النقل العقل قُدِّم العقل؛ يقدمون عقولهم الفاسدة الكاسدة على النقل الصحيح والنقول المتواترة والموافقة للعقول السليمة والفطر الصحيحة؛

يخالفون كل ذلك، ويقدمون عقولهم الفاسدة الضالة على هذه الأدلة العقلية والنقلية والفطرية، يخالفون كل ذلك! ويخالفون أئمة الإسلام وأعيان الأمة؛ فأي ضلال يفوق هذا الضلال والعياذ بالله؟!! يعني تخالف العقل، تخالف النقل، تخالف الفطرة؛ ضلال شديد والعياذ بالله، كل هذا ما يردع الجهمية والمعتزلة والروافض والخوارج إلى يومنا هذا! نعوذ بالله من الضلال. فطريق السلف عندهم الإيمان والتصديق وإثبات صفات الله على الوجه اللائق به. هذه العقيدة قائمة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويطلقون ما أطلقه ﷻ من استوائه على العرش، ويمرونه على ظاهره» يعني: الأئمة متفقون على أن النصوص يجب أن تبقى على ظاهرها حتى يوجد ما يصرفها عن هذا الظاهر، فهل يوجد ما يصرف هذه النصوص عن ظاهرها؟!! لا يوجد أبدًا، بل بلغت الأدلة إلى ما لا يُحصى؛ فابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ساق خمسين حديثًا فيها الصحيح وفيها الضعيف تتضمن إثبات علو الله تعالى، وذكر ما لا يقل عن ألف دليل على أن الله ﷻ في السماء فوق جميع خلقه مستوٍ على عرشه ﷻ، وكما أكدنا وكررنا أن العقول والفطر تدل على ذلك، وخالف في ذلك هؤلاء السفهاء من أهل الضلال!!

قال: «ويَكِلُون علمه إلى الله، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك، ورَضِيَه منهم، فأثنى عليهم به» قد سبق لكم أنه قال: «يعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله ﷻ فوق سبع سمواته على عرشه» فقد يفهم بعض الناس من قوله: «ويَكِلُون علمه إلى الله» أنه يريد تفويض المعنى، لا؛ هو لا يريد هذا، وإنما يريد هنا علم الكيفية؛ فالذي يكلونه إلى الله هو علم الكيفية، أما الاستواء فيقطعون بأنه أمر ثابت لله ﷻ، وأما كيفية هذا الاستواء فيكلونه إلى الله؛ لا يعلمه إلا الله ﷻ.

وكذلك سائر صفاته نؤمن بأنها حقائق ثابتة للَّه، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ؛ فنؤمن بالصفات ونثبتها له ونؤمن بها إيمان وجود وحقيقة، ولكن الكيفيات يجهلها الناس جميعًا، ولهذا قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ كما سيأتي: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» نعم! قطعًا ربنا استوى على العرش، وهو فوق السموات وهو على العرش ﷻ على الوجه اللائق به، كيف هذا الاستواء؟ واللَّه ما ندري، هذا لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يفقهنا في دينه، وأن يثبتنا على دينه الحق وعلى ما كان عليه سلفنا الكرام من الصحابة العظام ومن تبعهم من أئمة الإسلام إن ربنا لسميع الدعاء.

* * *

«أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد أخبرني علي بن محمد بن عُبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحيى بن بشر الوَرَّاق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفي حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر».

الشرح:

فالإمام الصابوني -رحمه اللَّه تعالى- يبين عقائد أهل السنة من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه ﷺ، ومن كلام أئمة الإسلام ومواقفهم ﷺ الذين هم مرجع هذه الأمة في دينها وفي عقائدها بصفة خاصة.

وفي بداية هذا الفصل ساق آيات من القرآن الكريم؛ آيات الاستواء وآية الصعود إلى اللَّه -تبارك وتعالى- وآيات العروج إلى اللَّه ﷻ؛ هذه كلها من

الأدلة على أن اللَّه ﷻ فوق جميع مخلوقاته وأنه استوى على عرشه.

وهذه بعض من الأنواع الكثيرة التي يستدل بها أهل السنة على إثبات هذه الصفة العظيمة، وهي علو اللَّه على جميع خلقه واستواؤه على عرشه، وقد كفّروا من ينكر هذه الصفة؛ صفة العلو وصفة الاستواء؛ لأنها من أعظم صفات اللَّه ﷻ أو أعظمها، ولهذا تجد ابن القيم في كل كتبه تقريبًا يلهج بهذه الصفات ولا سيّما صفة العلو وألّف فيها كتابًا سمّاه «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وألف فيها الإمام الذهبي «العلو للعلي الغفار»، وابن تيمية ألّف كتبًا يثبت فيها هذه الصفة ويسوق الأدلة الكثيرة وكلهم يسوق الأدلة لقمع هذه الشبه التي يتعلق بها أهل الضلال.

وأنواع الأدلة التي يندرج تحت كل نوع منها مفردات وأدلة؛ أوصلها ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» إلى واحد وعشرين نوعًا، وأوصلها في «الصواعق» إلى نحو أربعين نوعًا، من هذه الأنواع التي يندرج تحت كل نوع منها أدلة:

١- التصريح بالفوقية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

٢- ومنها: التصريح بأنه ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥].

٣- ومنها التصريح بعروج الملائكة إليه والأرواح إليه، ونزول الأمر منه وصعوده إليه ﷻ، وصعود الكلم الطيب إليه ﷻ.

هذه من الأنواع ويتبعها أدلة ويتبعها أفراد من الأدلة، وهناك أنواع لا يتسع المقام لذكرها؛ يُرجع إليها في مواطنها إذ أوصلها ابن القيم في «الصواعق المرسلة» إلى حوالي أربعين نوعًا.

هذا من الأدلة الجلية على أن أهل السنة دائمًا على الحقّ، وأن خصومهم

على الباطل وأن عندهم معارضات واعتراضات على أخبار اللَّه الصادقة وأخبار الرسول -عليه الصلاة والسلام- الصادقة؛ اعتراضات وسفاهات؛ يعني: - نعوذ باللَّه- عقول فاسدة تعترض على الحق وتعترض على نصوص الكتاب ونصوص السنة؛ الكتاب الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. والسنة الصادرة عمن لا ينطق عن الهوى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤]؛ يعترضون بسفسطاتهم وجهالاتهم على اللَّه وعلى رسوله بل يخالفون العقل الصحيح والفطرة السليمة!!

فشبهاتهم مرفوضة بالأدلة التي تبلغ ألف دليل من النقل والعقل والفطرة؛ هذه إشارة وتأكيد لما سبق.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد أخبرني علي بن محمد بن عُبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحيى بن بشر الوَرَّاق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفي حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر».

نسبة هذا القول إلى أم سلمة فيه ضعف، ولكن يسوقه المؤلف للاستئناس. قالت: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»، وإسناد هذا ضعيف إلى أم سلمة، لكنه ثابت عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وعن غيره من الأئمة، مثل ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك -رحم اللَّه الجميع- ثبت عنهم بالإسناد الصحيح أنهم قالوا: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة».

* * *

«وحدثنا أبو الحسن بن إسحاق المدني حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال: سُئِل مالكُ بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعةٌ وما أراك إلا ضالًّا. وأمر به أن يُخرَج من مجلسه»

الشرح:

هنا الاستواء حقّ، سأل عنه رجلٌ مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فغضب مالك حتى علته الرحضاء وغضب غضبًا شديدًا- كما سيأتي- ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»؛ لأن غالب من يسألون هذه الأسئلة أهل الفتن وأهل البدع؛ يريدون إثارة القلاقل والفتن خاصة بين أهل السنة، فالسائل ينتظر الإجابة من مالك فيتعلق بها ويذهب يثير الفتن! فقمعه مالك بهذا التصرف والموقف الرشيد.

نحن يأتينا بعض السفهاء يسألونني عن بعض الصفات؛ أرى فيهم تعنتًا وأرى فيهم اتجاهًا إلى الفتن فأزجرهم عن السؤال عن هذا الشيء وعن هذه الأسئلة.

ولما سُئِلتُ عن حديث الصورة وزجرت من سألني عنه؛ لأني فهمت أنه يريد الفتنة، وأنه يريد أن يُدْخِلَنا في الطعن في ابن خزيمة، ويدخلنا في فلان وفلان من المجتهدين من أعلام السنة ويقوم الجدال والنقاش والخصومات؛ قامت الحدادية يصيحون علينا ويرموننا بالضلال.

فهذا مالك يزجر ويبدِّع ويطرد من يسأل عن صفة الاستواء هل هو ضالّ؟!! تنبهوا لهذا بارك اللّٰه فيكم.

الرسول ﷺ سمع أصحابه يتجادلون في القدر فغضب أشد الغضب -عليه الصلاة والسلام-، والرسول ﷺ كان يترك الأمور التي تؤدي إلى فتنة،

والنصوص كثيرة من تصرفاته -عليه الصلاة والسلام-، والسلف كانوا يزجرون من يسأل عن الأمور التي تؤدِّي إلى الفتن حتى لو كان السائل يسأل عن الحق لكن سؤاله يؤدي إلى الفتنة يزجرونه.

والعلماء قرروا أنه إذا كان السائل مسترشدًا يُجاب وإذا كان متعنتًا فهذا لا يُجاب بل يُهان[1].

وهؤلاء الحدادية مبدؤهم: إثارة الفتن والشغب على أئمة الإسلام وعلى أصول الإسلام، فما تركوا جماعة إلا وطعنوا فيها!

والله طعنوا في أئمة الجرح والتعديل وجهلوهم ولم يخجلوا، ولم يعتذروا إلى يومنا هذا! الطعن في أئمة الجرح والتعديل يقول فيه الإمام أحمد: زندقة؛ لما بلغ الإمام أحمد عن ابن أبي قتيلة أنه ذُكر عنده أهل الحديث بمكة فقال: قوم سوء! فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل بيته. قال ابن تيمية[2]: «لأنه عرف مغزاه» عرف مغزاه: يعني: لماذا يطعن في أهل الحديث؟!! لأنه يطعن في الحق الذي معهم وفي السنة التي معهم! وهكذا منهج الحدادية؛ ما قام إلا على الكذب وعلى الطعن في العلماء!!

الشاهد: الآن هؤلاء الكذابون أهل الفتن، ذهبوا يسألون بعض المشايخ مع الأسف يريدون أن يجهلوني! يعني: منهج يسير عليه القرآن والسنة وأئمة

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الفتاوى (١٧/ ٣٩٣-٣٩٤) وهو يتكلم عن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: «وأما الذم فإنما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا يطلبون إلا المتشابه لإفساد القلوب، وهي فتنتها به، ويطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء، بل هذا لأجل الفتنة، وكذلك= صبيغ بن عسل ضربه عمر؛ لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة، وهذا كمن يورد أسئلة وإشكالات على كلام الغير، ويقول: ماذا أريد بكذا؟ وغرضه التشكيك والطعن فيه، ليس غرضه معرفة الحق... وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه- وهو عالم بالمحكم متبع له، مؤمن بالمتشابه، لا يقصد فتنة- فهذا لم يذمه الله».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٩٦).

الإسلام يريدون هدمه! كم من الأصول يسعى الحدادية إلى هدمها؟! ونأسف الأسف الشديد أن كثيرًا من أهل السنة لم ينتبهوا لخطورة هذه الفرقة الفاجرة القائمة على الفجور والكذب والحقد الأرعن على أهل السنة ومحاولة إسقاطهم وإسقاط منهجهم!!

الآن؛ علماء السلفية في المملكة سقطوا وما بقي إلا اثنان أو ثلاثة، وهم يتسترون وراءهم مثلما كان يتستر ابن سبأ وراء أهل البيت؛ وراء علي!! كل صاحب فتنة يأتي له بستارة لا يأتيك هكذا مكشوفًا (١٥٠) بالمائة، وإنما يضع له ستارة يقاتلك من ورائها وهكذا الحدادية الآن!

الآن؛ علماء المملكة وعلماء اليمن وعلماء الشام وعلماء الجزائر وعلماء الهند وعلماء الدنيا كلها وكل علماء السلفية في العالم كلهم؛ هم وطلابهم أهل بدع! والحدادية هم أهل السنة المحضة! لماذا سلفيتهم محضة؟ لأنها قائمة على الكذب والفجور! لهذا أئمتهم معصومون لا يُخَطَّئون! بل صاروا كلهم معصومين إذا كانوا من هذه العصابة، لا يخطَّئون؛ ولا أحد يخطِّئ أحدًا مهما كذب، مهما افترى، مهما خان، مهما ظلم، ومهما أجرم لا اعتراض عليه أبدًا، والحرب إنما هي على أهل السنة؛ لأنهم أهل السنة!!

الآن؛ أهل الجزيرة سقطوا؛ الدعوة لمن؟ لأهل البدع! في مكة علماء السنة سقطوا لمن صارت الدعوة؟ صارت لأهل البدع! في المدينة علماؤها سقطوا لمن الدعوة؟ لأهل البدع! فالحدادية يخدمون سادتهم من أهل البدع؛ فتنبهوا لهم!

لا أرى شرًّا منهم الآن، الروافض عندهم شيء من الأخلاق والأدب؛ الروافض عندهم كذب وفجور وخبث لكن لا يلحقون هؤلاء في الفجور والكذب وقلة الحياء وسوء الأدب وقلة المروءة! لا تجد طائفة حتى في الكفار لا تجد أسوأ من هذه الطائفة وأقل أدبًا وأسوأ أخلاقًا وأقذر أخلاقًا منهم! افهموها واثبتوا على الأخلاق الإسلامية وربوا أنفسكم على الصدق والأخلاق

العالية واحترام أهل العلم والفضل واحترام بعضكم بعضًا.

هذه الفرقة تقوم على الكذب وهدفها التشتيت والتمزيق وغرس الأحقاد في نفوس السلفيين خاصة!!

* * *

«أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الإسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجلٌ إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. قال: فما رأيته وجَدَ من شيء كَوَجْدِهِ من مقالته، وعلاه الرحضاء، وأطرقَ القومُ، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سُرِّي عن مالك فقال: الكيفُ غير معلوم، والاستواء غيُر مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًا، ثم أمر به فأخرج.

أخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد، وأبو عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل لمالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: فما رأيتُ مالكًا وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكر نحوه».

الشرح:

هذا الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ غضب غضبًا شديدًا وأمر بطرد هذا السائل عن كيفية الاستواء من حلقته واتهمه في دينه!

فماذا يقول فيه هؤلاء الحدادية؟!! مبتدع؟!

والشيء بالشيء يُذكَر. البارحة رأيت لهم مقالًا يسألون بعض المشايخ: ما رأيكم فيمن يزجر الذي يسأل عن حديث الصورة؟ والله ما أدري ماذا أجابه

الشيخ! لكن هم يريدون الطعن فيّ!

فالحدادية أسئلتهم كلها من هذا النوع بل- والله- أشد!

والله لعل هذا الذي سأل مالكًا تربى واستفاد، ووقف ولم يذهب يحارب مالكًا! لكن هؤلاء فتحوا مواقع للحرب! وهذا لم يفتح مواقع على مالك وذهب يشيع في البلدان أن مالكًا طردني وكذا.. وكذا.. وأنا أسأل عن الحق، ويأتي له بألف شبهة وكذبة، لكنه انقمع! لكن هؤلاء لا ينقمعون؛ هؤلاء لا يقمعهم إلا السيف والسجون والمطاردات!!

ليت العلماء والمسئولين ينتبهون لهذه الفئة المجرمة ويعرفون أهدافها وماذا تريد!

هذا مالك أجاب بهذه الإجابة وربيعة كذلك وأم سلمة- والحديث عنها ضعيف-، قالوا: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»؛ «الاستواء معلوم» حقيقة ثابتة من القرآن والسنة ولغة العرب والعقل والفطرة، «والكيف» لا يعلمه إلا الله ﷻ؛ يندرج في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. يعني المتشابه من الكيفيات.

الصفات حقائق ثابتة لله معلومة من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ودان بها السلف الصالح؛ فالصحابة والتابعون وأئمة الإسلام إلى يومنا هذا على هذا الصراط المستقيم وعلى هذا المنهج القويم: أن لله صفات كمال تليق بجلاله؛ صفات عظمة وجلال من الاستواء والعلو والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والنزول والمجيء...إلخ، صفات تليق بذات الله -تبارك وتعالى- وتدل على عظمته ﷻ؛ آمنوا بها إيمانًا صادقًا لأنها صدرت عن الله رب العالمين الذي لا يأتي كلامَه الباطلُ من بين يديه ولا من

خلفه، وصدرت من رسول اللَّه الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ فكيف لا نؤمن بها ونصدِّق؟!!

أما الكيفيات فما أخبرنا اللَّه بها ولا أخبرنا رسول اللَّه ﷺ؛ فنسكت عنها فهي من المتشابهات، لا نقول: كيف؟ أبدًا، فإنّ الكيف لا نعلمه؛ لأن ذات اللَّه ﷻ لا نعرف كنهها فلا نستطيع أن نكيِّفها؛ نؤمن بالذات لكن لا نستطيع أن نكيفها، لا نعرف كيفية هذه الذات. اللَّه أعظم من كل شيء؛ للَّه ذات ونؤمن بذلك لكن لا نكيف، لا نقول إن ذات اللَّه على كيفية كذا؛ لهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فنفى المثليات والكيفيات كلها عن اللَّه ﷻ؛ لم يقل: علمي كيفيته كذا، استوائي كيفيته كذا، قدرتي كيفيتها كذا، نؤمن بهذه الصفات العظيمة وأنها حقائق ثابتة للَّه ﷻ لكن كيف؟ لا ندري، كيف استوى؟ لا ندري، كيف ينزل؟ لا ندري؛ لأن اللَّه ﷻ ما أخبرنا بهذا وسيأتي كلام العلماء في هذا بارك اللَّه فيكم.

وهنا ساق إسنادًا ثانيًا عن مالك في نفس القضية وأنه استنكر هذا السؤال وغضب منه ﷺ، وكان مالك قويًّا في سدّ الذرائع الموصلة إلى الفتن والفساد ومنهجه قويّ في هذا الباب، والعلماء كذلك، لكنّ مالكًا كان متشددًا أكثر من غيره ومنها هذه القضية.

ساق ثلاثة أسانيد كلها مدارها «مالك» والمعنى ما ذكرنا ويأتي سؤال هذا الرجل:

* * *

«وسُئِل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كُشِف لنا، وقد أعلمنا -جل ذكره- أنه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى.

أخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن السّامي قال: حدثني عبد اللَّه بن أحمد بن شبويه المروزي قال: سمعتُ علي بن الحسين بن شقيق يقول: سمعتُ عبدَ اللَّه بن المبارك يقول: «نعرف ربَّنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنًا منه خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية أنه ها هنا» وأشار إلى الأرض».

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب» هذا أمر غيبي؛ كلام العقلاء الحكماء «قال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كُشِف لنا» علم الغيوب لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ، وعلوم البشر جميعًا بالنسبة لعلم اللَّه كقطرة في بحر، فما كُشِف لنا من هذه الغيبيات إلا القليل، لا نعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، فاللَّه كشف لنا أنه استوى على العرش وأنه فوق المخلوقات، لكن لم يبيِّن لنا الكيف، وكثير من الغيبيات لا نعلمها، فنحن لا نتكلم عن اللَّه إلا في حدود علمنا فقط؛ في هذا المقدار الذي أطلعنا اللَّه عليه، فلا نتجاوز ذلك إلى ما لم يكشفه اللَّه -تبارك وتعالى- لنا من علوم الغيب، فهذا كلام الحكماء العقلاء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أعلمنا -جل ذكره- أنه استوى على عرشه، ولم يخبرنا كيف استوى» فهذا أمر غيبي أخبر اللَّه عنه ولم يبيِّن لنا كيفيته؛ نؤمن به ونصدق به ولا نسأل عن كيفيته، وما لم يخبرنا به لا نتعرض له ولا ندخل فيه؛ لأنه أمر غيبي استأثر اللَّه به ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال علي بن الحسين بن شقيق: سمعت عبد اللَّه بن المبارك يقول: نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنًا منه خلقه» العرش فوق السموات واللَّه فوق العرش، ويقصد بقوله: «بائنًا من خلقه» الرد على

الجهمية الذين يقولون: اللَّه في كل مكان! فاللَّه ﷻ متميِّز عن خلقه؛ فمخلوقاته ليست في شيء من ذاته، ولا ذاته في شيء من مخلوقاته، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا وأشار إلى الأرض» الجهمية يقولون: في كل مكان بزعم التنزيه! يزعمون أنهم ما أنكروا صفة الاستواء والعلو إلا تنزيهًا للَّه وبعد ذلك أين اللَّه؟ قالوا: في كل مكان! هل هذا تنزيه؟!

الأماكن فيها القذر وفيها البلاء وفيها... وفيها...، هذا اعتقاد خبيث!

مما يدل على أن واضع هذا المنهج زنديق معارض لكتاب اللَّه ﷻ، ولا يقدِّس اللَّه ولا ينزِّهه، وإنما يتستر بقضية التنزيه أو بلفظ «التنزيه»! وهكذا كل ضال يأتي بلفظ يتستر من ورائه أو بشخص يتستر من ورائه، فهم اتخذوا من لفظ «التنزيه» سلَّمًا لإسقاط صفات اللَّه -تبارك وتعالى- وإنكارها والحرب على الكتاب والسنة وعلى من يؤمن بهذه الصفات التي وردت في الكتاب والسنة الدالة على عظمة اللَّه وكمال صفاته.

ذاك الإمام مالك، وهذا أبو علي بن الحسين بن الفضل من أئمة الإسلام، والثالث عبد اللَّه بن المبارك إمام الأئمة في عهده؛ الذي لم يعرف له نظير في وقته علمًا وجهادًا وجودًا وسخاء وحبًّا لأهل السنة وإكرامًا لهم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كان يغزو ويجاهد ويبذل ماله؛ يعني: كان غنيًّا ينفق أمواله في سبيل اللَّه وعلى أهل السنة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو في القمة من العلم والفضل والعقل والذكاء والحفظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فأين جهم بن صفوان وأذنابه من هؤلاء الأئمة حتى يلتفت إلى ردّهم على واحد من علماء السنة؛ فضلًا عن ردهم لنصوص الكتاب والسنة؛ عن ردهم لكلام اللَّه ولكلام رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؟!!

* * *

«وسمعت الحاكم أبا عبد اللَّه الحافظ في كتابه «التاريخ» الذي جمعه لأهل نيسابور وفي كتابه «معرفة الحديث» اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت: أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقرّ بأنّ اللَّه ﷻ على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته، فهو كافر بربه، حلال الدم، يُستتاب فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه، وأُلقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فَيْئًا لا يرثه أحد من المسلمين؛ إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» [رواه البخاري]».

الشرح:

هذا موقف الإمام ابن خزيمة ممن ينكر علو اللَّه -تبارك وتعالى- واستواءه على عرشه؛ أنه يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل مرتدًا، وكثير من أئمة السلف على هذا القول الذي قاله ابن خزيمة -رحمه اللَّه تعالى-.

وأهل السنة لا يزالون يشترطون إقامة الحجة؛ الذي ينكر علو اللَّه وصفاته هذا كفر باللَّه لاشك؛ لأنّ تعطيل هذه الصفات تكذيب لكتاب اللَّه ولسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكن هذا المعطِّل هل هو مكذِّب فعلًا أم عنده شبهات؟!!

أما الجهمية الأولى فالظاهر أنهم كانوا متعمِّدين وعلى بصيرة من أمرهم؛ أنهم يردون نصوص الكتاب والسنة، أما المتأخرون فوُجد فيهم كثير ممن يحترم الكتاب والسنة ويحبون أئمة السلف ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فيهم لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، فعقائدهم هذه كفرية لا شك، لكن لا نكفِّرهم حتى تقام عليهم الحجة، فإذا أقيمت عليهم الحجة وأصروا على عقائدهم يُكفَّرون، وإذا كان هناك من يقيم عليهم حد الردة فيقتله لا شك؛ فإنّ المبتدع

خاصة الداعية المعاند إذا أمكن قتله وكفّ شرِّه وفساده عن الإسلام والمسلمين فإنه يجب على ولاة الأمور أن يقوموا بذلك؛ لأن هذا من مسئولياتهم «فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[(١)]. فولاة الأمور مسئولون عن دين اللَّه ومسئولون عن رعاياهم؛ يحافظون على عقائدهم ودياناتهم وثغورهم وحقوقهم ويردون على أهل الفتن ويقاتلون الكفار؛ هذه من مسئوليات ولاة أمور المسلمين إذا قدروا على القيام بذلك.

* * *

«وإمامنا أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي ﷺ في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وإن « ... » لا يصح التكفير بها لخبر معاوية ابن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول اللَّه ﷺ عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول اللَّه ﷺ فقال ﷺ: «من أنا؟» فأشارت إليه وإلى السماء؛ يعني أنك رسول اللَّه الذي في السماء، قال ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة».

الشرح:

ويأتي هنا بكلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإمامنا أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي ﷺ **في كتابه المبسوط**» يقصد به الواسع، الموسّع: الأمّ؛ لأن له مؤلفات أوسعها كتاب «الأمّ»، وهذا النص أيضًا موجود في «الرسالة». «في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وإن « . . . » هناك كلام سقط هنا لا أدري فلعله: «وأن غير المؤمنة»، «لا يصح التكفير بها لخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة، وسأل رسول اللَّه ﷺ عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول اللَّه ﷺ فقال ﷺ: «**من أنا؟**» فأشارت إليه وإلى السماء؛ يعني أنك رسول اللَّه الذي في السماء، قال ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

---

(١) قطعة من حديث ابن عمر ﷺ؛ أخرجه البخاري [رقم (٧١٣٨)، كتاب الأحكام] ومسلم [رقم (١٨٢٩)، كتاب الإمارة].

فالإمام الشافعي وجمهور العلماء على أن الرقبة في كفارة القتل الخطأ لا بد أن تكون مؤمنة، وهذا منصوص في كفارة القتل الخطأ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، في كفارة القتل الخطأ جاء النص مصرحًا بأنه لابدّ أن تكون الرقبة مؤمنة، وفي كفارة اليمين وكفارة الظهار جاءت الرقبة مطلقة: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ليست موصوفة ولا مقيدة بقوله: ﴿مُّؤْمِنَةٌ﴾، فالشافعي وأئمة الإسلام حملوا المطلق على المقيد وقالوا: لا بد في كفارة اليمين والظهار من أن تكون الرقبة المحررة مؤمنة ولا يصح عتق الرقبة الكافرة، والرقبة يعني: العبد المملوك سواء ذكرًا كان أو أنثى؛ فلا يصح عندهم عتق الرقبة الكافرة كفارة عن اليمين وعن الظهار حملًا للمطلق على المقيد.

النص في كفارة اليمين وفي كفارة الظهار مطلق وفي كفارة القتل الخطأ مقيد بالإيمان فتحمل النصوص المطلقة على هذا النص المقيد.

مما يؤيد هذا المذهب في حمل المطلق على المقيد هذا الحديث: «عن معاوية ابن الحكم السلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أحد والجوانية فاطّلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمنا وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكن صككتها صكة فأتيت رسول اللّه ﷺ فعظّم ذلك عليّ، قلت: يا رسول اللّه، أفلا أعتقها؟ قال: **ائتني بها؟** فأتيته بها فقال لها: **أين اللّه؟** قالت: في السماء. قال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول اللّه. قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**»[1]. يعني: لعظمة هذه الصفة وكون اللّه في السماء سأل هذه الجارية هذا السؤال العظيم!

هذا يسمى الإيمان الظاهر، فأخذ المرجئة من هذا النص أن الإيمان قول فقط! والجارية هنا لا أحد يعرف عقيدتها، لم تظهر شيئًا من العمل إلى حين

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨) ومسلم [رقم (٥٣٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] واللفظ له.

سؤالها، والرسول ﷺ حكم بناء على هذا القول بأنها مؤمنة، لكن هل حكم لها بالإيمان الكامل؟ الجواب: لا! وإنما حكم لها بالإيمان الظاهر الذي تبنى عليه الأحكام الظاهرة.

فالمرجئة مما احتجوا به على أن الإيمان هو القول فقط هذا الحديث! وهذا ضلال.

الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس مجرد القول وليس مجرد التصديق، وبعضهم يضم إلى القول التصديق ومع ذلك هم مرجئة!

ومن ضعف عقيدتهم ومنهجهم يتعلقون بخيوط العنكبوت كما يقال! فيتعلق بأيّ شيء يرى أنه حجة له على تصحيح مذهبه، لكن أولو الفقه والنهى والعلم الذين فقهوا كتاب اللّٰه وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- بدّعوهم وقالوا: هذا ضلال؛ والاستدلال بهذا ليس بصحيح، ولا يصح استدلالكم بهذه القصة؛ بموقف الجارية وموقف الرسول منها.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: مؤمنة، أيّ إيمان؟ هل الإيمان الكامل؟ الجواب: لا؛ وإنما الإيمان الظاهر الذي تبنى عليه الأحكام[1].

ثم ننظر هل هذا الإنسان طبق أو لم يطبق، وفي الحديث الصحيح: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه، ويقيموا**

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٩-٢١٠): «قلت: وأما احتجاجهم بقوله للأمة: "اعتقها فإنها مؤمنة" فهو من حججهم المشهورة، وبه احتج ابن كُلاَّب، وكان يقول: الإيمان هو التصديق والقول جميعًا، فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه، وهذا لا حجة فيه؛ لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة». وقال في (ص٢١٥): «والمقصود أن النبي ﷺ إنما أخبر عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة، وإلا فقد ثبت عنه أن سعدًا لما شهد لرجل أنه مؤمن قال: «أو مسلم» وكان يظهر من الإيمان ما تظهره الأمة وزيادة، فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب».

الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللَّه»[١]. يعني: لا يعلم ما في قلوبهم إلا اللَّه؛ أعلنوا في الظاهر ونحن نكل سرائرهم إلى اللَّه -تبارك وتعالى-، ونرقب هل قاموا بحق الإسلام أو لم يقوموا به؟ إن قاموا به أثبتنا لهم الإيمان الكامل الظاهر والباطن، فعملهم بالإسلام واعتقادهم الصحيح دليل على أنهم- إن شاء اللَّه- مؤمنون ظاهرًا وباطنًا، لكن لا يلزم من الحكم بإيمان الشخص المعيّن لقيامه بحق الإسلام أن يحكم أنه مؤمن ظاهرًا وباطنًا، فهذا مرجعه إلى اللَّه -تبارك وتعالى-.

الشاهد من هذا الحديث: أن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على طريقة أهل السنة في الإيمان بعلو اللَّه، ولهذا احتج بهذا الحديث في باب الكفارة وهو في نفس الوقت يحتج به في قضايا علو اللَّه -تبارك وتعالى- وإثبات صفاته، وله كلام آخر وأدلة تدل على أنه إمام من أئمة السنة في باب الأسماء والصفات فهو يقول: الذي ينكر صفات اللَّه تقام عليه الحجة فإن رجع وتاب وإلا كفِّر- على طريقة أهل السنة في أنه لا يكفر الواقع في الكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه -، وهذا نقله عنه الحافظ في «فتح الباري» ورأيت له نصوصًا أخرى لا أستحضرها الآن أظنها -واللَّه أعلم- في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، أظن هذا -واللَّه أعلم-؛ لأنّ عهدي به بعيد.

فهذا إمام من أئمة الإسلام على طريقة أئمة السنة في الإيمان بعلو اللَّه - تبارك وتعالى- وأنه فوق سمواته على العرش استوى -جل وعلا-، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

* * *

(١) أخرجه البخاري [رقم (٢٥)، كتاب الإيمان] واللفظ له، ومسلم [رقم (٢٢)، كتاب الإيمان] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«فَحَكَمَ رسول اللَّه ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أَقَرَّت بأن ربّها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية، وإنما احتجَّ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر لاعتقاده أنّ اللَّه سبحانه فوق خلقه وفوق سبع سمواته على عرشه كما هو معتقد المسلمين أهل السنّة والجماعة سَلَفِهم وخَلَفِهم، إذ كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يروي خبرًا صحيحًا لا يقول به».

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَحَكَم رسول اللَّه ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أَقَرَّت بأن ربَّها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية»؛ لأنها على الفطرة؛ الطفل تسأله: أين اللَّه؟ يقول: في السماء، حتى بعض البهائم مثل الشاة لما تُوَلّد وتنتج تقوم ترفع إلى السماء! حتى الحيوانات! وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ساق قصصًا عن الحيوانات مما يدل على أنها تؤمن بأن اللَّه في السماء.

فالمخلوقات مفطورة؛ الملائكة والبشر والجن والإنس والحيوانات مفطورة على أن اللَّه في السماء، وهذا الذي لا يؤمن العقل السليم بسواه، ويرفض ما يذهب إليه المعطلة والجهمية من أن اللَّه في كل مكان أو لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار!!

فهم لضلالهم إما أن يقولوا: إنّ اللَّه في كل مكان- وهذا تنقص للَّه -تبارك وتعالى-، وإما أن يحكموا عليه بأحكام المعدوم الذي لا يوجد؛ لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار؛ فهذا يتفق مع المنهج الشيوعي بأنه لا وجود للَّه عَزَّوَجَلَّ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا!!

«وإنما احتجَّ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر لاعتقاده أنّ اللَّه سبحانه فوق خلقه وفوق سبع سمواته على عرشه كما هو معتقد المسلمين أهل السنّة والجماعة سَلَفِهم وخَلَفِهم، إذ كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يروي خبرًا صحيحًا لا يقول به» فالمصنف يؤكد أن

الشافعي متمسك بالكتاب والسنة، وأنه لا يرد نصًا من نصوص الكتاب والسنة سواء في باب الاعتقاد أو في باب الفروع والعمليات؛ فهو إذا ورده نص من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ لابد أن يعمل به، ولابد أن يصدّقه ولا يحيد عن هذا المنهج، ويستنكر أشد الاستنكار على من يقول له: أتعمل بهذا الحديث- كما سيأتي -؟.

* * *

«قال: وقد أخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أنبأنا الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعتُ الشافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إذا رأيتموني أقول قولًا وقد صحَّ عن النبي ﷺ خلافُه فاعلموا أنَّ عقلي قد ذهب.

قال: قال الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا الوليد غير مرة يقول: حُدِّثت عن الزعفراني أنّ الشافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ روى يومًا حديثًا فقال السائل: يا أبا عبد اللَّه، تَقُولُ به؟ قال: تراني في بَيْعَة أو كنيسة؟! ترى عليّ زيَّ الكفّار؟! هو ذا تراني في مسجد المسلمين عليّ زيُّ المسلمين مستقبل قبلتهم، أروي حديثًا عن النبي ﷺ ثم لا أقولُ به؟!»

الشرح:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا يبيّن لنا موقف الإمام الشافعي رضي الله عنه من سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، وأنه يحترمها؛ سواء في العقيدة، أو في الحلال والحرام، أو في الأخلاق والسياسة أو في أيِّ مجال من المجالات؛ إذا صح الحديث عنده فلا يتعدّاه أبدًا، ولا يمكن في نظره ولا نظر غيره أن يقول بخلافه رَحِمَهُ اللَّهُ عمدًا، وهو يقرِّر أصلًا دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه علماء السنة -رحمهم اللَّه-: أننا نتمسك بما ثبت عن رسول اللَّه سواء كان الحديث صحيحًا أو حسنًا؛ فإذا ثبت حديث عن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في أيِّ مجال من المجالات فلا يسعنا إلا أن نؤمن به ونسلم به: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، هذا أصل عظيم؛ فاللَّه يقسم على أن أحدًا لا يؤمن أبدًا إلا إذا حكّم رسول اللَّه ﷺ راضيًا منشرحًا بذلك صدره لا يجد حرجًا؛ لو حكّمته وفي نفسك حرج لم تكن مؤمنًا؛ فلا بد أن يُنْفى هذا الحرج، ولا بد من الاستسلام والانقياد لما حكم به رسول اللَّه ﷺ.

هذه- الآن- قضية ضائعة عند كثير من المسلمين! ولهذا سلط اللَّه عليهم أعداء الإسلام لاستهانتهم بسنة رسول اللَّه فلا يعتقدون ما دلت عليه، ولو جاءت من طرق ثابتة صحيحة فإنهم يُوسِعُونَها تهربًا وتأويلًا . . وإلى آخره!

فأخبار الآحاد عندهم خاصة في باب الأسماء والصفات والعقائد لا وزن لها؛ يقدّمون عليها وساوسهم التي يسمّونها بالعقليات! فهي عندهم تفيد الظن ولا تفيد اليقين، وعقولهم الفاسدة الكاسدة الضالة هي التي تفيد اليقين! أهلكتهم هذه العقول الشيطانية فخالفوا نصوص الكتاب والسنة وليس نصوص السنة فقط!!

فأخبار الآحاد عندهم تفيد الظن، وقد تكون من الأحاديث المتواترة في العقيدة فيقولون عنها: إنها آحاد!! وكثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة ما هي إلا بيان لكتاب اللَّه ولسنة رسول اللَّه؛ يؤيدها كتاب اللَّه وتؤيده، وهم يقولون: تفيد الظن! وإذا حصرت عليهم الأمر يقولون: حتى نصوص القرآن المتواترة ونصوص السنة المتواترة دلالتها ظنية لا تفيد اليقين!!

والشافعي قال في أهل هذه المناهج الفاسدة: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وأخذ بالكلام»[1]؛ كلام فيه الهلاك وفيه الضلال، كلام نشأ عن فلسفات أعداء اللَّه من المجوس واليونان

(١) رواه البغوي في شرح السنة (ج١ص٢١٨) ونصر المقدسي في مختصر كتاب الحجة على تارك المحجة (ص٤٧٥) وأبو نعيم في الحلية (ج٩ص١١٦).

وغيرهم!

فعلينا معشر الشباب ومعشر المسلمين أن نتمسك جميعًا بكتاب اللَّه -تبارك وتعالى- كما أمرنا اللَّه بذلك وأمرنا بذلك رسول اللَّه ﷺ، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾، والرسول ﷺ يقول: **«تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب اللَّه»**[1]، **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**[2]؛ إي واللَّه لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا -عليه الصلاة والسلام- على البيضاء؛ وهي شريعة بيضاء مشرقة، وكاملة ووافية في كل المجالات، لا ثغرة فيها تحتاج إلى أن نكمّلها أبدًا، ولكن المصيبة تأتي على كثيرٍ من المسلمين من الجهل بمنزلة هذه الشريعة؛ من الجهل ومن الهوى الذي يدفع كثيرًا منهم إلى مخالفة ما جاءت به هذه الشريعة الغرّاء!

نسأل اللَّه أن يثبتنا وإياكم على التمسك بكتابه وبسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- وأن يجنبنا وإياكم الهوى ما ظهر منه وما بطن.

هنا في قضية الخلافات الفقهية: الأحناف يرون أنه يجزئ في الكفارة أيّ رقبة؛ مؤمنة أو كافرة، والشافعي وجمهور المسلمين يرون أنه لا يجزئ في الكفارة؛ كفارة اليمين والظهار وقتل النفس إلا الرقبة المؤمنة، واحتج الشافعي بهذا الحديث.

ومن حججه القرآن الكريم، وقد ذكرنا لكم هذا في الدرس الماضي؛ وخلاصته أن الرقبة جاءت مقيدة بالإيمان في كفارة القتل الخطأ، وفي كفّارة الأيمان والظهار جاءت مطلقة، فالجمهور ومنهم الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يحملون النصوص المطلقة على النصوص المقيدة.

---

(١) قطعة من حديث جابر الطويل في وصف حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجه برقم (٤٣) والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥برقم٣٣١) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، انظر الصحيحة (٢/ ٦١٠رقم ٩٣٧).

وهذه قاعدة عظيمة ليست في هذا الباب فقط، بل في كل الأبواب؛ وهي أنه إذا جاء نص خاص ونص عام أو نص مطلق وآخر مقيّد وأوهما التعارض والاختلاف مثلًا؛ فإنه يُحمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد.

فهذه القاعدة طبقها الجمهور هنا: فحملوا الرقبة المطلقة على الرقبة المقيّدة بالإيمان، واحتجوا بهذا الحديث؛ حديث الجارية- وقد سبق -؛ حيث سألها رسول اللَّه ﷺ فقال لها: «**أين اللَّه؟**» قالت: في السماء قال: «**من أنا؟**» قالت: رسول اللَّه. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»؛ اعترَفَت بعلو اللَّه ﷻ واعترفت برسالة محمد ﷺ، وهذا عند علماء الأمة يسمى بالإيمان الظاهر الذي تبنى عليه الأحكام الظاهرة، فإذا رأينا إنسانًا يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ويصلي؛ فنحن لنا الظاهر وقد يكون منافقًا؛ لأن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويجاهدون ويتوارثون مع المسلمين و. . و. . إلى آخره وهم كفّار أشدّ من الكفّار المتظاهرين بكفرهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وإن كان ظاهرهم الإسلام فنحن نتعامل معهم بحسب الظاهر؛ يعني: لا نقتلهم، ولا نستبيح دماءهم، ولا نحرمهم من الميراث؛ بل يتوارثون مع المسلمين ويتزوجون من نسائهم؛ يزوِّجونهم بناء على ظاهر إسلامهم هذا؛ فنتعامل معهم بالظاهر.

لكن المرجئة «الكرامية» استدلوا بهذا الحديث على أن الإيمان هو القول فقط؛ قالوا: نطقت بالإيمان فقالت: إن اللَّه في السماء وشهدت أن محمدًا رسول اللَّه، والعمل لا يوجد هنا، والإيمان القلبي ما عرفناه! فهذا دليل على أنها مؤمنة كاملة الإيمان.

وهذا ضلال؛ لأن الإيمان: قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ دل على ذلك آيات كثيرة ونصوص كثيرة، وعليه أهل السنة والجماعة، هذا ما يمكن أن نقوله حول حديث الجارية.

ويؤكد الإمام الشافعي كرّات ومرّات منهجه في التمسّك بالسنّة، وأخذ المصنف منه أن الشافعي من الأئمة الذين يؤمنون بعلو اللَّه؛ لأنه استشهد بهذا الحديث واستدل به، ولو كان ممن ينكر علو اللَّه- وحاشاه من ذلك- لما احتج به، أو يحتج به ويقول: أحتج به في هذه القضية لكن لا أؤمن بالعلو وحاشاه من ذلك، بل هو كما نقل عنه الحافظ بن حجر وأظن ابن أبي حاتم- أيضًا- يقول: إن هؤلاء الذين ينكرون صفات اللَّه ﷻ؛ هؤلاء يبيّن لهم الحق وتقام عليهم الحجة فإن تابوا وأثبتوا للَّه الصفات فذاك وإلا يحكم عليهم بالكفر بعد قيام الحجة. فهذا يؤكد أن الإمام الشافعي ﷺ من أئمة السنة في هذا الباب وفي غيره، ولماذا قال في أهل الكلام: «يضربون بالجريد والنعال..»؟ لأنهم عندهم هذه السفسطات التي توصلهم إلى إنكار صفات اللَّه وإنكار علوه.

وهنا يروي المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد آخر عن شيخه الحاكم أبي عبد اللَّه النيسابوري بإسناده إلى الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «إذا رأيتموني أقول قولًا وقد صحَّ عن النبي ﷺ خلافُه فاعلموا أنّ عقلي قد ذهب».

هذا يؤكد أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أنه إذا صح الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فإنه يجب الأخذ به؛ ولهذا قال: وإذا لم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب؛ لأن هذا من الجنون -والعياذ باللَّه-، وفعلًا الذي يتعمّد مخالفة سنة رسول اللَّه؛ مجنون! قد يخالفها جهلًا منه؛ يعني: ما بلغته فهذا يُعذَر وإن كان من كبار العلماء؛ لأن السنة ما أحاط بها أحد، ومن هنا يقول الشافعي: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي»[1] وهذا يقوله احتياطًا لما لم يبلغه من الأحاديث؛ لأنه لم تبلغه كل الأحاديث؛ فقد يفوته بعض الأحاديث، أو يقف على حديث إسناده

(١) قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فالنقول عنه في ذلك أكثر وأطيب، وأتباعه أكثر عملًا بها وأسعد. فمنها ما روى الحاكم والبيهقي عنه أنه كان يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» المستخرج على المستدرك (ص١٦).

ضعيف، والإسناد الضعيف لا يُحتج به ولاسيّما في الحلال والحرام؛ فيعلّق الأمر على الصحة، فإن كان الحديث صحيحًا فلا يمكن أن يخالفه الشافعي إذا بلغه، فإذا خالفه فليشهد عليه الناس أن عقله قد ذهب.

ومعنى هذا: أن من عنده عقل وإيمان صادق لا يخالف سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولا يخالفها إلا سخيف العقل أو مجنون- والعياذ بالله- يكون متبعًا لهواه؛ لأنه إذا خالف الحديث الصحيح اتبع من؟ اتبع الهوى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

طبعًا للأئمة خلافات لبعض الأحاديث الصحيحة، لكن ليس ذلك منهم تعمّدًا، ومن ظنَّ أنَّ عالمًا من أئمة الإسلام المعتبرين عند الأمة ولهم قَدَمُ الصدق في الإسلام أو اعتقد فيهم أنهم يتعمّدون مخالفة سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ فهذا قد أساء إلى الإسلام وإلى المسلمين! لا يجوز أن يظن بهم هذا، ولهذا ألف شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه القضية كتابًا سماه «رفع الملام عن أئمة الإسلام» وجاء فيه بأعذار للأئمة في الأحاديث التي خالفوها؛ فمما اعتذر لهم به أنه: إما أنها لم تبلغهم، أو أنها بلغتهم من طريق ضعيف، أو لم يُدرك دلالتها على الحكم الذي خالفه أو شيئًا من هذا، وجاء بحوالي عشرة أعذار لهم، وهذا كله انطلاقًا من قول الرسول ﷺ: **«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»**[1]؛ هذا في المجتهد المخلص الصادق، وأما المتبع لهواه فهذا إنما يتبع هواه.

لهذا يجب أن نفرّق بين أئمة السنة المشهود لهم بالسنة والإمامة في الدِّين وبين أهل الأهواء؛ أهل الأهواء يتعمدون مخالفة الكتاب والسنة! والأئمة

(١) أخرجه البخاري [رقم (٧٣٥٢)، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة] ومسلم [رقم (١٧١٦)، كتاب الأقضية] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

الأعلام الراسخون في العلم المجتهدون بحق؛ هؤلاء لا يخالفون ولا يتعمدون مخالفة نصوص الكتاب والسنة -رحمهم اللَّه تعالى-.

وهذا رجل يسأل الشافعي؛ قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت أبا الوليد غير مرة يقول: حُدِّثت عن الزعفراني أنّ الشافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ روى يومًا حديثًا فقال السائل: يا أبا عبد اللَّه! تَقُولُ به؟ قال: تراني في بَيْعَة؟!» يعني: ما يخالف سنة رسول اللَّه عمدًا إلا كافر أو ضال! «تراني في بيعة أو كنيسة؟!»؛ البيعة: معبد اليهود، والكنيسة: معبد النصارى، وقيل العكس؛ يعني: هل عندك دليل على أني أتعمد مخالفة سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟ لو رأيتني في بيعة أو في كنيسة وقلت هذا الكلام كنت أعذرك لأنني لست مسلمًا، أما وأنا مسلم وفي مسجد من مساجد المسلمين وأحدّث عن رسول اللَّه ويصح الحديث عندي ثمّ تظن أني لا أقول به؛ فلا أعذرك؛ لأن هذا لا يصدر من مسلم وأنت عندك قرائن أنني مسلم؛ ولهذا قال: «ترى عليّ زيَّ الكفّار؟! هو ذا تراني في مسجد المسلمين عليّ زيُّ المسلمين» ما عليّ زيّ النصارى أو اليهود «مستقبل قبلتهم» هذه قرائن وأدلة على أني مسلم وأني أحترم سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ما الذي دفعك أن تسأل هذا السؤال؟!

هذا سؤال سيئ، وكثير من الأسئلة السيئة يجب أن يتجنبها المسلم، كيف تشك في هذا الإمام؟! يبلغه الحديث الصحيح ثم تقول له: أتأخذ به؟! سؤال خبيث -والعياذ باللَّه-، ولهذا اشتد الشافعي في الإجابة على هذا السؤال السخيف السفيه وقال هذا الكلام: «تراني في بَيْعَة أو كنيسة؟! ترى عليّ زيَّ الكفّار؟! هو ذا تراني في مسجد المسلمين عليّ زيُّ المسلمين مستقبل قبلتهم...» يعني: هذا دليل على أني مسلم وأني راض بالإسلام وأني متبع لرسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وأحترم سنته.

هنا يقول المعلِّق: أن هذا الأثر ضعيف من هذا الطريق؛ لأن الراوي هنا

يقول «حُدِّثت عن الزعفراني» ففيه راو مبهم لم يذكر في الإسناد وهو المحدِّث عن الزعفراني. وبعضهم يقول عن هذا الإسناد ونحوه: فيه راو ساقط. وهذا ليس بصواب؛ نبه العراقي على أن مثل هذه الصيغة ما يقال فيها: فيها سقط، وإنما يقال: فيها إبهام؛ يعني: قوله: «حدِّثت» تدل على أنّ هناك محدّثًا حدث لكنه مبهم، هذه فائدة حديثية. لكن لهذا الأثر طرق في معناه تدل على ثبوته.

والإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسوق هذه النصوص عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإقناع الشباب والطلاب بأن هذا منهج حق وعليه أئمة الإسلام؛ لأنه ممن يجلّ الإمام الشافعي ويعرف أن له منزلة عند المسلمين.

* * *

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفرقُ بين أهل السنة وأهل البدعة أنهم إذا سمعوا خبرًا في صفات الرب ردُّوه أصلًا ولم يقبلوه أو«...» الظاهر ثم تأوَّلوه بتأويل يقصدون به رفعَ الخبر من أصله وإبطال «---» عقولهم وآرائهم فيه ويعلمون حقًّا يقينًا أنَّ ما قاله رسول اللَّه ﷺ فعلى ما قاله إذ هو كان أعرف بالرب جَلَّ من غيره ولم يقُل فيه إلا حقًّا وصدقًا ووحيًا. قال اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

قال الزهري إمام الأئمة وغيره من علماء الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وعن «...»: على اللَّه البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم.

وروى يونس بن عبد الصمد بن معقل عن أبيه أن جعدَ بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات اللَّه تعالى فقال: ويلك يا جعد بعض المسألة! إني لأظنُّك من الهالكين، يا جعد، لو لم يُخبِرنا اللَّه في كتابه أن له يدًا وعينًا ووجهًا لما قلتُ ذلك، فاتق اللَّه. ثم لم يلبث جعد أن قُتِل وصُلِب.

وخطب خالد بن عبد اللَّه القسري يوم الأضحى بالبصرة، فقال في آخر خطبته:

«انصرفوا إلى منازلكم وضَحُّوا، بارك اللَّه لكم في ضحاياكم فإنِّي مُضَحٍّ اليوم بالجعد ابن درهم فإنه يقول: لم يتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا، ونزل عن المنبر فذبحه بيده وأمر بصلبه».

الشرح:

الإمام الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ يبيِّن هنا الفرق بين أهل السنة وأهل البدع؛ فأهل البدعة إذا سمعوا نصًّا إما أن يردوه علانية هكذا ويدفعوه، وإما أن يتحايلوا عليه فيتأولونه، أما أهل السنة فبعكس ذلك وبخلاف ذلك؛ فإنهم يقبلون هذا النص ويسلّمون به ويعتقدون ما دل عليه، بخلاف أهل البدع!! فلا تأويل عند أهل السنة ولا رد لما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- بل يؤمنون به ويسلِّمون به تسليمًا دون أي حرج، فهذا منهج أهل السنة والجماعة وذاك مذهب أهل البدع والضلال.

وبيّن كيف أنّ أهل السنة يقبلون هذه النصوص؛ فاحتج بالآية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، يعني: هم يعتقدون في رسول اللَّه ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقًّا -عليه الصلاة والسلام- كما أثنى عليه ربه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ الضلال: ضد الهدى، فهو مهتد -عليه الصلاة والسلام- ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ الغيّ: ضدّ الرشاد، فهو مهتد رشيد -عليه الصلاة والسلام-، وخلفاؤه مهتدون راشدون، ومن يتبعه فقد سُدِّد وهُدِي إلى الرشاد ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ -عليه الصلاة والسلام-، وقد «كان عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يكتب عن النبي -عليه الصلاة والسلام- كل ما يسمعه فنهته قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول اللَّه ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! قال: فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: «اكتب فو الذي نفسي

بيده ما يخرج منه إلا حق»[١]؛ يعني: يظنون أن رسول الله مثلهم إذا غضب قال الباطل! حاشاه -عليه الصلاة والسلام-؛ فهو لا ينطق عن الهوى لا في حال الرضا ولا في حال الغضب -عليه الصلاة والسلام-، ما ينطق إلا بالحق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ فالحديث يطابق الآية.

«قال الزهري إمام الأئمة وغيره» الزهري ﷺ له منزلة عظيمة؛ لأنه جمع سنة رسول الله وحفظها وسنة أصحابه جمعها لهم وحفظها، وكل المحدثين يرجعون إلى هذا الإمام الذي تصدى لسنة رسول الله فحفظها ودونها ﷺ، وأخذوا منه أصول علوم الحديث؛ إمام جليل عظيم، هذا الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ سئل سؤالًا: نأخذ حديث كذا؟ فقال: «من الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» سئل سؤالًا في الأحكام ليس في العقيدة فقال بهذا الكلام فكيف لو سئل سؤالًا في العقيدة ﷺ؟!!

«من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» في العقيدة في العبادة في أيِّ شيء سواء فهمنا النص أو ما فهمناه، قد يُشكل النص على بعض الناس فعليه أن يسلم أن هذا حق وأن رسول الله لا ينطق عن الهوى وأنه لا يقول على الله من عنده.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشير إلى معنى الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. لما قضى به رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروى يونس بن عبد الصمد بن معقل عن أبيه أن جعدَ بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات الله تعالى» وهب بن منبه من

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٢٩) وأبو داود (٣٦٤٦) والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٤-١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة (٤/ ٤٥) برقم (١٥٣٢) وفي صحيح الجامع برقم (١١٩٦).

علماء التابعين، أصله من أهل الكتاب وكان من خيار العلماء من خيار التابعين ﷺ، فسأله بعض الأسئلة المتعلقة بصفات اللَّه تعالى فقال له وهب: «بعض المسألة» يعني: اختصر قليلًا، قلِّل وخفِّف «إني لأظنك من الهالكين»؛ لأن بعض الناس يكثر الأسئلة هنا وهنا وهنا ويأتي بالمشاكل، لو كان هؤلاء في ذلك العهد يمكن أن يقتل كثير من هؤلاء السائلين! قال: «يا جعد، لو لم يُخْبِرنا اللَّه في كتابه أن له يدًا وعينًا ووجهًا لما قلتُ ذلك» يعني: اللَّه هو الذي قال هذا، ولو لم يقل هذا اللَّه ورسوله ما قلت بهذا؛ لأن هذا أمر غيبي ولا مجال للعقول فيه أبدًا، فمهما بلغ الإنسان من الذكاء وعظم عقله لا يمكن أن يدرك هذه الغيبيات؛ لأن هذه الغيبيات ليس لها طريق إلا الرسالات؛ لأنّ الرسل هم الذين يبلغون عن اللَّه ﷻ أمور الغيب من تفاصيل أمور الجنة والنار ومن صفات اللَّه؛ فهذه الأمور لا تدركها العقول وما لها طريق إلا الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الذين يبلغون عن ربهم؛ اللَّه يوحي إليهم بهذه العقائد الغيبية؛ [سواء] تعلقت بصفات اللَّه ﷻ أو تعلقت بأمور الجنة والنار والمستقبل أو الأخبار الماضية.. إلى آخره؛ فهذه ليس لها طريق إلا التلقي عن الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام- لا مجال للعقل فيها، فهو يقول له: لولا أن اللَّه أخبرنا بهذا ما قلنا به، فما قلنا إلا بعد أن قرأنا كتاب اللَّه فوجدنا هذه النصوص الدالة على أن اللَّه - تبارك وتعالى- موصوف بهذه الصفات على الوجه اللائق به ﷻ.

فللَّه وجه وعين وسمع وبصر وقدرة وإرادة؛ كلها صفات تليق بجلاله وعظمته لا تشبه صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فكيف تقيسه بالمخلوقات؟!! تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا، فإذا قال أن له علمًا؛ علمًا محيطًا بكل شيء من الأزل إلى الأبد، أنت ماذا عندك؟ حاجة في نفسك لا تعرفها! حاجة في بيتك واللَّه تجهلها وتنساها! أما اللَّه فقد أحاط بكل شيء من الأزل إلى الأبد، ما من مثقال ذرة في هذا الكون

ولا صغير ولا كبير إلا والله يعلمه ﷻ.

الجهمية يقولون: لا، لا نثبت ذلك، إذا أثبتنا ذلك يعني شبهناه بالخلق؛ لأن العلم عرض ولا يقوم إلا بالأجساد والأجسام فإذا آمنا بالعلم وآمنا بالقدرة أثبتنا مع الله آلهة وجعلنا هذه أعراضًا والأعراض تشبه أعراض المخلوقين إلى آخر السفاهات التي يقولونها!!

فنحن أهل السنة نستقبل هذه النصوص بالاحترام والتقدير على أساس أنه لا مشابهة ولا مماثلة أبدًا بين خالق هذا الكون وبين مخلوقاته ﷻ؛ فنؤمن بأن له سمعًا وبصرًا وقدرة وإرادة ويدًا وعينًا؛ نؤمن بها، كيف؟ لا ندري الكيفية، ليس هناك مشابهة؟ لا مشابهة بين صفات الخالق والمخلوق أبدًا.

قال: «فاتق الله! ثم لم يلبث جعد أن قُتِل وصُلِب» قتله خالد بن عبد الله القسري؛ كما ذكر قصته المصنِّف. وقتل هشام بن عبد الملك غيلانَ القدري؛ لأنه أعلن بعض عقائده الفاسدة مثل: إنكار الكلام والخلة.. وما شاكل ذلك؛ وكان أُخبِر عنه عمر بن عبد العزيز ﷺ الخليفة الراشد فسأله فقال: أنا ما قلت هذا أو أظهر التوبة فقال له عمر: نكلك إلى ظاهرك فإن كنت صادقًا فذاك، وإن كنت كاذبًا سلط الله عليك من يقتلك، ولما جاءت خلافة هشام بن عبد الملك أعلن مذهبه الفاسد فقتله هشام بن عبد الملك وقتل معه آخر اسمه صالح، ثم ندم على ذلك- وكان هشام يتورع عن الدماء -؛ فكتب إليه التابعي الكبير رجاء بن حيوة يقول له: «بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع في نفسك شيء من قبل غيلان وصالح، فوالله لقتلهما أفضل من ألفين من الروم والترك»[1]؛ والروم كفار! والترك كانوا كفارًا ذلك الوقت؛ يعني: قتل هذا الذي يدعي الإسلام ويفسد عقائد المسلمين أحب إلى الله من قتل ألفين من الكفار الصرحاء؛ لأن هذا يفسد

(١) رواه الآجري في الشريعة، رقم الأثر (٥١٦/ج٦/ ٩٢١) ومن طريقه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم الأثر (٥٧٧/ج٢/ ٣٦٣) بنحوه، وليس فيه ذكر الترك.

من داخل البيت.

ومن هنا يقول كثير السلف: إن أهل البدع أضر على الإسلام من اليهود والنصارى، قاله عدد من أئمة الإسلام الفحول ومنهم: ابن عقيل وشيخه أبو الفضل الهمداني وابن الجوزي وابن تيمية وغيرهم، ومنهم الشوكاني كرر هذا في تفسيره: أن أهل البدع أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والزنادقة. لماذا؟ لأن كثيرًا من الناس يثقون بهؤلاء فيقبلون أباطيلهم وضلالاتهم، ولا يثقون في اليهود والنصارى والزنادقة ولا يقبلون منهم شيئًا فلا يتضررون، لكن ضررهم بهؤلاء الذين يُخدع بهم المسلمون ويقبلون منهم الترهات والأضاليل والباطل!!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخطب خالد بن عبد الله القسري» وهو من أمراء الدولة الأموية، وأمراء الدولة الأموية كان عند كثير منهم ظلم، ليس كلهم؛ مثل الحجاج، وهذا خالد عنده شيء من الظلم، لكن في عهدهم يحاربون البدع؛ إذا رفع إنسان رأسه ببدعة قضوا عليه، وقتلوا الخوارج في معارك كثيرة، فالبدع كانت مطاردة في العهد الأموي؛ فحفظ الله ملكهم، وكان عهدهم عهد عزة للإسلام؛ حماية للإسلام في الداخل وتوسع وفتوحات في الخارج؛ حتى جاء الجعد بن درهم واستولى على عقل آخر خليفة وهو مروان بن محمد وغرس فيه بدعته؛ فسقطت الدولة الأموية.

وكثيرًا ما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الدول في الشرق وغيرها ما سقطت إلا بعد أن دخلت في البدع[1]، فالبدع هي من أسباب سقوط الدول والعياذ بالله،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٧): «وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم».
وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٧١): «وعلى رأسه- أي الجعد- سَلَبَ اللَّهُ بني أُميَّةَ المُلكَ والخلافةَ وشتَّتهم في البلاد ومزَّقهم كلَّ ممزَّق ببركة شيخ المعطِّلة النُّفاة».

هذا يقرره شيخ الإسلام ويذكره، ويذكر أن هذه الدولة كانت سليمة ولو كان فيها ظلم فلما جاء هذا الخبيث الجعد بن درهم ونشر هذه البدع غرسها في ذهن آخر خليفة سلط اللَّه عليه من يسقطه ويسقط دولته.

قُتل هذا الرجل بفتوى من علماء المسلمين؛ لأنّه كافر ويجب قتله، فقتله في هذا اليوم؛ يوم العيد؛ عيد النحر وقال: «انصرفوا إلى منازلكم وضَحُّوا، بارك اللَّه لكم في ضحاياكم فإنِّي مُضَحٍّ اليوم بالجعد بن درهم»؛ يعني: أنتم تذبحون الأنعام من البقر والإبل والغنم أما أنا فأضحيتي بشر- وبعض الناس يتكلم في إسناد هذه القصة، لكن يحكيها أئمة الإسلام وتلقوها بالقبول لا شك -.

لماذا يضحِّي به؟ يقول: «فإنه يقول: لم يتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا» يعني: ينكر المحبة؛ ويقول: إنّ اللَّه لا يُحِب ولا يُحَب! واللَّه صرح في آيات بأنه يُحِب ويُحَب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، آيات وأحاديث دلت على أن اللَّه موصوف بهذا الوصف اللائق بجلاله. هذا الوصف يختلف عن صفة المخلوقين؛ فهو أنكر هذا الوصف، وأنكر أن اللَّه يتكلم؛ إذ أنكر أن اللَّه كلم موسى، فكذّب القرآن وكذب السنة بهذا النفي الجريء؛ فحُكِم عليه بالكفر وقُتِل جزاء إنكاره لتعطيله هاتين الصفتين، فما بالك بمن يعطل صفات اللَّه كلها؟! ينكر علو اللَّه وينكر نزوله وينكر محبته ورضاه وغضبه.. وإلى آخره، ينكرها ويبقى إمامًا- مع الأسف الشديد! - كما هو الشأن في رءوس الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض وغيرهم.

هؤلاء على طريقة الجهم بن صفوان والجعد بن درهم؛ لأن الجعد هذا أستاذ الجهم وأول من نشر هذا الشر وتلقاه عن اليهود؛ تلقى هذه الفتنة وهذا الضلال عن اليهود! لأن اليهود من خبثهم يثبتون الصفات ولكنهم يكيدون

للإسلام، فدسّوا هذا المجرم على الإسلام والمسلمين؛ يبث هذه العقائد الفاسدة؛ لأنهم يعلمون أن من ورائها شرًّا خطيرًا، واليهود دائمًا يسعون في الأرض فسادًا ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. وهم الذين غيروا دين عيسى عليه السلام! عيسى رسول كريم ومن أولي العزم وجاء بالتوحيد فأفسدوا دينه وضحكوا على البلهاء من النصارى وقالوا لهم: إن عيسى هو اللَّه أو ثالث ثلاثة أو هو ابن اللَّه! وقبلوا هذه العقيدة! فهم أضلّ الناس وأجهل الناس.

ولهذا أمرنا اللَّه بالاستعاذة من ضلالهم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم اليهود؛ لأنهم يعرفون الحق ويحاربونه. والنصارى جهّال ضالّون؛ لأنّ دينهم قائم على الجهل والضلال والعياذ باللَّه، فأمرنا اللَّه ﷻ بالبراءة والاستعاذة من دين الغضب ومن دين الضلال، ولهذا يقول علماء المسلمين: «من ضلّ من علمائنا ففيه شَبَهٌ باليهود، ومن ضلّ من عبادنا ففيه شَبَهٌ بالنصارى» فنسأل اللَّه العافية.

* * *

عقيدة أصحاب الحديث
في نزول الربّ سبحانه ومجيئه

«ويثبت أصحاب الحديث نزول الربّ ﷻ كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا، من غير تشبيهٍ له بنزول المخلوقين، ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ بل يُثبتون ما أثبته رسول اللَّه ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويُمِرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويَكِلُون علمه إلى اللَّه.

وكذلك يثبتون ما أنزله اللَّه- عزّ اسمه- في كتابه، مِن ذِكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]».

الشرح:

إن أهل السنة والجماعة -رضوان اللَّه عليهم- وعلى رأسهم أئمة الحديث يؤمنون بكل صفة أثبتها اللَّه في كتابه وصحت عن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ فكل صفة وردت في كتاب اللَّه وفي سنة رسول اللَّه الثابتة يؤمنون بها ويسلمون بها وفق قاعدة تنطبق على كل الصفات، ومنشأ هذه القاعدة القرآن والسنة، يقول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ فنؤمن بالصفات الثابتة للَّه في الكتاب والسنة على الوجه اللائق باللَّه -تبارك وتعالى- على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

هذه الآية قاعدة عظيمة، نستفيد منها نفي المماثلة والمشابهة عن اللَّه في أيِّ صفة نثبتها؛ ففي قوله: في هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: إشارة إلى إثبات الأسماء والصفات على هذا الأساس، وعلى أساس أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

فأهل السنة سائرون على هذه القاعدة في كل صفة من صفات اللَّه -تبارك وتعالى-: الاستواء والنزول والمجيء والسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم . . إلى آخر الصفات الذاتية والفعلية الثابتة للَّه -تبارك وتعالى-؛ على أساس قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يعني: نظيرًا وشبيهًا. فكل صفة ثبتت في كتاب اللَّه وفي سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- نؤمن بها وأنها حقيقة ثابتة للَّه -تبارك وتعالى- لكن على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولهذا ترى كل إمام إذا سئل أو أخبر يقول: من غير كيف أو من غير تكييف ولا تشبيه.

فيذكر المؤلف هنا فيقول: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الربّ ﷻ كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته اللَّه» أي: في كتابه «وما أثبته رسول اللَّه ﷺ» أي: في الأحاديث التي جاءت بإثبات نزول اللَّه -تبارك وتعالى-، وبعضهم يدّعي فيها التواتر؛ أي: أنها بلغت حد التواتر «وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويَكِلون علمه إلى اللَّه» يعني: علم الكيفية، وهذه عبارة تأتي من المصنف قد لا يقصدها- طبعًا إن شاء اللَّه ما يقصدها -، وإلا فأنتم تعرفون أن أهل السنة يؤمنون بحقائق الصفات للَّه -تبارك وتعالى- وأنها ثابتة؛ يؤمنون بذلك وينكرون على من ينفيها أشد الإنكار بل قد يكفِّرون فيها، بل كفَّروا بارك اللَّه فيكم، ولكن الكيف لا نكيف؛ نؤمن بكل الصفات ونقف أمام كل صفة، نثبتها للَّه -تبارك وتعالى- لكن نقول: من غير تكييف؛ لأن اللَّه ليس كمثله شيء، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى اللَّه وعز وجل أن يشابه شيئًا من خلقه -تبارك وتعالى-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك يثبتون ما أنزله اللَّه- عزّ اسمه- في كتابه، من ذكر

المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله -عز اسمه-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]».

وقال -تبارك تعالى- في صفة الإتيان: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. يعني: يوم القيامة؛ فالمجيء ثابت والإتيان ثابت، لكن دون تكييف على القاعدة المذكورة التي يسير عليها أهل السنة والجماعة ودل عليها القرآن والسنة.

* * *

«وقرأتُ في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيليّ إلى أهل جيلان أنّ اللّه سبحانه ينزل إلى السماء الدّنيا على ما صحَّ به الخبر عن الرسول ﷺ، وقد قال اللّه ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ونؤمن بذلك كلّه على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبيِّن لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أُمِرنا به في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]».

الشرح:

المؤلِّف- كعادته- يأتي بالأدلة ويقرر أنها حق؛ وأن ما تضمنته من صفات اللَّه -تبارك وتعالى- حق، ثم يأتي بكلام أئمة الإسلام في إثبات الصفة المعينة الواردة في هذا الباب.

فهنا يأتي بكلام أبي بكر الإسماعيليّ وهو من أئمة الإسلام ومن أئمة الحديث وله كتاب المستخرج على صحيح البخاري وكتب كتابًا لأهل جيلان ذكر فيه

صفات اللَّه ﷻ ومنها إثبات النزول والمجيء فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقرأتُ في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيليّ إلى أهل جيلان أن اللَّه سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صحّ به الخبر عن الرسول ﷺ» يعني: لا مجال للعقل في الأمور الغيبية خاصة فيما يتصل بصفات اللَّه ﷻ؛ لا مجال وليس لنا أبدًا طريق إلى معرفة اللَّه وصفاته إلا إخباره. وإن كان منها ما يثبت بالعقل والنقل؛ كعلو اللَّه ﷻ، فإنّ هذا ثابت بالعقل والفطرة، لكن بقيت كثير من الصفات ليس لنا وسيلة إلى معرفتها إلا النص من اللَّه ﷻ أو من رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

وذكر الإسماعيلي في هذا الكتاب قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. ثم قال: «نؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف» يعني: نؤمن بذلك كله وأنها حقائق ثابتة للَّه ﷻ ولكن لا نكيِّف؛ لأن اللَّه ما أخبرنا بكيفية مجيئه ولا كيفية صفة من صفاته، ولهذا قال: «فلو شاء سبحانه أن يبيِّن لنا كيفية ذلك فعل» أي: أنه لم يبيِّن لنا كيفية ذلك؛ فلا نكيِّف، فالصفات إذن ثابتة للَّه لكن الكيفيات لا دخل لنا فيها؛ لأن اللَّه لم يخبرنا عن كيفيات هذه الصفات؛ وهي أمر غيبي، ومن جهة أخرى أن اللَّه «ليس كمثله شيء». لذلك قال: «فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه» أي: فانتهينا إلى الذي أحكمه وهو الصفات؛ كالعلم والقدرة والإرادة والاستواء والنزول والمجيء ونحوها من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، فهذه هي التي أحكمها أما الكيفيات فما بينها لنا؛ «و» لذلك «كففنا عن» الكلام والخوض فيها لأنها من القسم «الذي يتشابه».

فنحن نثبت ما أحكمه اللَّه وأثبته لنا من الصفات وأنها حقائق ثابتة؛ لأنها خبر اللَّه الصادق وكلامه الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وخبر رسول اللَّه الصادق وكلام الرسول الذي لا ينطق

عن الهوى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؛ فنؤمن بكل ما أخبرنا الله به وأخبرنا به الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

أما كيفيات الصفات فما أخبرنا الله ولا أخبرنا رسوله بها فلا نكيفها أبدًا؛ فإن المشبهة تدخّلوا وكيّفوا والمعطلة عطلوا ونفوا! وكلهم على ضلال، والمنهج الصحيح هو ما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام من الإيمان بهذه الصفات على الوجه اللائق بالله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

واحتجّ بالآية فقال: «إذ كنا قد أُمِرنا به في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]»؛ يعني: أن الله بين أن القرآن منه محكم ومنه متشابه، فالله ﷻ بيَّن المحُكَم ولم يخبرنا بالمتشابه، يعني: ومن المتشابه: كيفيات الصفات؛ إذ الصفات ليست من المتشابه وإنما الكيفيات هي التي يرى العلماء أنها من المتشابه والقرآن دليل على هذا، فالله أخبر أن القرآن فيه المحكم وفيه المتشابه، فالمحكم يجب الإيمان بمعناه؛ لأنه واضح، والمتشابه نسلِّم به وإذا استطعنا أن نردّ المتشابه إلى المحكم نردّه وإلاّ سلَّمنا الأمر لله -تبارك وتعالى-.

* * *

«أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيبانيّ سمعت: أبا حامد بن الشرقيّ يقول: سمعت أحمد السّلميّ وأبا داود الخفّاف يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا». كيف ينزل؟ قال، قلت: أعزّ الله الأمير، لا يقال لأمر الربّ كيف؟ إنما ينزل بلا كيف.

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل، حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي، حدثني أبو بكر بن أحمد بن محبوب، حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبد الرحمن العتكي، حدثنا محمد بن سلاّم، سألت عبد اللَّه بن المبارك في نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد اللَّه: يا ضعيف! ليلة النصف؟ ينزل في كل ليلة، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبد اللَّه: ينزل كيف يشاء» وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد اللَّه بن المبارك قال للرجل: «إذا جاءك الحديث عن رسول اللَّه ﷺ فاخضع له».

وسمعتُ الحاكم أبا عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: سمعتُ أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد اللَّه الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد اللَّه بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم- يعني ابن راهويه- فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: «نعم» فقال له بعض قوَّاد عبد اللَّه: يا أبا يعقوب! أتزعم أن اللَّه ينزل كل ليلة؟ قال: «نعم» قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: «أَثْبِته فوق حتى أصف لك النزول»، فقال له الرجل: أَثْبَتُّه فوق فقال له إسحاق: «قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾» فقال الأمير عبد اللَّه بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة؟! فقال إسحاق: «أعزَّ اللَّه الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟».

الشرح:

وهذه قصص لإسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «قال لي الأمير عبد اللَّه بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول اللَّه ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا». كيف ينزل؟ قال، قلت: أعزّ اللَّه الأمير، لا يقال لأمر الربّ كيف؟ إنما ينزل بلا كيف» يعني: نؤمن بالنزول ونثبته للَّه لكن لا نكيِّف، وستأتي قصة أخرى وقعت له؛ ولعلها نفس القصة وإنما النقلة اختلفوا في نقلها فاللَّه أعلم.

قال: «حدثنا محمد بن سلاّم، سألت عبد اللَّه بن المبارك في نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد اللَّه: يا ضعيف! ليلة النصف؟ ينزل في كل ليلة، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبد اللَّه: ينزل كيف يشاء» ما نقول: يخلو أو ما يخلو؛ وإنما ينزل كيف يشاء؛ لأن صفات اللَّه؛ نزوله ومجيئه وغيرها ليست كصفات المخلوقين؛ بل تختلف تمامًا، إذن نؤمن بالنزول لكن لا نكيِّف، «وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد للَّه بن المبارك قال للرجل: «إذا جاءك الحديث عن رسول اللَّه ﷺ فاخضع له» أو «فاصغ إليه»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ فيجب التسليم لما أخبرنا به الرسول الصادق -عليه الصلاة والسلام- الذي لا ينطق عن الهوى، وهذا هو الإيمان الصحيح؛ لا تثر الغبار والشبه حول ما جاء عن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وإنما تسلِّم وبدون تكييف؛ لأن رسول اللَّه ما أخبرنا عن الكيفيات.

وقصة أخرى وقعت لإسحاق أو هي القصة نفسها لكن اختلف اللفظ فيها واللَّه أعلم؛ قال راوي القصة: «حضرت مجلس الأمير عبد اللَّه بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم- يعني ابن راهويه- فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: «نعم» فقال له بعض قوَّاد عبد اللَّه: يا أبا يعقوب، أتزعم أن اللَّه ينزل كل ليلة؟ قال: «نعم» قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: «أَثْبِته فوق حتى أصف لك النزول»، فقال له الرجل: أَثْبَتُّه فوق، فقال له إسحاق: «قال اللَّه ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾» يعني: إذا كنت تشكّ في صحة الحديث؛ فالقرآن قد تحدَّث عن هذه الصفة، فهل تكذّب بالقرآن وتشك في صحته؟! «فقال الأمير عبد اللَّه بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة؟! فقال إسحاق: «أعزَّ اللَّه الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟»» أي: الذي يأتي يوم القيامة ما الذي يمنعه أن يأتي

اليوم؛ إذا كان ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة؟ أجاب إجابة عقلية مفحمة تمامًا فأسكته، وعبد اللَّه بن طاهر هذا من خيار الأمراء؛ كان يقرّب العلماء ومنهم إسحاق.

* * *

«وخبر نزول الربّ كل ليلة إلى السماء الدّنيا خبرٌ متَّفق على صحَّته مخرّجٌ في «الصحيحين» من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغرّ وأبي سلمة عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو عليّ زاهر بن أحمد، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد، حدثنا أبو مصعب حدثنا مالك.

وحدثنا أبو بكر بن زكريا حدثنا أبو حاتم مكيُّ بن عبدان، حدثنا محمد بن يحيى قال: ومما قرأت على نافع وحدثني مطرف عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

وحدثنا أبو بكر بن زكريا، أخبرنا أبو القاسم عبيد اللَّه بن إبراهيم بن بالويه، حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيي بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهريّ، عن أبى عبد اللَّه الأغرّ وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ينزل ربنا -تبارك وتعالى- في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟»».

الشرح:

قال: «وخبر نزول الربّ كل ليلة إلى السماء الدّنيا خبرٌ متَّفق على صحَّته مخرّجٌ في «الصحيحين»» لماذا خصّ الصحيحين؟ لأنّ الصحيحين يختلف وضعهما عن بعض الكتب؛ لأن الأمّة تلقتهما بالقبول، وما تلقته الأمّة بالقبول إيمانًا به وعملًا بموجبه يفيد العلم اليقيني؛ كما حكى ذلك الأئمة ومنهم شيخ

الإسلام ابن تيمية(١)، ومنهم الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النكت»(٢) ونقل ذلك عن شيخه البلقيني، ونقل عن فحول أئمة المذاهب حتى من المعتزلة! أن الخبر إذا تلقته الأمة تصديقًا به وعملًا بموجبه أفاد العلم اليقيني، وهذا عليه كثير من فحول الأصوليين من مختلف المذاهب، وعليه أهل الحديث قاطبة(٣)، وأخبار الصحيحين كذلك تلقتهما الأمة بالقبول، وهذا أقوى من مجرد كثرة الطرق كما يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أحاديث من طريق أبي هريرة منها: «**ينزل ربنا - تبارك وتعالى- في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**»(٤) والحديث صحيح لا غبار عليه بل بعضهم يدّعي فيه التواتر، وهو نصٌّ واضحٌ في ردّ تأويلات الجهمية وفروعهم الباطلة؛ الذين يقولون:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يعني: جاء أمره! وفي النزول: نزل أمره أو نزلت رحمته أو نزل ملك. طيب! هل الرحمة تتكلم والأمر يتكلم ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟! وهل الملك يقول هذا الكلام: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له؟!! هذا تأويل فاسد غاية الفساد وفي غاية الضلال، والعياذ باللَّه.

هل الملك يقول هذا الكلام: من يدعوني فأستجيب له؟! اللَّه وحده الذي يستجيب الدعاء لا أحد غيره أبدًا، والدعاء عبادة وهي خاصة باللَّه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥٢) و (١٨/ ١٧، ٤١).
(٢) (١/ ٣٧١، ٣٧٤).
(٣) انظر: «مختصر الصواعق» لابن القيم- الموصلي (٢/ ٣٧٣) والنكت لابن حجر (١/ ٣٧٤-٣٧٦).
(٤) أخرجه مالك [رقم (٤٩٩)، كتاب القرآن] وأحمد (٢/ ٢٦٤) والبخاري [رقم (٧٤٩٤)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (٧٥٨)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها].

مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]. فلو قام من الليل يسأل الملك: يا ملك حاجتي كذا وكذا! فإنه يكون مشركًا ضالًا؛ فهؤلاء تأويلهم إبطال للصفة ويؤدي إلى الشرك بالله -تبارك وتعالى-، وأنت إذا دعوت لا تقول: يا رحمة الله! أو يا أمر الله! بل تقول: يا ألله!

فتأويلاتهم فساد في فساد وضلال في ضلال! ما الذي كلفهم بهذه الأشياء؟!

القرآن ينصّ على هذه الصفات والسنة تنصّ على هذه الصفات ويُسَلِّم بذلك جميع الأنبياء وأممهم الذين آمنوا بهم واتبعوهم ويؤمن بذلك الصحابة والتابعون ولا خلاف ولا نقاش في هذه الأمور أبدًا حتى يأتي الجعد بن درهم ويتبعه جهم بن صفوان ثم تنفجر هذه المشاكل ويظهر المعتزلة والخوارج والروافض والأشعرية فيعطِّلون هذه الصفات وينكرونها ويتأوَّلون التأويلات الفاسدة!! ألا يكفيكم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- سلَّم بها والصحابة الكرام وأئمة الإسلام؟! أنتم أورع من رسول الله وأغير على دين الله من رسول الله ومن صحابته الكرام ومن الأئمة العظام؛ مالك والأوزاعي والثوري وإلى آخره؟! يؤمنون بهذه الصفات ويسلمون بها، أنتم أتقى لله وأكثر تنزيهًا لله ﷻ من هؤلاء؟! ما هو إلا الهوى!!

القاعدة هي القاعدة في كل أبواب الصفات؛ يعني: نثبت هذه الصفة التي أثبتها الله في كتابه أو أثبتها رسول الله ﷺ في سنته أو أثبتها الكتاب والسنة على الوجه اللائق بالله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، والتأويلات التي تواجه بها هذه النصوص كلها تأويلات فاسدة باطلة وقد بين أئمة الإسلام بطلانها في كتب كثيرة؛ في كتب العقائد الكثيرة والكثيرة وأئمة الإسلام يدحضون هذه التأويلات الفاسدة والتحريفات الباطلة بالحجج والبراهين

العقلية والنقلية.

وفق الله الجميع وثبتنا وإياكم على الحق والهدى إن ربنا لسميع الدعاء.

* * *

«ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة:

رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

ومالك عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة.

ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

وعبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبريّ عن أبى هريرة.

وعبد الأعلى بن أبى المساور وبشير بن سلمان عن أبي حازم عن أبي هريرة.

ورواه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه.

وموسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت.

وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله.

وعبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب.

وشريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود.

ومحمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء.

وأبو الزبير عن جابر.

وعن طارق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وعن أمّ المؤمنين عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

كلّهم عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «ينزل اللَّه كل ليلة إلى السّماء الدّنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

فبذلك كانوا يفضِّلون صلاة آخر اللّيل على أوله.

وهذه الطرق كلّها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف «بالانتصار».

هذا لفظ أبي سلمة والأغرّ عن أبي هريرة.

وفي رواية يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ: «إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل اللَّه إلى السّماء الدّنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح»

وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي: «ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم».

وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه ينزل إلى سماء الدّنيا في ثلث الليل الأخير فينادي هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به، إلا الثقلان الجن والإنس». قال: «وذلك حين تصيح الدِّيَكَة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب».

وفي رواية موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت زيادات حسنة، وهي التي أخبرنا بها أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي قال: أنبأنا عبد اللَّه بن محمد الرازي قال: أنبأنا أبو عثمان محمد بن عثمان بن أبي سويد قال: حدثنا عبد الرحمن يعني ابن المبارك قال: حدثنا فضيل بن سليمان عن موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ينزل

اللَّه -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السّماء الدّنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ وألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتَّر عليه رزقه فيدعوني فأرزقه؟ ألا مظلوم يذكرني فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفكه قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح ويعلو على كرسيه».

وفي رواية أبي الزبير عن جابر من طريق مرزوق أبي بكر الذي أخرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة مختصرة.

ومن طريق أيوب عن أبي الزبير عن جابر الذي خرجه الحسن بن سفيان في مسنده.

ومن طريق هشام الدّستوائيّ عن أبي الزبير عن جابر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنّ عشية عرفة ينزل اللَّه فيه إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السّماء ويقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا ضاحين جاءوا من كل فجٍّ عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُرَ يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة».

وروى هشام الدّستوائيّ عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني حدَّث أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل اللَّه إلى السّماء الدّنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري: من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح».

أخبرنا أبو محمَّد المجلدي، أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا محمَّد بن يحيى، حدثنا عبيد اللَّه بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد، وأبي هريرة، أنَّهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ، وأنا أشهد عليهما أنَّهما سمعا النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ، هَبَطَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيقول: هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِن سَائِلٍ؟ هَلْ مِن دَاعٍ؟ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ».

أخبرنا أبو محمَّد المخلدي، أنبأنا أبو العباس الثقفي، حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا شبابة بن سوار، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، قال: أشهد على أبي سعيد، وأبي هريرة، أنَّهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، هَبَطَ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِ السَّمَاءِ فَفُتِحَتْ فَقَال: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُضْطَرٍ أَكْشِفُ عَنْهُ ضُرَّهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغِيثٍ أُغِيثُهُ؟ فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ مَكَانَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الدُّنْيَا».

أخبرنا أبو محمَّد المخلدي، حدثنا أبو العباس- يعني: الثقفي-: حدثنا مجاهد بن موسى، والفضل بن سهل، قالا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الأغر، أنَّه شهد على أبي هريرة، وأبي سعيد، أنَّهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ نَزَلَ -تبارك وتعالى- إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَال: أَلاَ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ أَلاَ هَلْ مِنْ تَائِبٍ يُتَابُ عَلَيْهِ؟».

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حمشاد حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمَّد الصفَّار ببغداد، حدثنا أبو منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيقول: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، ثَلاَثًا، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ».

سمعت الأستاذ أبا منصور على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سُئِل أبو حنيفة عنه فقال: «يَنْزِلُ بِلاَ كَيْفٍ».

وقال بعضهم: «ينزل نزولًا يليق بالربوبية، بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بل بالتخلِّي والتملِّي؛ لأنَّه ﷻ منزَّه أن تكون صفاته مثل صفات

الخلق، كما كان منزَّهًا أن تكون ذاته مثل ذوات المخلوقين، فمجيئه، وإتيانه، ونزوله، على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيف» .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب «التوحيد» الذي صنَّفه، وسمعته من حفيده أبي طاهر رَحِمَهُ اللَّهُ باب ذكر أخبار ثابتة السند، رواها علماء الحجاز، والعراق، عن النبي ﷺ في نزول الربِّ إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة، من غير صفة كيفية النزول، مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقرٍّ بلسانه، مصدِّقٍ بقلبه، مستيقنٍ بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، من غير أن نصف الكيفية؛ لأنَّ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنَّه ينزل، واللَّه ﷻ ولَّى نبيَّه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدِّقون بما في هذه الأخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول» . اهـ

أخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه الحافظ: حدثنا أبو محمَّد الصيدلاني، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن صالح المصري، حدثنا ابن وهب، أنبأنا مخرمة بن بكير، عن أبيه (ح) وأخبرنا الحاكم، حدثنا أبو العباس محمَّد ابن يعقوب الأصم- واللفظ له- قال: حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا ابن وهب، عن مخرمة بن بكير، عن أبيه قال: سمعت محمَّد بن المنكدر يزعم أنَّه سمع أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ تقول: «نِعْمَ الْيَوْمُ، يَوْمُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قالوا: وَأَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قالتْ: يَوْمُ عَرَفَةَ» .

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لَيْلًا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ مِنَ الغَدِ، فَيَعْتِقُ مِنَ النَّارِ بِعَدَدِ شَعْرِ مَعْزِ بَنِي كَلْبٍ، وَيُكْتَبُ الحَاجُّ، وَيُنْزِلُ أَرْزَاقَ السَّنَةِ، وَلاَ يَتْرُكُ أَحَدًا إِلاَّ غَفَرَ لَهُ، إِلاَّ مُشْرِكًا أَوْ قَاطِعَ رَحِمٍ أَوْ عَاقًّا، أَوْ مُشَاحِنًا» .

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدِّي الإمام حدثنا الحسن بن محمَّد

الزعفراني حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح). قال الإمام: وحدثنا الزعفراني حدثنا عبد اللَّه بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي. وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد- يعني: ابن هارون- أخبرنا الدستوائي (ح). وحدثنا محمَّد بن عبد اللَّه بن ميمون بالإسكندرية حدثنا الوليد، عن الأوزاعي. جميعًا: عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح). قال الإمام: وحدثنا أبو هاشم زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال: «صَدَرْنَا مع رسول اللَّه ﷺ من مكة، فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ، فجعل يأذن لهم، فقال النبي ﷺ: «مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرِ الَّذِي يَلِي رسول اللَّهِ ﷺ أَبْغَضَ إِلَيْكُمْ مِنَ الآخَرِ؟ فلا يرى من القوم إلاَّ باكيًا، قال: يقول أبو بكر الصديق: إنَّ الذي يستأذنك بعدها لسفيه، فقام النبي ﷺ، فحمد اللَّه وأثنى عليه، وكان إذا حلف قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ثُمَّ يُسَدِّدُ، إِلاَّ سَلَكَ بِهِ فِي الجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةِ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَلاَّ تَدْخُلُوهَا، حَتَّى تَتَبَوَّءُوا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِنَكُمْ فِي الجَنَّةِ، ثمَّ قال ﷺ: إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أو قال: ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ يقول: لاَ أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأُجِيبَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحَ» هذا لفظ حديث الوليد.

قال شيخ الإسلام: قلت: فلمَّا صحَّ خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرَّ به أهل السنَّة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول اللَّه ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته؛ إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا، وعرفوا وتحقَّقوا، واعتقدوا أنَّ صفات اللَّه ﷻ لا تشبه صفات الخلق، كما أنَّ ذاته لا تشبه

ذوات الخلق، تعالى اللَّه عمَّا يقول المشَبِّهَةُ والمعَطِّلَةُ علوًّا كبيرًا، ولعنهم لعنًا كثيرًا.

وقرأت لأبي عبد اللَّه بن أبي جعفر البخاري وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمَّد بن الحسن الشيباني قال أبو عبد اللَّه- أعني: ابن أبي حفص هذا- عبد اللَّه بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو، يقول: سمعت محمَّد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة، قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول اللَّه ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾؟ وقوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. فهل يجيء ربُّنا كما قال؟ وهل يجيء الملك صفًّا صفًّا؟ قالوا: أمَّا الملائكة فيجيئون صفًّا صفًّا، وأمَّا الربُّ تعالى فإنَّا لا ندري ما عنى بذلك، ولا ندري كيفية جيئته، فقلنا لهم: إنَّا لم نُكَلِّفْكُم أن تعلموا كيف جيئته، ولكنَّا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم مَن أنكر أنَّ الملائكة لا تجيء صفًّا صفًّا، ما هو عندكم؟ قالوا: هو كافر مكذب. قلنا: فكذلك مَن أنكر أنَّ اللَّه سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

قال أبو عبد اللَّه بن أبي حفص البخاري أيضًا في كتابه: ذكر إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال لك الجهمي: إنَّا لا نؤمن بربٍّ يزول عن مكانه. فقل أنت: أنا أؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء».

* * *

موقف السلف من هذه الأخبار

«وروى يزيد بن هارون في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله في الرؤية، وقول رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَنظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنظُرُونَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» فقال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد، ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وَحَرِدَ، وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجَك إلى مثل ما فُعِلَ به، ويلك! ومن يدري كيف هذا؟! ومَن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلَّم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلاَّ مَن سفه نفسه، واستخفَّ بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه، ولا تبتدعوا فيه، فإنَّكم إن اتبعتموه، ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم».

وقصة صبيغ- الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فُعِلَ به- هي ما رواه يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أن صبيغًا التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ قال: هي الرياح، ولولا أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾. قال: هي السحاب، ولولا أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾؟ قال: الملائكة، ولولا أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قال: هي السفن، ولولا أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: ثمَّ أمر به فضُرِبَ مئة سوط، ثمَّ جعله في بيت، حتى إذا برأ دعا به، ثمَّ ضربه مئة سوط أخرى، ثمَّ حمله على قَتَبٍ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري. «أن حرِّم عليه مجالسة الناس، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأَيْمَانِ المغلَّظة، ما يجد في نفسه مِمَّا كان يجده شيئًا، فكتب إلى عمر يخبره، فكتب إليه: ما إِخَالُهُ إلاَّ قد صدق،

خلٍّ بينه وبين مجالسة الناس.

وروى حماد بن زيد، عن قطن بن كعب، سمعت رجلًا من بني عجل، يقال له: فلان- خِلْتُهُ ابن زُرْعَةَ- يحدث عن أبيه قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة، كأنَّه بعير أجرب، يجيء إلى الحِلَقِ، فكلَّما جلس إلى قوم لا يعرفونه؛ ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عَزْمَةُ أمير المؤمنين.

وروى حماد بن زيد أيضًا، عن يزيد بن أبي حازم، عن سليمان بن يسار، أنَّ رجلًا من بني تميم، يقال له: صبيغ، قدم المدينة، فكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، وقد أعدَّ له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال: مَن أنت؟ قال: أنا عبد اللَّه صبيغ. قال: وأنا عبد اللَّه عمر. ثمَّ أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجَّه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد واللَّه ذهب ما كنت أجد في رأسي.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمَّد بن الحسين بن موسى السلمي، أخبرنا محمَّد بن محمود الفقيه المروزي بها، حدثنا محمَّد بن عمير الرازي، حدثنا أبو زكريا يحيى ابن أيوب العلاف التجيبي بمصر، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا أشهب بن عبد العزيز، سمعت مالك بن أنس يقول: إيَّاكم والبدع. قيل: يا أبا عبد اللَّه، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلَّمون في أسماء اللَّه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عمَّا سكت عنه الصحابة والتابعون.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمَّد بن عمر الزاهد الخفاف، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمَّد بن عدي الفقيه، حدثنا الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لأَن يلقى اللَّهَ العبدُ بكلِّ ذنب ما خلا الشرك، أحبُّ إِلَيَّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء».

أخبرني أبو طاهر محمَّد بن الفضل، حدثنا أبو عمرو الحيري، حدثنا أبو

الأزهر، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن جعفر بن بُرْقَان قال: سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء؟ فقال: «الْزَمْ دينَ الصبِيِّ في الكُتَّاب والأعرابي، وَالْهَ عمَّا سوى ذلك».

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، حدثنا محمَّد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البزار يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «كلُّ ما وصف اللَّه به نفسه في كتابه، فتفسيره تلاوته، والسكوت عنه».

أخبرنا أبو الحسن الخفاف، حدثنا أبو العباس محمَّد بن إسحاق السراج، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: سمعت الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي، وسفيان، ومالك بن أنس، عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقالوا: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف».

وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدِّي الإمام حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحنيني حدثنا كثير بن عبد اللَّه المزني، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. قيل: يا رسول اللَّه، ومَن الغرباء؟ قال: الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي مِنْ بَعْدِي، وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللَّهِ».

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن الكارزي يقول: سمعت علي بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: «المتَّبِع للسنَّة كالقابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل اللَّه».

وروي عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلنا على عبد اللَّه بن مسعود فقال: «يا أيُّها الناس مَن علم شيئًا فليقل به، ومَن لم يعلم فليقل: اللَّه أعلم، فإنَّ من العلم أن يقول لِمَا لا يعلم: اللَّه أعلم. قال ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ

مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، حدثنا أبو العباس المعقلي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي، عن القاسم بن عروة، عن محمَّد بن كعب القرظي قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فجعلت أنظر إليه نظرًا شديدًا، فقال: إنَّك لتنظر إلَيَّ نظرًا ما كنتَ تنظره إلَيَّ وأنا بالمدينة، فقلت: لتعجبي! فقال: وممَّ تعجب؟ قال: قلت: لِمَا حَالَ مِنْ لَوْنِك، وَنَحَلَ من جسمك، ونَفِيَ من شعرك، قال: كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وَجْنَتَيَّ، وسال مِنْخَرَايَّ في فمي صديدًا، كنتَ لي أشدَّ نكرة. حدثني حديثًا كنت حدَّثْتَنِيهِ عن عبد اللَّه بن عباس. قال: قلت: حدثني عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما يرفع الحديث إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا، وَأَشْرَفُ المَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ القِبْلَة، لاَ تُصَلُّوا خَلْفَ نَائِمٍ وَلاَ مُحْدِثٍ، وَاقْتُلُوا الحَيَّةَ وَالعَقْرَبَ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي صَلاَتِكُمْ، وَلاَ تَسْتُرُوا الجُدُرَ بِالثِّيَابِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَإِنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ، أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول اللَّه! قال: الَّذِي يَجْلِدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَنْزِلُ وَحْدَهُ. أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ! الَّذِي يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ. أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ! الَّذِي لاَ يُقِيلُ عَثْرَةً، وَلاَ يَقْبَلُ مَعْذِرَةً، وَلاَ يَغْفِرُ ذَنْبًا. أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ! الَّذِي لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ. إِنَّ عِيسَى عليه السلام قَامَ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيل! لاَ تَكَلَّمُوا بِالحِكْمَةِ عِنْدَ الجُهَّالِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلاَ تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تُكَافِئُوا ظَالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ. الأَمْرُ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَكِلُوهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل».

* * *

البعث بعد الموت

«ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكلّ ما أخبر اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحقّ، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويَلْقَونَه هنالك في ذلك اليوم الهائل مِن أخذ الكُتُب بالأيمان والشَّمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها».

الشرح:

يذكر المؤلف هنا من العقائد الإيمان بالبعث بعد الموت، وتراه هنا غيّر العبارة من قوله: «يؤمن أهل الحديث» إلى قوله: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت»؛ لأنه حتى اليهود والنصارى يؤمنون بالبعث! وضُلاّل المسلمين كذلك يؤمنون بالبعث، ولكن يخالفون في قضايا ممّا يتعلق فيما بعد البعث وما قبله.

فالإيمان بالبعث وردت فيه آيات كثيرة وأحاديث كثيرة؛ يخبر اللَّه -تبارك وتعالى- فيها عن إحياء الناس بعد موتهم وبعثهم من القبور ليجازيهم على ما قدموا في هذه الحياة؛ لأن اللَّه -تبارك وتعالى- لم يخلق الناس عبثًا ولا تركهم هملًا وسدى، وإنما خلقهم لحكم عظيمة منها: أن يعبدوه، ومنها: أن يبعثهم لإقامة العدل فيما بينهم وتقرير مصير من يستحق الجنة ومن يستحق النار؛ من يدخل النار خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، ومن يخرج منها بما عنده من التوحيد.

واللَّه -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ

ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ القارعة هي القيامة التي يبعث اللَّه فيها الناس ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويل لأمرها أمر عظيم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾. ثم قال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾. تصور ضعف الناس وخوفهم وهلعهم، ويذهبون شتى لا يلتفت الأب إلى ابنه، ولا الابن إلى أبيه ولا يلتفت إلى عشيرته بل: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١- ١٤] يوم رهيب ويوم عظيم؛ حتى إنّ الأنبياء يقولون فيه- من شدة هوله -: نفسي، نفسي؛ وأولو العزم كل واحد منهم يقول: «**إنّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله**»؛ يوم رهيب لا شك كما ذكر المؤلف.

ويقول ﷻ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١- ٧]، ثم ذكر أصحاب اليمين وذكر السابقين وذكر أصحاب الشمال والعياذ باللَّه. فقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾. يعني: القيامة؛ يوم يبعث اللَّه الناس، ثم قال: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾. اضطربت الأرض؛ وتضطرب السماء: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] أهوال فيها ذعر وفيها خوف وفيها أهوال؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١- ٢].

آيات كثيرة جدًّا تتحدَّث عن البعث وما فيه من أهوال وما فيه من أمور عظيمة؛ تواتر ذكرها في القرآن والسنة، ولهذا يقول المصنف: «ويؤمن أهل

الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ» فكل ما ورد في الكتاب والسنة فيما يتعلق بالبعث وما بعده يجب الإيمان به؛ لأن اللَّه أخبر بذلك ورسول اللَّه أخبرنا بذلك، ولا نكون مؤمنين إلا إذا آمنا بأخبار اللَّه وصدقناها وآمنا بأخبار رسول اللَّه وصدقناها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال في وصف رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

قال المصنف: «من أهوال ذلك اليوم الحقّ» أي: التي أشرنا إليها في الآيات التي ذكرنا «واختلاف أحوال العباد فيه والخلق» منهم من هو في ظلّ عرش اللَّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ومنهم من هو تحت حرّ الشمس وشدتها؛ إذ تدنو الشمس في ذلك اليوم حتى لا يكون بينها وبين رءوس الناس إلا مقدار ميل، ويكون الناس في العرق كأنهم في وديان؛ منهم من يكون العرق إلى ساقيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا؛ ويلحقهم من الأهوال والفزع والقلق ما يدفعهم إلى الرغبة في التخلص من هذا الموقف الرهيب ولو إلى النار! فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم.

هذا معنى قول المصنف «واختلاف أحوال العباد فيه والخلق»؛ ففي ذلك اليوم؛ منهم من يعذَّب حتى في الموقف! فالذي يمنع الزكاة يُعذَّب بماله- ذهبًا كان أو فضة أو من الأنعام كما مر بنا في الأحاديث-، ومنهم من هو في رخاء وفي نعيم في ظلّ عرش اللَّه؛ ومنهم السبعة الذين يُظِلُّهم اللَّه في ظِلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه؛ في رواية «في ظله» وفي رواية تصرح بأنه «ظل عرشه»، وقوله: «في ظله» يعني إضافة مخلوق إلى خالقه ويبيِّن هذه الإضافة التصريح بأن هذا ظل عرش اللَّه ﷻ[1] «فيما يرونه ويلقونه هنالك» أي: ما يشاهدونه بأعينهم من

(١) انظر في هذا بحث الشيخ -حفظه اللَّه- الذي نُشِر في شبكة سحاب بعنوان «القول الواضح المبين في المراد بظل اللَّه الذي وعد به المؤمنين العاملين» ثم طبعته -مؤخرًا في كتيب صغير- مؤسسة مجالس الهدى بالجزائر.

الأهوال ثم يلقونه فعلًا مما ينصب على أهل الشر من البلاء، ومن بشائر السعادة للسعداء «مِن أَخْذِ الكتب بالأيمان» «و» بشائر الشقاوة للأشقياء من أخذ الكتب بـ «الشمائل»؛ فقد ذكر اللَّه ﷻ في القرآن أنه يعطي المؤمنين كتبهم بأيمانهم والكفار بشمائلهم، وقد يأخذ بعض المجرمين بشماله -والعياذ باللَّه-، قال اللَّه -تبارك وتعالى- في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٤]. وقال عمن أخذوا كتبهم بشمائلهم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٣٧]. الخاطئ هنا الكافر وليس المخطئ؛ [إذ] المخطئ الذي يقع في الخطأ والخاطئ هو الكافر. فهذه من الأهوال التي أشار إليها المؤلف.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ يأمر اللَّه الملائكة: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. يأمرهم ويقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾. هل الذراع بيد الملَك أو بيد ابن آدم؟ اللَّه أعلم.

سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا؛ يقال: تدخل من فيه وتخرج من دبره -والعياذ باللَّه-؛ إهانة وعذاب وأغلال وحميم وجحيم؛ هذا حال الكافرين- والعياذ باللَّه-.

فعلينا بالإيمان الصادق والإخلاص للَّه تعالى في القول والعمل إن شاء اللَّه نُعطى كتبنا بأيماننا ويقول كل واحد منا- إن شاء اللَّه -: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي:

فرح بما أوتي؛ يقول: انظروا ما فيه ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾. يعني: أيقنت؛ فالظن هنا بمعنى اليقين، أما إذا كان الظن بمعنى الظن الذي يستوي فيه الطرفان أو يرجح أحد الطرفين فهذا لا يقبل؛ فلا بد من اليقين، ولابد من الإيمان الجازم، فهو يقول: إني أيقنت أني ملاقٍ حسابيه؛ يؤمن بأن الله سيبعثه وسيحاسبه على ما قدم في هذه الحياة من خير وشر؛ فاستبشر لما أخذ الكتاب باليمين وقال لإخوانه: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ الله أكبر، نسأل الله أن يجعلنا منهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾. من عقائد صحيحة وأعمال صالحة وأخلاق عالية والالتزام بالإسلام الحق واتّباع الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأنه لا يغني في ذلك اليوم نسب ولا مال ولا جاه ولا سلطان ولا ملك؛ يقول الكافر يومئذ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ جيوش وجنود وصواريخ ودبابات وطائرات و. . و. . ثم يأتي- يوم القيامة- مسكينًا ليس عنده شيء! هذه حاله وتأخذه الملائكة وتعامله كما ذكر في الآيات والعياذ بالله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ما سبب ذلك؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٤] ليس فيه خير، كله شر والعياذ بالله!

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قال المصنف: «والإجابة عن المسائل» الله ﷻ يسأل الصادقين عن صدقهم فكيف بالكفار؟! لا شك أنه يسألهم ويحاسبهم.

أما المؤمن فيدنيه ﷻ ويضع كنفه عليه ويقول له: ألم تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ فيعترف، فيقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وأما

الكافر فيسأله ويفضحه أمام الناس وعلى رءوس الأشهاد[١]، وإذا كان له غدرة يغرس له راية عند استه ويقال: هذه غدرة فلان -والعياذ بالله- من الغدر ومن نقض العهود والمواثيق!

قال: «إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل» مثل ما أشرنا إلى ذلك سابقًا: من دنوِّ الشمس حتى لا يكون بينها وبين الناس إلا مقدار ميل، وأنهم يغرقون في العرق كالوديان، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ساقيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا.

قال: «من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير وغيرها» كل هذه من الأمور العظام والأهوال التي يواجهها المكلَّفون من الجن والإنس؛ فهناك المرور على الصراط وهناك الميزان وهناك الحساب؛ يحاسب الله الناس على أعمالهم، ويختلف العلماء أيها أسبق الميزان أو الصراط، ونشر الصحف، كذلك الحوض أيضًا؛ يعني أيها أسبق الحوض أو الصراط أو الميزان؟ اختُلف فيه لكن الراجح أن الحوض قبل الصراط وقبل الميزان أيضًا، والميزان قبل الصراط؛ يحاسب الناس في الموقف على أعمالهم فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك في جهنم خالدون، ونشر الصحف هو الذي ذكرنا من إعطاء الكتب بالأيمان والشمائل. «التي فيها مثاقيل الذرّ» ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والصراط جسر على جهنم يمر عليه الناس؛ فمنهم من يمر عليه كالبرق،

---

(١) كما في البخاري [رقم (٢٤٤١) كتاب المظالم]. ومسلم [رقم (٢٧٦٨)، كتاب التوبة].

ومنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كالراكب على الإبل، ومنهم من يمشي، ومنهم من يحبو حبوًا، وعلى الصراط كلاليب- والعياذ بالله- مثل شوك السعدان لكنها في غاية العظمة؛ تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم من تخطفه فيهوي في النار، ومنهم من تخدشه فيسلم وينجو، وهكذا. . ، وفي المرور منهم من يحبو حَبوًا كما سلف: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾. ما من أحد إلا ويمر على الصراط، فالمؤمنون ينجون والكفار يسقطون فيها جثيًا- والعياذ بالله- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

* * *

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمَّته

«ويؤمن أهل الدين والسُّنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد بن حمدون، أنبأنا أبو حامد بن الشرقي، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أنبانا معمرُ عن ثابتٍ عن أنس عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي».

وأخبرنا أبو عليّ زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأرغياني، حدثنا الحسن بن عَرَفَة، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قُراد عن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خُيِّرتُ بين الشفاعة وبين أن يَدخُلَ شَطرُ أمتي الجنة، فاخترتُ الشفاعة، لأنّها أعمُّ وأكفى. أترونها للمؤمنين المتَّقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين».

أخبرنا أبو محمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو، (ح).

وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول اللَّه، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننتُ ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك، لما رأيت من حِرصِكَ على الحديث، إنّ أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا اللَّه خالصًا من قِبَل نفسه».

الشرح:

ومن العقائد التي يجب الإيمان بها -أيضًا-: الإيمان بالشفاعة، وقد ورد

في القرآن والسنة الحديث عن الشفاعة: الشفاعة المنفية التي لا يمكن أن تكون أو تقبل وهي الشفاعة في الكفار، والشفاعة المثبتة للمؤمنين، كل ذلك جاء به القرآن وتحدثت عنه سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بشفاعة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- بل بشفاعة الأنبياء جميعًا وشفاعة المؤمنين وشفاعة العلماء وشفاعة الشهداء.. إلخ.

وهناك من الفرق الضالة من ينكر الشفاعة في الموحدين ويتعلق بنفي اللَّه -تبارك وتعالى- الشفاعة التي تخص الكفار! كما في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]. ويقول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

هذه الشفاعة في الكفار لا تحصل أبدًا، ثم قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فالشفاعة الأولى منفية تمامًا، والشفاعة الثانية تحصل بإذن اللَّه وبأمره للمؤمنين الموحدين، ولا يستطيع أحد أن يقدم بين يديه ليشفع عنده من تلقاء نفسه؛ بل لا بدَّ فيها من الإذن؛ لا بد فيها من إذن للشافع والرضا عنه، ولا بد فيها من الرضا عن المشفوع فيه، ولا يرضى اللَّه إلا عن الموحدين؛ فيقبل فيهم شفاعة الشافعين بعد الاستئذان.

ففي هذا السياق: ذكر الشفاعة المنفية عن الكافرين، وذكر الشفاعة الثابتة للمؤمنين، ومع هذا يتعامى المعتزلة والخوارج ومن سار على نهجهم عن هذا البيان الواضح؛ في سياق واحد في سورة البقرة؛ آية الكرسي وما قبلها: ذكر

شفاعتين؛ شفاعةً منفية إطلاقًا، وشفاعةً تحصل بعد إذن اللَّه -تبارك وتعالى-، فيكابرون كما هو شأن أهل الباطل والعياذ باللَّه!

وتحدَّث اللَّه عن الشفاعة في آيات أخرى أيضًا، منها قول اللَّه -تبارك وتعالى- في سورة الأنبياء: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال في سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]. فهذه شفاعة مثبتة للمؤمنين لكنها مشروطة بالإذن؛ فالملائكة مع كثرتهم لا يشفعون إلا بعد إذن اللَّه ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾. وكذلك الأنبياء والصالحون من الصحابة وغيرهم؛ كلهم يشفعون بعد إذن اللَّه -تبارك وتعالى-.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في الأحاديث الكثيرة الثابتة -: عندما تشتدُّ الأهوال يوم القيامة بالناس ويطول انتظار الناس في الموقف يذهبون إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى ليشفعوا لهم عند ربهم في كشف هذا الغمّ والكرب فيعتذرون كلهم، ويقول كل واحد منهم: «نفسي نفسي»؛ ثم يذهبون إليه ﷺ؛ فلا يشفع لهم ﷺ إلا بعد الاستئذان وإذن اللَّه له، ولا يشفع ابتداء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذاك؟ يجمع للَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك اللَّه بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى

غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك للَّه عبدًا شكورًا ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي اللَّه وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول اللَّه فضلك اللَّه برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلّمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول اللَّه وخاتم الأنبياء وقد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح اللَّه علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب! أمتي يا رب! أمتي يا رب! فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين

المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[١].

فهؤلاء الأنبياء كلٌّ منهم يعتذر ويقول: إنّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ويذكر خطيئته ويستحي من ربه أن يشفع؛ لأن بعضهم وقع في الخطأ، وبعضهم وقع في شبه الخطأ! وإن كانوا قد خرجوا من هذا الخطأ وشبهه بتوبة لا نظير لها ولكن الحياء يلاحقهم حتى في الآخرة!

فعلينا أن نستحيي من اللَّه في الدنيا والآخرة! واللَّه لا يرتكب المعاصي والجرائم والظلم إلا من قلَّ حياؤه أو عُدِم؛ فالحياء أمر عظيم، ومن فوائده الجليلة: أنك ربما تهمّ بالمعصية فتذهب وتمشي إليها، ثم تتذكر وتقول: إن ربي يراني ويسمعني؛ فتخجل وتخاف في نفس الوقت؛ فيدفعك ذلك الحياء والخوف إلى الإحجام عن فعلها، فالحياء رادع عظيم ووازع عظيم؛ الحياء والخوف مع الإيمان الصادق.

فعلينا أن نقوّي إيماننا وأن نغذي الحياء بدراسة سير الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومنها هذا الحديث.

الأنبياء يستحون أن يشفعوا في ذلك اليوم:

- فهذا نبي اللَّه آدم -عليه الصلاة والسلام- يستحي أن يشفع؛ نهاه اللَّه أن يأكل من الشجرة فخدعه الشيطان وقاسمه باللَّه: إنه لمن الناصحين وإنها شجرة الخلد، فخدعه وأكل منها وتاب وندم منه؛ قال اللَّه عنه وعن زوجه، عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فتاب اللَّه عليهما، ومع ذلك يأتي يوم القيامة مستحيًا، ويعتذر عن الشفاعة ويقول: أنا أخطأت!

- ونوح دعا على قومه الكفار ومع هذا اعتبر ذلك خطيئة! فيستحي ويخجل

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٤٧١٢)، كتاب التفسير]، ومسلم [رقم (١٩٤)، كتاب الإيمان].

منها؛ ويعتذر عن الشفاعة.

- وإبراهيم عليه السلام؛ يعتذر عن الشفاعة بأنه كذب ثلاث كذبات في ذات الله - وهي توريات- لكنه أطلق عليها أنها كذب وهي توريات ليست بكذب حقيقي، وبعضها مثل قوله عن زوجته: إن هذه أختي، يعني: أخته في الإسلام، وليست بكذبة، مع هذا من شدة خوفه من الله وحيائه منه وعلوّ منزلته عند الله عز وجل يرى أن هذا خطأ ويراها ذنوبًا ويخجل من الله وهو خليله -عليه الصلاة والسلام- وهو أفضل الأنبياء بعد محمد -عليه الصلاة والسلام- وأبو الأنبياء فما بعث الله من نبي بعده إلا من ذريته.

وردت آيات تنفي الشفاعة وهي في الكافرين، وآيات أخرى تثبت الشفاعة وهي في المؤمنين- كما ذكرنا لكم-، فيأتي المعتزلة والخوارج فيتعلقون بالآيات التي تقصد الكفار الذين لا تغفر ذنوبهم بحال من الأحوال، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. فهذه الآية نستفيد منها: أنّ الله يغفر لعباده المؤمنين أو عباده عمومًا ماعدا الشرك، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا، مُوَحِّدًا الله -تبارك وتعالى-؛ فإنه لا بد أن يخرج من النار بإيمانه؛ إما برحمة أرحم الراحمين وإما بشفاعة الشافعين، لا بد من هذا.

ووردت أحاديث في الشفاعة: مثل حديث أبي سعيد[١]، وحديث أنس[٢]، وحديث أبي هريرة[٣]، وفي هذه الأحاديث: أن الله يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ممن قال لا إله إلا الله[٤]، ونستفيد منها: أنّ من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا يخرجه الله من النار ولو كان عنده

(١) أخرجه البخاري [رقم (٧٤٣٩)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (١٨٣)، كتاب الإيمان].
(٢) أخرجه البخاري [رقم (٧٥١٠)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (١٩٣)، كتاب الإيمان].
(٣) سبق تخريجه (ص١٥٧).
(٤) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه المشار إليه.

أدنى مثقال ذرة من إيمان؛ ذلك أنّ الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فينقص وينقص إلى ألّا يبقى منه إلا مثقال ذرة فيخرج اللَّه به أقوامًا من النار.

لكن لا ينبغي للمسلم أن يعتمد على الشفاعة ويتجرأ على المعاصي؛ فإن في ذلك خطرًا عظيمًا:

١- فقد يرتد المسلم لأن المعاصي بريد الكفر؛ فقد تجره [معاصيه] إلى الكفر والخروج من الإسلام بأن ينقص إيمانه وينقص إلى أن يزول بسرعة بارتكاب مكفِّر؛ فلا يغفر اللَّه له؛ ولا يأذن بالشفاعة فيه؛ بل يكون مصيره الخلود في النار.

٢- وإن لم تصل به ذنوبه ومعاصيه إلى الكفر؛ بل كان ممن لقي اللَّه بشيء من الإيمان مع التوحيد للَّه ﷻ والصدق في هذا الإيمان ولو كان مثقال ذرة؛ فإنه يخرج من النار بالشفاعة؛ إذ إنّ من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا وكان إيمانه خالصًا للَّه ﷻ؛ يقول: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه وهو مخلص في ذلك ويلقى اللَّه بذنوب أمثال الجبال فإن شاء اللَّه عفا عنه كما في حديث البطاقة وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم بعد ذلك يخرجه بإيمانه وتوحيده وإخلاصه، لكن من منكم مستعد أن يبقى خمسين ألف سنة في النار؟!! هذا الذي يمنع الزكاة يلبث خمسين ألف سنة في العذاب[1]، فكيف بالذي يمتنع عن الصلاة؟ فلا يتساهل الإنسان ويعتمد على أحاديث الشفاعة ويقول: الأنبياء والصالحون يشفعون في أهل النار!! وإنما يجب أن تخشى اللَّه وتخافه ولا تتمادى في الذنوب.

إن وقعت في ذنب تب إلى اللَّه ﷻ؛ فاللَّه ﷻ مدح الذين لم يصرّوا على

---

(١) يشير الشيخ إلى حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي منها حَقَّهَا إلا إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ من نَارٍ فَأُحْمِيَ عليها في نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ...» الحديث. أخرجه مسلم [رقم (٩٨٧)، كتاب الزكاة].

الذنوب فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وفي الحديث الصحيح: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ على الرَّجُلِ حتى يُهْلِكْنَهُ»(١) والعياذ بالله. وقال ﷺ: «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة»(٢)، وقال الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. والعصاة؛ كثيرٌ منهم يشاركون الكفار في هذه النار وإن خرجوا بالشفاعة، لكن من منا مستعد أن يبقى في النار دهرًا والعياذ بالله؟! ويلقى العذاب على معاصيه في عرصات القيامة؛ أهل الطاعة في ظل العرش يُنعَّمون، وهم في وهج الشمس؛ يقربون من الجحيم والهلاك- والعياذ بالله- يتقلقلون ويتململون ويعانون من المخاوف والأهوال ما لايعلمه إلا الله ﷻ.

الشاهد: أن الآيات والأحاديث كما ذكرنا لكم، وهي أحاديث وردت في الصحاح وغيرها؛ البخاري ومسلم وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان ومسند أحمد والمسانيد والمعاجم والسنن كلها فيها هذه الأحاديث وهي كثيرة تبلغ حد التواتر(٣) فنؤمن بها.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢) وأبو داود الطيالسي في مسنده (٤٠٠) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٨٧).

(٢) قطعة من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري [رقم (٦٥٦٣)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (١٠١٦)، كتاب الزكاة].

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى (١٢/ ٤٨٠-٤٨١): وَلِهَذَا مَنَعَتِ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ أَنْ يَكُونَ لِنَبِيِّنَا ﷺ شَفَاعَةٌ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ- فِي إِخْرَاجِ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ. وَهَذَا مَرْدُودٌ بِمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ مِنَ السُّنَنِ فِي ذَلِكَ كَقَوْلِهِ ﷺ «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». وَأَحَادِيثُهُ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ النَّارِ مَنْ قَدْ دَخَلَهَا. اهـ

وقال محمد جعفر الكتاني: وقال السخاوي في فتح المغيث ما نصه: وذكر شيخنا يعني ابن حجر من الأحاديث التي وصفت بالتواتر حديث الشفاعة والحوض فإن عدد رواتهما من الصحابة زاد على أربعين وممن وصفهما بذلك عياض في الشفاء. اهـ [المتناثر في نظم المتواتر (١/ ١٩)] وقال: عدم تخليد المؤمن العاصي في النار وعدم خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ ذكر السيوطي وغيره أنها متواترة، وفي مطالع المسرات ما نصه: وأما العصاة من المؤمنين فالأحاديث في عدم تخليد المؤمن العاصي في النار زائدة على حد التواتر. قال الحافظ الجلال السيوطي في البدور السافرة: فقد رويناها من حديث أكثر من أربعين صحابيًا وسقناها في كتابنا الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة اهـ [المتناثر في نظم المتواتر (ص٢٤٠)].

كل هذه الآيات والأحاديث يتأولها الخوارج والمعتزلة مثل تأويل المكذبين -والعياذ بالله-، ويحرفونها مع الأسف الشديد ويكابرون في دفعها، ويرون أن من دخل النار لا يخرج منها! ويحتجّون بآيات وردت في الكفار.

منها: قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥-١٦]. اللَّه ﷻ نصّ على أنه كذّب وتولّى وهذا الذي دخل النار بذنوبه لم يكذّب؛ فالآية حجّة عليهم، وهذه من الآيات التي يحتجون بها.

ومنها قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]. والمقصودون بها الكفار. ويقول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. هذه معصية الكفر والشرك؛ بدليل أنّ هناك آيات تنصّ على أن اللَّه يقبل الشفاعة في العصاة، والأحاديث متواترة في أن اللَّه -تبارك وتعالى- يقبل الشفاعة في العصاة ويأذن بالشفاعة في العصاة.

والرسول ﷺ له شفاعات؛ له ﷺ الحظّ العظيم من هذه الشفاعات؛ شفاعات لا يشاركه فيها أحد، وهي:

١- الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة في إراحة الناس من ذلك الموقف العظيم؛ حين يذهبون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة فيتدافعونها حتى تصل إليه -عليه الصلاة والسلام- فيقول: أنا لها ويذهب فيخرّ ساجدًا تحت العرش ويحمد اللَّه ويثني عليه بمحامد يلهمه اللَّه إياها في تلك المناسبة «ثم يقال: **يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب**»[1] فيريح اللَّه الناس من الموقف؛ أمة محمد وغيرها من ذلك الموقف، ثم يمرون على الصراط فمنهم من يقع في النار ومنهم من يتجاوزه

---

(١) قطعة من حديث سبق تخريجه في (ص١٥٧).

برحمة اللَّه.

٢- الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة؛ إذ الرسول ﷺ أول من يدخل الجنة كما جاء في الحديث الصحيح: «**آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألَّا أفتح لأحد قبلك**»[(١)].

٣- وشفاعة خاصة في عمِّه أبي طالب؛ إذ يجده في أعماق النار فيشفع له فيصير في ضحضاح من النار كما ورد في الحديث: «**هو في ضَحْضَاحٍ من نَارٍ وَلَوْلَا أنا لَكَانَ في الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ من النَّارِ**»[(٢)]، وفي حديث آخر: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أبو طَالِبٍ وهو مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[(٣)]- والعياذ باللَّه- وهو أخف الناس عذابًا؛ لأنه كان يذبّ عن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- ويحوطه ويحميه ويدافع عنه إلى أن مات، لكن ما وُفِّق للإسلام؛ مات وهو يقول: على ملة عبد المطلب! الرسول ﷺ كان يدعوه ويدعوه إلى أن حضرته الوفاة: «**دخل عليه النبي ﷺ في هذه الحال وعنده أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية فقال: أيْ عم قل: لا إله إلا اللَّه؛ كلمة أحاجّ لك بها عند اللَّه ﷻ. فقال له أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»[(٤)]، ما منعه إلا الكبر وخشية العار، ونعوذ باللَّه من الكبر، فمات كافرًا وأُدخِل النار فيشفع فيه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ يخرجه من أعماق النار إلى ضحضاح فيها ولا يدخل الجنة؛ لأن اللَّه حرم الجنة على الكافرين

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٦) ومسلم [رقم (١٩٧)، كتاب الإيمان] من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري [رقم (٣٦٧٠)، كتاب مناقب الأنصار] ومسلم [رقم (٢٠٩)، كتاب الإيمان] من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم [رقم (٢١٢)، كتاب الإيمان] من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري [رقم (١٢٩٤)، كتاب] ومسلم [رقم (٢٤)، كتاب الإيمان] من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه.

«لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»[1] كما في أحاديث أخرى.

ثم بعد ذلك يشفع الرسول ﷺ وغيره شفاعات أخرى، ومن هذه الشفاعات:

٤- الشفاعة في خروج عصاة الموحِّدين من النار؛ فيشفع رسول اللَّه ويسجد تحت العرش فيؤذن له في أقوام يحدّهم اللَّه له فيخرجهم من النار، ومنهم من عنده مثقال دينار من إيمان، ومنهم من عنده نصف مثقال دينار، ومنهم من عنده مثقال حبة شعير من إيمان، ومنهم من عنده مثقال ذرة إلى أدنى مثقال ذرة من إيمان، وكذلك حدد اللَّه للمؤمنين الشافعين في أقوام منهم من يكون عنده مثقال دينار، مثقال ذرة، مثقال... إلخ، يشفع فيهم الأنبياء ويشفع المؤمنون ويشفع الملائكة ثم يقول اللَّه -تبارك وتعالى-: **«شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النبيونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النَّارِ فَيُخْرِجُ منها قَوْمًا لم يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»**[2].

هذه رحمة أرحم الراحمين؛ كل هذه الشفاعات ترجع إلى رحمته ﷻ «الرحمن الرحيم»، لكن الكفار الذين كذّبوه وكذّبوا رسله وماتوا على كفرهم؛ فهؤلاء لا تشملهم رحمة اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فهؤلاء الكفار محرومون منها!

فنسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يتغمدنا برحمته وأن يجعلنا من أهل شفاعة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وكلنا محتاجون إلى شفاعته -عليه الصلاة والسلام- وأشدهم حاجة العصاة؛ أهل الكبائر يشفع فيهم ﷺ كما ورد في

(١) أخرجه أحمد (١/ ٧٩) والنسائي (٢٩٥٨) والترمذي (٣٠٩٢) وقال: هذا حديث حسن. وانظر: الإرواء (٤/ ٣٠١-٣٠٣) للألباني رحمه الله.

(٢) قطعة من حديث أبي سعيدالخدري الطويل في الشفاعة، سبق تخريجه (ص١٤٣).

الحديث «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[1] يعني: الشفاعة الأهم هي هذه وإلا فهناك شفاعات شاملة لهم ولغيرهم.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الفصل أي الشفاعة في أهل المعاصي حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: يا رسول اللَّه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننت ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك**» أي: قبلك «**لما رأيت من حرصك على الحديث**» كان من أشدّ الناس حرصًا على سماع كلام رسول اللَّه وعلى حفظه، فهو كما يقال: حافظ الصحابة؛ يعني: اعتنى عناية شديدة بسنة رسول اللَّه فكان يحفظها، وكما قال هو نفسه رضي الله عنه: كان إخواني من المهاجرين يشغلهم الصفق بالأسواق وإخواني الأنصار يشغلهم العمل في أموالهم، وأما أنا فقد لازمت رسول اللَّه ﷺ على ملء بطني. يعني: لازمه، لا يريد تجارة ولا زراعة، يحب سماع الحديث ويرضى بالقليل، فحفظ شيئًا كثيرًا في مدة ثلاث سنوات، فرأى فيه رسول اللَّه من الحرص على الحديث الشيء العجيب فقال: «**لقد ظننت ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث**» يعني: عنده حرص شديد على حديث رسول اللَّه؛ ثم أجابه: فقال: «**إنّ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا اللَّه خالصًا من قِبَل نفسه**»[2]، وفي بعض الروايات «**خالصًا من قلبه**»[3]، وهذه تشمل أصناف المؤمنين؛ يعني: أهل الإيمان الكامل وأهل الإيمان الناقص من أهل المعاصي، كلهم سعداء بشفاعته ﷺ.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يجعلنا من أهل شفاعته، وأن يرحمنا بواسع رحمته إن ربنا لسميع الدعاء.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) وأبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٣١و٨٣٢).
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٣) والبخاري [رقم (٦٥٧٠)، كتاب الرقاق].
(٣) أخرجها البخاري [رقم (٩٩)، كتاب العلم].

الإيمان بالحوض والكوثر

«ويؤمنون بالحوض والكوثر، وإدخال فريقٍ من الموحدين الجنة بغير حسابٍ، ومحاسبة فريق منهم حسابًا يسيرًا، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ويعلمون حقًّا يقينًا أن مذنبي الموحدين لا يخلَّدون في النار ولا يُترَكون فيها أبدًا، فأما الكفار فإنهم يخلَّدون فيها ولا يَخرجون منها أبدًا ولا يستعتبون ولا يُفتَّر عنهم وهم فيه مبلسون ولا يترك اللَّه فيها من عصاة أهل الإيمان أحدًا».

الشرح:

يتحدث المصنِّف في هذا الفصل عن الحوض والكوثر فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويؤمنون بالحوض والكوثر» الكوثر: نهر أعطاه اللَّه محمدًا ﷺ في الجنة، وعلاقته بالحوض أنه يصب منه ميزابان يغُتان في الحوض يُمِدانه بالماء، وماء الحوض هذا وُصِف في الأحاديث الصحيحة أنه أشدّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من ريح المسك[1] للمؤمنين من هذه الأمة.

وذكر ﷺ في أحاديث أن أناسًا يذادون عن الشرب من هذا الحوض فيقول رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-: **«إنهم من أصحابي**[2] أو: **من أمتي**[3]- اختلفت الروايات- **فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فيقول رسول اللَّه ﷺ:**

(١) انظر: صحيح البخاري [رقم (٦٥٧٩)، كتاب الرقاق] وصحيح مسلم [رقم (٢٢٩٢)، و (٢٣٠٠)، (٢٣٠١)؛ كتاب الفضائل].

(٢) أخرجه البخاري [رقم (٦٥٨٢)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (٢٢٩٠)، كتاب الفضائل] عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري [رقم (٦٥٨٤)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (٢٣٠٤)، كتاب الفضائل] عن أنس رضي الله عنه.

سحقًا، سحقًا»

وهذه الأحاديث الواردة في الذين يطردون عن الحوض يحملها الروافض الخبثاء على أصحاب محمد ﷺ - قبح اللَّه الروافض وأخزاهم! -؛ يحملون مثل هذه الأحاديث على أفضل خلق اللَّه بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-! وإنما هذا في قوم ارتدّوا؛ وهؤلاء ليسو بصحابة؛ لهذا قال: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، والصحابة ما أحدثوا بعد رسول اللَّه ﷺ شيئًا، بل نشروا دينه وبلّغوا رسالته على وجهها ﷺ.

ويُحمَل الحديث- أيضًا- على أهل البدع وعلى رأسهم الروافض؛ لأنهم أحدثوا في دين اللَّه ﷻ؛ أحدثوا أشياء كثيرة جدًّا منها: تعطيل صفات اللَّه ﷻ، ومنها: الوقوع في الشرك من دعاء غير اللَّه، والاستغاثة بغير اللَّه، والذبح لغير اللَّه، والنذر لغير اللَّه؛ وغير ذلك من العبادات التي صرفوا كثيرًا منها لغير اللَّه.

وكثير من هؤلاء الغلاة في البدع يعتقدون في الأولياء أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون! ومنهم من يقول بوحدة الوجود! ومنهم من يقول بوحدة الأديان وحريّة الأديان وما شاكل ذلك! فهؤلاء أحدثوا أحداثًا خطيرة جدًّا في دين اللَّه ﷻ؛ فيتناولهم الحديث كما قرّره بعض العلماء، وعموم الحديث يدلّ على هذا.

وهناك أناس ينكرون الحوض كما يقول[1] الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ- وهم الخوارج وبعض المعتزلة-: فحريّ بهؤلاء أن يُحرَموا وأن يُطردوا من الشرب من هذا الحوض الذي كانوا لا يؤمنون به؛ لأنّ أحاديث الحوض متواترة، وقد بلغ عدد رواتها حوالي الثمانين، منها في الصحيحين حوالي عشرين حديثًا عن عشرين صحابيًّا، وبقيتها في باقي دواوين السنة[2]، فيتجرأ أهل الضلال فينكرون

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٥١٨). ط دار التقوى.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٥٢) ومسلم [رقم (٤٠٠) كتاب الصلاة]. من حديث أنس ﷺ.

الحوض بعضهم جهلًا منهم؛ لأنهم لا عناية لهم بالسنة، وبعضهم كبرًا وعنادًا! يعتقد عقيدة فاسدة فإذا وصلته الأدلة الصحيحة على فساد عقيدته والدالة على نقيض ما يعتقد يعاند ويكابر كما هو شأن أهل البدع في كثير من القضايا!!

أما أهل السنّة فيؤمنون بالحوض ويؤمنون بالشفاعة ويؤمنون بهذه الأمور التي لا يعترف بها كثير من أهل الضلال -والعياذ باللَّه-؛ كالمعتزلة والخوارج وغيرهم من أهل الضلال. ويؤمنون «بالكوثر» وفي الكوثر قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. أغفى الرسول ﷺ إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسمًا فسألوه: لِماذا ضحكت يا رسول اللَّه؟ قال: إن اللَّه أنزل عليّ سورة عظيمة، ثم قرأها عليهم: بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**هو نهر أعطانيه ربي ﷻ، في الجنة، عليه خير كثير، تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم فأقول: يا رب! إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». وفسّر ابن عباس الكوثر بـ «الخير الكثير»[1].

والخير الكثير يدخل فيه النهر العظيم الذي يُمِدّ الحوض؛ يغتّ منه ميزابان يمدان الحوض الذي من شرب منه لا يظمأ أبدًا.

ويختلف أهل السنة في ترتيب الحوض والشفاعة والصراط أيها أول؟ فالبخاري كما يقول الحافظ يشير في ترتيبه أنّ الحوض بعد الصراط وبعد

---

(١) رواه البخاري [رقم (٦٥٧٨) كتاب الرقاق باب في الحوض] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ولفظه: الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قال أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

الحساب وبعد هذه الأشياء، ويخالفه الكثير بأن الحوض هو أول؛ يعني قبل الصراط وقبل الحساب وقبل الميزان وقبل هذه الأشياء؛ لأن الناس يخرجون عطاشًا؛ يبعثهم اللَّه ﷻ وهم عطاش كما جاء في الحديث الصحيح «. . . **يدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن اللَّه، فيقال: كذبتم ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار**»[1].

أما المؤمنون فيسقيهم اللَّه ﷻ من الحوض، وتذكر بعض الأحاديث[2] أن لكلّ نبيّ حوضًا، وحوض نبينا أعظمها ويمتاز عليها بأنه يُمَدّ من الكوثر.

وهذا الحوض وردت فيه أحاديث كثيرة منها ما فيه التصريح بأن طوله: كما بين مكّة وبصرى أو مكة وهجر، وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يقول: إنه مسافة شهر؛ كل زاوية من زواياه مسافة شهر، ووصفه كما سبق لكم أنه أشدّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من ريح المسك، والأحاديث فيه أكثر من التواتر كما قلنا تبلغ ثمانين حديثًا ومنها الكثير في الصحيحين.

---

(١) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل في الشفاعة، وقد سبق تخريجه (ص١٤٣).

(٢) أخرج الترمذي في سننه (٢٤٤٣) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٤١-٣٤٢/ برقم٧٤٣) والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢١٢/ ٦٨٨١) ومسند الشاميين (٤/ ٣٠/ ٢٦٤٧) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً». قال أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا. ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح». وصححه الألباني رحمه الله بشواهده؛ انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤ / ١١٧)، الحديث رقم (١٥٨٩).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإدخال فريقٍ من الموحدين الجنة بغير حساب». ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النبي وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنبي ليس معه أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لي: هذا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: انْظُرْ إلى الْأُفُقِ الْآخَرِ فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لي: هذه أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ.** ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ الناس في أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ فقال بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رسول اللَّهِ ﷺ، وقال بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا في الْإِسْلَامِ ولم يُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عليهم رسول اللَّهِ ﷺ فقال: **ما الذي تَخُوضُونَ فيه؟** فَأَخْبَرُوهُ فقال: **هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.** فَقَامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم. فقال: **أنت منهم.** ثُمَّ قام رَجُلٌ آخَرُ فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم. فقال: **سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ**»[1]. قال: «**سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ**» سدًا للذريعة حتى لا يأتي غيره وغيره.. فيطلبون مثل هذا، وقد يسأله هذه الشفاعة من لا يستحقُّها، وهذا من حكمته ﷺ في سدّ الذرائع.

وورد أيضًا أن الرسول ﷺ يُعطى مع السبعين ألفًا - كما في أحاديث أخر - مع كل ألف سبعين ألفًا[2].

«وفريق منهم يُحاسب حسابًا يسيرًا» قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧- ٩]. واستشكلت عائشة رضي الله عنها قول النبي ﷺ: «**ليس أَحَدٌ يُحَاسَبُ يوم الْقِيَامَةِ إلا هَلَكَ**»

(١) أخرجه البخاري [رقم (٦٥٤١)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (٢٢٠)، كتاب الإيمان].

(٢) ورد ذلك عن جماعة من الصحابة، منهم أبو أمامة الباهلي وثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ وحذيفة بن اليمان وأبو أيوب الأنصاري وأبو هريرة رضي اللَّه عن الجميع، وقد أخرج أحاديثهم في ذلك كلّها العلامة الألباني في الصحيحة تحت حديث رقم (٢١٧٩).

فقالت: أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ فقال: «**إنما ذلك العرض وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يوم الْقِيَامَةِ إلا عُذِّبَ**»[1] يعني: الذي يدقق معه في الحساب لابدّ أن يُعذَّب، وأما الحساب اليسير فهو العرض فقط؛ تعرض الأعمال بدون مناقشة فيدخل الجنة هذا أيضًا بدون حساب ولا عذاب. «وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم» يعني: هذين الصنفين: قوم يدخلون الجنة بلا حساب وقوم يحاسبون حسابًا يسيرًا، فهذان الصنفان يدخلون الجنة بغير سوء لا بالقول ولا بالتعذيب الفعلي لا يمسهم شيء من هذا.

قال: «وإدخال فريق من مذنبيهم النار» يعني: من المؤمنين؛ وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة خلافًا لما يقوله غلاة المرجئة؛ فغلاة المرجئة يقولون: من قال لا إله إلا الله يدخل الجنة! وأن إيمانهم مثل إيمان جبريل وميكائيل ومحمد -عليه الصلاة والسلام-! وبعض غلاتهم يقول: من عرف الله فهو مؤمن! فهؤلاء أهل ضلال؛ لأنه لا بدّ من الإيمان ولا بدّ من العمل؛ فالإيمان: قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والمرجئة عندهم أن العمل لا يدخل في الإيمان وليس من الإيمان، وأنه يكفي عندهم المعرفة أو التصديق فقط والعياذ بالله!

وفقهاء المرجئة يُخرجون العمل من الإيمان وعندهم أنه لا يزيد ولا ينقص لأنه إذا نقص عندهم انتهى وذهب كله والعياذ بالله! ولكن القرآن والسنة يدلان على أن الإيمان يزيد وينقص.

فالقرآن وردت فيه آيات كثيرة أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالمعاصي. ومنها: قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٦٥٣٧)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (٢٨٧٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها].

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في زيادة الإيمان.

ووردت أحاديث دلت على النقصان كما في حديث الشفاعة: **«أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وعنده مثقال دينار من إيمان، مثقال درهم من إيمان، مثقال نصف دينار، مثقال شعيرة، مثقال ذرّة، أدنى أدنى مثقال ذرّة»**[1].

هذه أدلة على أن الإيمان ينقص، وهؤلاء الذين عندهم هذا الإيمان الناقص ورجحت سيئاتهم على حسناتهم؛ هؤلاء تحت المشيئة منهم من يغفر الله له، ومنهم من يعذِّبه؛ فيدخل أقوام النار بذنوبهم ويعذِّبهم الله بقدر هذه الذنوب ثم يخرجهم بشفاعة الشافعين وبمحض رحمته ﷻ. ولهذا قال: «ثم إعتاقهم وإخراجهم منها وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها» يعني: كما ورد في أحاديث الشفاعة؛ يشفع الرسول -عليه الصلاة والسلام- في إراحة الناس من الموقف، وهي الشفاعة العظمى، ويشفع في قوم يستحقّون دخول النار ألّا يدخلوها ويشفع في أقوام بأن يرفع درجاتهم في الجنة، ويشفع في أبي طالب وهو في أعماق النار فيخرج إلى ضحضاح من النار، ويشفع هو والنبيون والملائكة وسائر المؤمنين في العصاة الذين دخلوا النار فيخرجهم الله -تبارك وتعالى- بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء وشفاعة الملائكة وشفاعة المؤمنين.

و المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبّه في هذا الكلام على مذهب المرجئة الغلاة كما ذكرنا، وينبّه أيضًا على مذهب الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون العبد من الإيمان بارتكاب الذنوب الكبائر؛ فالخوارج عندهم يخرج صاحب الكبيرة من الإيمان بالكلية إلى دائرة الكفر، فهو كافر بارتكاب هذا الذنب ويستبيحون دمه وماله!

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٨) من هذا الكتاب من رواية أبي هريرة وأنس وأبي سعيد رضي الله عنهم.

ومن هذا المنطلق أثاروا فتنًا عظيمة على الإسلام والمسلمين وسفكوا دماء المسلمين بهذه العقيدة الخبيثة!

ولهذا وصفهم رسول اللَّه ﷺ بأنهم «شرّ الخلق والخليقة»[1] وأمر بقتلهم فقال: «أينما وجدتموهم فاقتلوهم»[2] وقال: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأقتلنّهم قَتْلَ عَادٍ»[3]. فهم شر على الإسلام والمسلمين أكثر من اليهود والنصارى كما قال فيهم العلماء، ولهذا قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «هم شرّ الخلق والخليقة».

وشارك الخوارج المعتزلة في أن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ولكنه لا يدخل في دائرة الكفر ويسمونه فاسقًا ويبقى في منزلة بين المنزلتين! ولا يستبيحون دمه ولا ماله، هذا حكمه في الدنيا -عندهم-، ولكن في الآخرة يلتقون مع الخوارج في أنه من دخل النار فلا يخرج منها! ومن هنا ينكرون آيات وأحاديث وردت في الشفاعة؛ لأنهم حكموا على مرتكب الكبيرة بدخول النار والخلود فيها! ويحتجون بآيات نزلت في الكفار تدلّ على خلود الكافر في النار، منها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وما شاكل ذلك.

وهذه آيات في الكفار خاصة!! وأما عصاة الموحّدين؛ فإن نصوص القرآن والسنة دلّت على أن من دخل النار منهم أنّ اللَّه يخرجهم منها إما بمحض رحمته، وإما بشفاعة الشافعين كما سبق بيانه لكم، ولهذا قال: «ويعلمون حقًّا

---

(١) قطعة من حديث في وصف الخوارج، أخرجه أحمد [(٣/ ٢٢٤) و (٤/ ٤٢١، ٤٢٤)]، ومسلم [رقم (١٠٦٧)، كتاب الزكاة].

(٢) قطعة من حديث في وصف الخوارج، أخرجه البخاري في [رقم (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين]،، ومسلم [رقم (١٠٦٦)، كتاب الزكاة] من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) قطعة من حديث في وصف الخوارج، أخرجه البخاري [رقم (٧٤٣٢)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (١٠٦٤)، كتاب الزكاة] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

يقينًا أن مذنبي الموحدين لا يخلَّدون في النار» ردًّا على الخوارج وعلى المعتزلة. «ولا يُتركون فيها أبدًا» كما يُخلّد فيها الكفار.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الكفار فيُخلَّدون فيها ولا يخرجون منها أبدًا» كما قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ وآيات أخرى تدل على خلودهم في النار وأنهم لا يخرجون منها.

ومن عقائد أهل السنّة: أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان، وأن الكفار خالدون في نار جهنم أبدًا لا يخرجون منها، وأن أهل الجنة خالدون فيها لا يخرجون منها أبدًا.

وذهبت الجهمية إلى القول بفناء الجنة والنار! وهذا ردّ لنصوص القرآن والسنة على أبدية الجنة والنار! والضلالات كثيرة عند أهل الزيغ، والعياذ باللَّه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يُستَعتبون ولا يُفتَّر عنهم» لا يفتّر عنهم يعني: مستمر أبد الآبدين «وهم فيه مبلسون» يئسوا من الخروج؛ فيخلدون في النار «ولا يترك اللَّه فيها من عصاة أهل الإيمان أحدًا» كما تقدم لكم أنهم يخرجون بفضل اللَّه وبرحمته أو بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين.

* * *

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

«ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم -تبارك وتعالى- يوم القيامة بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ في قوله: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» والتشبيه في هذا الخبر وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب «الانتصار» بطرقها».

الشرح:

القاعدة الأساسية عند أهل السنة أنهم يؤمنون باللَّه -تبارك وتعالى- وبأسمائه وبصفاته ﷻ على الوجه اللائق به، ويؤمنون بكل ما ثبت في القرآن والسنة؛ فكل ما ورد في القرآن وما ثبت من سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- يؤمنون به على الوجه اللائق باللَّه ﷻ من غير تحريف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل.

و العقائد التي يؤمن بها أهل السنة ويخالفون فيها أهل الضلال معروفة، وقد مر بنا الشيء الكثير في هذا الكتاب.

ومن هذه العقائد التي يتميّز بها أهل السنة عن أهل الضلال: أنهم يؤمنون بأن اللَّه يُرى يوم القيامة ويراه عباده المؤمنون في الجنة، ويُرى قبل ذلك في عرصات يوم القيامة، والرؤية التي يتميز بها المؤمنون هي رؤية اللَّه في الجنة، وتشير بعض الأحاديث أو تدل على أن في عرصات القيامة يشترك المؤمنون وغيرهم في «رؤية اللَّه»، فالمنافقون يدخلون في ذلك لكنها رؤية لا تفيدهم؛ إذ يكشف اللَّه عن ساقه ﷻ فيخرّ المؤمنون سجدًا للَّه، والمنافقون لا يستطيعون

ذلك، فكلما أرادوا أن يسجدوا لا يستطيعون ذلك؛ كما قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]. ثم يراه المؤمنون في الجنة.

قال المصنف: «ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم -تبارك وتعالى- يوم القيامة بأبصارهم» والأدلة على ذلك كثيرة متواترة(١)؛ يعني: بلغت حد التواتر، رُوِيت عن ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ؛ هذا في السنة، أما القرآن ففيه آيات وردت في ذلك.

منها: قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾. يعني: من النضرة وهي الحسن والجمال من آثار النعيم الذي أنعم اللَّه به عليهم في الجنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر بمعنى الرؤية بالأبصار؛ يبصرون اللَّه ويرونه ﷻ في جنات النعيم.

ومنها: قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ١٣-١٤]. ينظرون إلى ربهم وهم في الجنة على الأرائك، والأرائك هي السرر تحت الحجال، بخلاف الكفار فإنهم في هذه السورة وهي سورة «المطففين» قال اللَّه في حقّهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. هذا في صفات الكفار، وفي صفات المؤمنين في نفس السورة قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ بل أكد هذا النظر مرة أخرى في هذه السورة نفسها.

فمن الأدلة على حصول هذه الرؤية للمؤمنين ما ذكرنا من هاتين الآيتين.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: جَمَعَ الدَّارَقُطْنِيُّ طُرُقَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي رُؤْيَةِ اللَّه تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ فَزَادَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ، وَتَتَبَّعَهَا اِبْنُ الْقَيِّمِ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ فَبَلَغَتْ الثَّلَاثِينَ، وَأَكْثَرُهَا جِيَاد، وَأَسْنَدَ الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ يَحْيَى بْن مَعِين قال: عِنْدِي سَبْعَةَ عَشَر حَدِيثًا فِي الرُّؤْيَةِ صِحَاحٌ. فتح الباري (١٣/ ٤٨٠).

ومنها -أيضًا-: قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه اللَّه الكريم، وقد روى الإمام مسلم من حديث صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول اللَّه تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه اللَّه فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»[1].

فهذا من تفسير النبي -عليه الصلاة والسلام- لهذه الزيادة، فذكر في هذا الحديث أنهم بعد أن يدخلهم اللَّه الجنة يقول لهم: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ هذا كله فوز عظيم! وتبييض الوجه إشارة إلى قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين والمنافقين، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨-٤٢].

فمن أعظم نعيم اللَّه لعباده المؤمنين في الجنة وأجزلها أن يتفضل عليهم برؤيته ﷻ؛ فما يرون نعيمًا أفضل من أن يروا ربهم -تبارك وتعالى-؛ فالجنة وما فيها من حور وقصور وأنهار.. إلى آخره، كل النعيم الذي فيها يتقاصر أن يصل إلى نعمة رؤية اللَّه -تبارك وتعالى-.

ومن الأدلة كذلك أن الصحابة -رضوان اللَّه عليهم- سألوا رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-: «**هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ فقال: هل تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لَا يا رسول اللَّهِ. قال: هل تُضَارُّونَ في**

---

(١) برقم (١٨١)، كتاب الإيمان.

الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس **دُونَهُ سَحَابٌ**؟ قالوا: لَا يا رسول اللَّهِ. قال: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ** يوم **الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ**»[1]، فهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ كما أشار المصنف إلى هذا؛ فالرسول -عليه الصلاة والسلام- يؤكد لهم أن اللَّه يُرى حقيقة؛ رؤية حقيقية، فكما لا نشك ولا نتضارّ في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ورؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؛ كذلك نرى اللَّه -تبارك وتعالى-.

فهذا كما قلنا تشبيه للرؤية بالرؤية، وهذا التمثيل من الرسول -عليه الصلاة والسلام- تأكيد لإثبات أن المؤمنين يرون ربهم؛ فمثل لهم بأوضح الأشياء حتى لا يبقى هناك أي شك يساور المؤمنين في رؤية اللَّه ﷻ.

وفي حديث جرير: أنه نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ**»[2].

وأحاديث كثيرة جدًّا بلغت حد التواتر، منها الأحاديث التي ذكرناها، فهي كثيرة جدًّا ولا ينكرها إلا كافر؛ إذ إنّ السلف كَفَّروا من أنكر رؤية اللَّه؛ لأنهم أنكروا أمورا متواترة من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

وممن ينكر رؤية اللَّه ﷻ المعتزلة والجهمية؛ فهم ينكرون رؤية اللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأنه لا تُرى- عندهم- إلا الأجسام، ومن لوازم الرؤية ثبوت الجهة، وإذا قلنا إن اللَّه في جهة شبهناه بخلقه! إلى آخر الضلالات التي اخترعوها يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة!

ومن أدلتهم: قول اللَّه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٦٥٧٣)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (١٨٢)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [رقم (٧٤٣٤)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (٦٣٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة].

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ، والآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن نفي الإدراك لا ينفي الرؤية؛ إذ الإدراك معناه: الإحاطة، يعني: لا يحيطون به رؤية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. لا يحيطون به رؤية؛ ففي الدنيا لا يرونه، وفي الآخرة يرونه لكن لا يحيطون به؛ فكما لا يحيطون به علمًا كذلك لا يحيطون به رؤية، فإذا كانت العقول تعلم اللَّه لكن لا تحيط به؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. فكذلك المؤمنون يرون ربهم في الجنة ولا يدركونه؛ لأنه ﷻ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. يعني: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾. ولا يحيطون به رؤيةً، فليس لهم في الآية حجة.

كذلك احتجّوا بقول اللَّه تعالى لموسى لما سأل ربه أن ينظر إليه، قال اللَّه: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قالوا: فاللَّه لم يمكِّن موسى من الرؤية وقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

فهذه من شبههم والآية كما يقول أهل السنة: حجة عليهم لا لهم؛ لأن موسى من أعلم الناس باللَّه أو أعلم الناس في زمانه باللَّه رب العالمين، كيف يسأل ربه الرؤية وهي حرام وهي مستحيلة؟! ما سأله إلا وهو مقتنع بأن رؤية اللَّه ممكنة، لو كان يعتقد أنها مستحيلة ما سأل ربه ﷿، واللَّه ﷻ لم يقل: «ما أُرى ولا تجوز رؤيتي» وإنما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي في هذه الدنيا.

قالوا: «لن» تفيد التأبيد!

قال لهم أهل السنة: كذبتم على اللغة؛ قال اللَّه في حق اليهود في الموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]. ثم أخبر -تبارك وتعالى- أنهم في الآخرة يتمنون الموت ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فهم يطلبون ويتمنون ويطلبون لكن لا يتحقق لهم؛ فالنفي بـ «لن» إذن ليس للتأبيد، فالنفي بها في هذا السياق نفي للرؤية في الدنيا وأما الآخرة فلا، فالآية لا تتناول نفي الرؤية في الآخرة.

وهكذا لا يأتي أهل الباطل بشبهة إلا وفي القرآن والسنة ما يبطلها ويدحضها.

وقوله: «يرون ربهم -تبارك وتعالى- يوم القيامة بأبصارهم» يعني: يرون اللَّه بأبصارهم لا بالبصائر؛ خلافًا للأشاعرة لأنهم يقولون إنهم يؤمنون بالرؤية وفي نفس الوقت ينفون الجهة عن اللَّه ﷻ! فاضطربوا وتحيروا ماذا يقولون! قالوا: يُرى من كل الجهات! وهذا كلام غير معقول، وهذه عقيدة الحلول؛ يرى في كل مكان! أو قالوا: يُرى بالبصائر يعني: رؤيته تتجلى للبصائر! وهم دائمًا -يعني الأشاعرة- ماسكين بوسط العصا كما يقال؛ مذهب سياسي! يتابعون المعتزلة والجهمية في كثير من الأشياء ويريدون أن يحافظوا على مكانتهم بأنهم أهل السنة! مع الأسف الشديد.

قال المصنف: «وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول اللَّه ﷺ في قوله: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، والتشبيه في هذا الخبر وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب «الانتصار» بطرقها» المصنف لم يشر إلى تواتر الأحاديث في هذا الباب! وكأنه ألّف هذا الكتاب وهو في رحلة من الرحلات فما كانت له مراجع. على كل حال أخرجها في كتابه الذي ذكره، ولم يذكر هنا أنها متواترة! وهي متواترة فعلًا.

* * *

الإيمان بالجنة والنار
وأنهما مخلوقتان لا تفنيان أبدًا

«ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خُلقوا لها، لا يخرجون أبدًا، ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار وينادي المنادي يومئذ: «يا أهل الجنّة خلودٌ ولا موتٌ، ويا أهل النّار خلودٌ ولا موتٌ» على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ».

الشرح:

كذلك من العقائد التي يتميز بها أهل السنة عن أهل الضلال: أنهم يؤمنون بأن الجنة والنار مخلوقتان؛ فجميع الفرق تعتقد بأن هناك جنة ونارًا لكن المعتزلة بعقولهم الفاسدة قالوا: الجنة والنار إلى الآن ما خُلقتا؛ لأن خلقهما في الدنيا- قبل الجزاء بهما- عبث. قاتلهم الله!

والأدلة من الكتاب والسنة على أن الجنة والنار مخلوقتان كثيرة.

فمن القرآن: قول الله -تبارك وتعالى- في النار لما تحدى الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿أُعِدَّتْ﴾. يعني: قد أعدّها الله وهيّأها فهي موجودة، وقال في الجنة: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال في النار أيضًا: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. إلى آيات أخر وأحاديث تدل على أنهما موجودتان.

ومنها أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمر بالإبراد في الحر وقال: «إِذَا

اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، وَاشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ»(١). فشدة الحر هذه من سموم النار؛ لأنها موجودة، وشدة البرد من زمهريرها؛ لأنها موجودة. وأدلة أخرى تدل على أن النار مخلوقة والجنة مخلوقة موجودة.

ومنها قول اللَّه -تبارك وتعالى- في الحديث عن الإسراء بالنبي -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥]. رأى رسول اللَّه ﷺ جبريل عند سدرة المنتهى؛ سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فهي موجودة فعلًا، وأدلة أخرى تدل على وجودهما.

قال المصنف: «وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا» الآيات الواردة في خلود أهل الجنة والنار كثيرة جدًّا، و«خلودهما» يعني: بقاؤهما ودوامهما بحيث لا تفنيان، من هذه الأدلة قول اللَّه -تبارك وتعالى- في الجنة في آيات كثيرة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، وقوله في النار في آيات: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ يعني: دائمة ومستمرة، لا تنقطع ولا تفنى، لا الجنة ولا النار، ومنها قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. ومنها: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]. أي: لا ينقطع، ومنها: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] يعني: دائمًا هم فيها؛ هذا دليل على بقائها ودوامها.

ومن الأدلة: إخبار رسول اللَّه ﷺ أنه: **«إذا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حتى يُجْعَلَ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ**

---

(١) أخرجه البخاري [رقم (٥٣٧)، كتاب مواقيت الصلاة] ومسلم [رقم (٦١٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ»[1] والعياذ بالله.

الشاهد: أن أهل السنة والجماعة يتميزون عن أهل الضلال بأنهم يعتقدون ويشهدون: أن الجنة والنار مخلوقتان؛ هذه مسألة، والمسألة الثانية: أنهما لا تفنيان، والجهمية يقولون: أن كلًا من الجنة والنار تفنيان!

وهاتان العقيدتان يكذبهما كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ويثبتان أن أهل الجنة الذين هم أهلها لا يخرجون منها وأهل النار الذين هم أهلها لا يخرجون منها، وأنهما دائمتان، وأن عذاب الكفار مستمر ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ فتبين الحق من الباطل بنصوص الكتاب والسنة.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على هذا المنهج الصحيح السديد؛ منهج أهل السنة والجماعة في كل القضايا؛ في العقائد والأحكام والأخلاق، نسأل الله أن يثبتنا على هذا النور وهذا الهدى وأن يجنبنا مزالق الضلال والهوى إن ربنا سميع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٥٤٨)، كتاب الرقاق] ومسلم [رقم (٢٨٥٠)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها] من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

«ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص. فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحَمِدْنَاه وسبَّحنَاه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه».

الشرح:

قال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»

هذه المسألة من المسائل التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية؛ فالمرجئة طوائف؛ منهم الغلاة ومنهم مرجئة الفقهاء.

فالغلاة منهم يقولون: الإيمان هو المعرفة وهم الجهمية! وهذا ضلال، ولازم قولهم أن فرعون مؤمن وإبليس مؤمن لماذا؟ لأنهم كلهم يعرفون الله؛ إبليس يعرف الله -تبارك وتعالى- وأنه خلق هذا الكون وخلق الجنة والنار ويؤمن بالقدر... وإلى آخره، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]. يقسم فيقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]. يعرف الأسماء والصفات، فهو يعرف الله عَزَّوَجَلَّ والتصديق موجود عنده والمعرفة موجودة عنده ومع ذلك هو أكفر الكافرين، فالذي يقول: الإيمان هو

المعرفة فهو ضالٌّ مُضِلّ، بل عقيدته كفرية وكفَّرَهم السلف.

ومرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو التصديق؛ تصديق بالقلب وقول باللسان، والعمل ليس من الإيمان! الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه ليست من الإيمان، وهذا مصادم لنصوص الكتاب والسنة!

اللَّه سمى الصلاة إيمانًا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. يعني: صلاتكم، وأطلق على الأعمال أنها من الإيمان؛ قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هذه الآية عظيمة جدًّا -والقرآن كله عظيم- ففيها: بيان أن أعمال القلوب من الإيمان لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. وبيان أن الإيمان يزيد؛ لقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾. وبيان أن الأعمال من الإيمان لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فعدّ الأعمال من الإيمان؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح عدّها من الإيمان، وبيّن أن الإيمان يزيد؛ يقرأ القرآن فيزيد؛ يذكر اللَّه فيزيد، يصلي فيزيد، كل عمل صالح يعمله يزيد في إيمانه والمعاصي تنقصه.

وأهل السنّة والجماعة عندهم: الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الإيمان قول وعمل ومعرفة» والمعرفة يعني الاعتقاد «يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»

والأدلة على الزيادة ما ذكرناه لكم، ومنها آيات كثيرة.

ومنها: قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤]. كما في سورة الفتح

و«السكينة» هي الطمأنينة فيزدادون بذلك إيمانًا؛ هذا من الأدلة على أن الإيمان يزيد.

ومنها: قوله تعالى: «﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]. هذا الإرهاب وهذا التخويف ما زادهم إلا ثباتًا وإيمانًا؛ فالآية هذه من الأدلة الواضحة على أن الإيمان يزيد.

ومنها: قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ [المدثر: ٣١]. هذه الآية أيضًا من الأدلة على أن الإيمان يزيد ويزيد ويزيد حتى يصير كالجبال، والأدلة كثيرة على زيادة الإيمان.

ومن الأدلة على نقصانه أحاديث الشفاعة؛ فأحاديث الشفاعة فيها أن الإيمان ينقص، منهم من يكون عنده مقدار دينار ومنهم من لا يبقى عنده إلا مقدار نصف دينار ومنهم من لا يبقى عنده إلا مثقال ذرة... إلخ، فالإيمان ينقص بسبب المعاصي والذنوب، منهم من لا يبقى معه إلا أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

فالقرآن دلّ على الزيادة والسنة دلت على النقصان، بل من القرآن ما يدل على النقصان وهو قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]. هذا ناقص الإيمان، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فقسم اللَّه -تبارك وتعالى- في هذه الآية المؤمنين الذين أورثهم اللَّه هذا الكتاب إلى ظالم لنفسه -وهم العصاة- لأنّ إيمانهم ناقص، ومنهم مقتصد متوسط يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات، ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين يقومون بالواجبات ويجتنبون المحرمات ويجتنبون المكروهات ويتقربون إلى اللَّه بالمستحبات.

ومن الفرق الضالة الكرّامية الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان! هؤلاء من فرق المرجئة؛ الإيمان -عندهم- هو النطق باللسان، وعندهم المنافق مؤمن لماذا؟ لأنه قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله! والله يقول في هؤلاء: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وهم يقولون: الإيمان هو النطق باللسان فقط! لا أعمال القلوب ولا أعمال الجوارح ولا الاعتقاد ولا شيء؛ فقط النطق باللسان وهذا ضلال!!

وينسب إليهم بعض أهل العلم أنهم يقولون: إن المنافق في الجنة، لكن شيخ الإسلام يردّ هذه الدعوى ويقول: بل هم يرون أن المنافق في النار[1] وهذا تناقض منهم وجهل!!

وهنا ينقل المصنف بإسناده عن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سئل عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه».

هذا الإسناد نبَّه المحقق إلى ضعفه؛ لأنّ هذا أبا جعفر الخطميّ- اسمه عمير بن يزيد- أبوه يزيد مجهول في الإسناد، لكن حتى ولو لم يثبت هذا فإنه ثبت من طرق أخرى؛ نُقِلَ عن الصحابة وعن التابعين وعن أئمة الإسلام أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال: «وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه» نعم الغفلة تنقص من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٦، ٤٧٦).

الإيمان لا شك ويدل عليه حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال:

«لَقِيَنِي أبو بَكْرٍ فقال: كَيْفَ أنت يا حَنْظَلَةُ؟ قال: قلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قال: سُبْحَانَ اللَّهِ ما تَقُولُ! قال قلت: نَكُونُ عِنْدَ رسول اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رأي عَيْنٍ فإذا خَرَجْنَا من عِنْدِ رسول اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا! قال أبو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا فَانْطَلَقْتُ أنا وأبو بَكْرٍ حتى دَخَلْنَا على رسول اللَّهِ ﷺ قلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا رسول اللَّهِ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: وما ذَاكَ؟ قلت: يا رسول اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رأي عَيْنٍ فإذا خَرَجْنَا من عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا! فقال رسول اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده إن لو تَدُومُونَ على ما تَكُونُونَ عِنْدِي وفي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-»[1]. فهذا حنظلة اتهم نفسه بالنفاق فيقول: نافق حنظلة.. وعافسنا الأزواج والضيعات ونسينا كثيرًا!

فرق بين الحالين؛ الحال التي يذكر اللَّه عز وجل فيها وكأنما يشاهد الجنة والنار، وكأنما يشاهد الملائكة وهم للَّه في السموات سُجَّدًا، وكأنما ينظر في الجنة وما فيها من حور وقصور وإلى آخره، والنار وما فيها من سلاسل وأغلال إلى آخره؛ يزداد إيمانه، والحال التي يغفل فيها ويضيع ينقص.

* * *

«أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيريّ، حدثنا محمد بن يحيى الذهليّ ومحمد بن إدريس المكيّ، وأحمد بن شداد الترمذيّ، قالوا: حدثنا الحميديّ حدثنا يحيى بن سليم: سألتُ عشرةً من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل. وسألت هشام بن حسان فقال: قول وعمل. وسألت

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٧٥٠)، كتاب التوبة].

ابن جريج فقال: قول وعمل. وسألت سفيان الثوريّ فقال: قول وعمل. وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل. وسألت محمد بن مسلم الطائفيّ فقال: قول وعمل. وسألت فضيل بن عياض فقال: قول وعمل. وسألت نافع بن عمر الجمحيّ فقال: قول وعمل. وسألت سفيان بن عيينة فقال: قول وعمل».

الشرح:

قال المؤلف: «أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيريّ، حدثنا محمد بن يحيى الذهليّ ومحمد بن إدريس المكيّ، وأحمد بن شداد الترمذيّ، قالوا: حدثنا الحميديّ حدثنا يحيى بن سليم: سألتُ عشرةً من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل. وسألت هشام بن حسان فقال: قول وعمل. وسألت ابن جريج فقال: قول وعمل. وسألت سفيان الثوريّ فقال: قول وعمل. وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل. وسألت محمد بن مسلم الطائفيّ فقال: قول وعمل. وسألت فضيل بن عياض فقال: قول وعمل. وسألت نافع بن عمر الجمحيّ فقال: قول وعمل. وسألت سفيان بن عيينة فقال: قول وعمل».

هؤلاء الأئمة من مختلف الأمصار كلّهم يقولون: الإيمان قول وعمل، بخلاف المرجئة الذين ينكرون أن يكون العمل من الإيمان فيقولون: الإيمان إما المعرفة وإما التصديق؛ إما المعرفة وإما التصديق بالقلب وباللسان، وأما أهل السنة فعندهم: أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

إذا سئل العالم عن الإيمان فاقتصر على قوله: الإيمان قول وعمل؟ هل يصير مرجئًا؟ عندنا مذهب جديد الآن وهم الحدادية؛ إذا قال العالم أو طالب العلم: «الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وينقص وينقص إلى أن يبقى منه مثقال ذرة» يصير مرجئًا عندهم!! يعني: يخترعون أصولًا تهين أهل السنة وترميهم في حمأة البدع!

هؤلاء الأئمة العشرة مبتدعة- الآن- على مقتضى منهج هؤلاء الحدادية! لأنهم يقولون: الإيمان قول وعمل فقط، بل لا يقولون: يزيد وينقص! لكن السائل يعرف ويعتقد أنهم يقولون بالزيادة والنقصان. يذكر البخاري(١) أنه لقي أكثر من ألف شيخ من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وفقط؛ لا يقولون: «حتى لا يبقى منه شيء»! على مذهب الحدادية الخبيثة التي أنشئت لحرب أهل السنة وإشغالهم عن الدعوة إلى اللَّه وإرشاد الناس إلى دين اللَّه الحق؛ يشاغلونهم ويشمتون بهم الأعداء!

وكم لهم من الأصول الخبيثة التي تقتضي تبديع أئمة الإسلام! ولهم طعن صريح في أئمة الجرح والتعديل ولم يعتذروا منه إلى اليوم؛ فهم أعداء للمنهج السلفي ولأئمته ويتظاهرون بالسلفية، لأن التظاهر بالسلفية أنكى للمنهج السلفي مما لو كانوا ظاهرين بالبدع!

وأنا أعتقد أن فيهم زنادقة وروافض مدسوسين معهم! لا هدف لهم إلا تشويه المنهج السلفي والطعن في أئمته، ويتسترون- مع الأسف الشديد- خلف بعض العلماء الذين لم ينتبهوا لمكايدهم ومكرهم وخبثهم!

الآن المواقع الخبيثة للروافض وغيرهم يشمتون بأهل السنة ويعتبرون الحدادية من أهل السنة ويقولون: أهل السنة الآن والوهابية مختلفون! نحن نقول لهم: هؤلاء ليسوا من أهل السنة هم مثلكم أعداء للسنة وأشد منكم عداوة لأهل السنة!

لا تظنوا أيها الروافض ولا تفرحوا أن أهل السنة انقسموا، إنما هذه فئة

(١) قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٥): «وروى- يعني اللالكائي- بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثرَ من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص. وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين. . .».

مدسوسة على المنهج السلفي لتشويهه وإسقاط علمائه، ولهذا بدأ الحداد بابن تيمية؛ يطعن فيه وفي ابن القيم وفي العقيدة الطحاوية وغيرها، وهم الآن شر منهم في مرحلتهم الأولى؛ شر وأكذب، كذب، خيانات، فجور، حرب لا تهدأ إلى يومنا هذا!

الناس حتى الروافض مشغولون بالدفاع عن رسول الله ﷺ وهم لا شغل لهم إلا الطعن في أهل السنة! فئة خبيثة أنشئت لأهداف خبيثة؛ الطعن في أئمة السنة وإسقاطهم وإسقاط منهجهم! كم لهم من القواعد الآن؟ ومنها هذه القاعدة التي تعود بالشر والطعن في العلماء.

الآن عندنا عشرة علماء منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل ولم يذكروا الزيادة والنقص! فهم مبتدعة على المذهب الحدادي!! مبتدعة ومرجئة!!

سأل ابن أبي حاتم أبا زرعة وسأل أباه عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما يعتقده علماء الأمصار وما يعتقدانه هما فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم أنّ: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[(١)].

علماء الأمصار جميعًا وقبلهم الصحابة، ما قالوا: «ينقص، ينقص حتى لا يبقى منه شيء»! إذا قال الإنسان: «ينقص، ينقص حتى لا يبقى منه شيء» فلا بأس، لكن هل لا بد أن يقول هذا وإذا لم يقل فهو مرجئ؟! هذا حكم مجرم على الصحابة وعلى التابعين وعلى أئمة الإسلام جميعًا؛ فإنه يلزم على منهجهم هذا أنهم مرجئة!!

هذا سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ أحد العشرة الذين سألهم هذا الشخص قال:

---

(١) انظر أصول السنة (ص١٠) تحقيق أبي عكاشة.

الإيمان قول وعمل فقط، ويمكن بعد فترة في مناسبة أخرى قال: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص؛ مرة يقول: الإيمان قول وعمل ومرة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ويسكت، ومرة حركه أخوه باعتراض لما قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول: ينقص؟ فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء.

فهمتم خطورة هذا المنهج الخبيث؟! لهم قواعد أنشئوها واخترعوها بجهلهم- جهل مطبق وضلال- فيها طعن في أهل السنة؛ إذ إنه ما من بلية يخترعونها إلا وتعود بالطعن على أئمة الإسلام! ومنها هذه القاعدة التي ذكرناها؛ حيث حكموا على من يقول: «الإيمان يزيد حتى يصير كالجبال، وينقص وينقص وينقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة» وفي نفس الدرس قال: «حتى لا يبقى منه شيء» بالإرجاء؛ فقالوا: هو مبتدع مرجئ!!

فما قولهم في الذي يقول: الإيمان قول وعمل ويسكت؟! هو مرجئ - عندهم- من باب أولى؛ لأنه ما ذكر زيادة ولا نقصانًا!! فهؤلاء العشرة يقولون فقط: الإيمان قول وعمل وألوف منهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ويسكتون ولا يقولون: حتى لا يبقى منه شيء! ولم يثبت عن أحد قال هذا الكلام إلا عن سفيان بن عيينة في حالة غضب- كما سيأتي -!

نعم قل: «حتى لا يبقى منه شيء» لكن هل هذا يطرد في جميع الناس؟ كل من نقص إيمانه كفر؟! هذا مذهب الخوارج؛ مذهب تكفيري وأظنهم يريدون هذا! فقد ينقص إيمانه ويبقى منه شيء؛ يبقى مقدار دينار، مقدار نصف دينار، يبقى أكثر من ذلك، يبقى مقدار درهم، مقدار نصف درهم، مثقال حبة شعير إلى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان وقد لا يبقى منه شيء.

والخلاف أصله بيننا وبين الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة؛ الخوارج يقولون كفر وخرج من الإسلام! ونحن نقول: لا يخرج مهما أذنب مادام لم يقع

في الشرك بالله -تبارك وتعالى-؛ كما قال-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يعني: زنى وسرق وقتل و. . و. . إلى آخره، ولكن يعتقد حرمة هذه الأشياء؛ فهذا ينقص إيمانه حتى لا يبقى معه إلا مثقال ذرة، وقد يحصل لبعض الناس أن يخرج من الإسلام ويرتد؛ قد يحصل لكن ليست قاعدة مضطردة في جميع الناس، وهم كأنهم يريدون قاعدة مضطردة؛ أي: أنّ كل من نقص إيمانه خرج من الإيمان! يعني: خبث، وهذا مذهب الخوارج!!

الشاهد: إن هذا المذهب الخبيث أنشئ لحرب أهل السنة وإسقاط علمائهم وتشويه منهجهم ومخالفته في كثير من القضايا:

يقولون: أئمة الجرح والتعديل ليسوا أهلًا للتبديع؛ لأنه لا يبدِّع إلا العلماء «المحيطون بالشريعة!»؛ طيب! هم الآن يبدِّعون؛ فهذا يعني أنهم يرون أنفسهم أكبر من أحمد بن حنبل والبخاري والثوري والأوزاعي وأئمة الإسلام من أئمة الجرح والتعديل؛ لأنهم هم يبدِّعون ويكفرون، ويرون أنّ أئمة الإسلام وأئمة الجرح والتعديل ليسوا أكفاء ولم يبلغوا المنزلة التي تخوِّل لهم أن يبدِّعوا الناس!!

فأيّ إهانة لأهل الحديث وأئمة الجرح والتعديل مثل هذه الإهانة؟! لا أخطر من هذا المنهج ولا أخبث منه! فافهموا هذا بارك الله فيكم.

والآن ينتشر هذا المذهب في الخفاء وفي الظلام؛ ينشرونه بخبث وبكذب وبافتراء على أهل العلم.

أنا أحارب الإرجاء منذ نشأت في العلم إلى أن ألقى الله ﷻ -إن شاء الله-.

انظروا كتبي وأشرطتي لا يمر درس -والله أعلم- إلا وأحارب فيه المرجئة ثم يقولون: ربيع مرجئ! الكذابون، هم أخس من المرجئة بمئات المرات وفيهم روافض وباطنية؛ لا أستبعد أبدًا؛ لأن الذي عنده شيء من السنة لا يتقحم هذه الجرائم؛ يقول لك: أنت تسب الله!، أنت تسب الرسول! أنت تقول: الرسول

تنازل عن رسالته! كله كذب وفجور لا نظير له، ما رأينا هذا في مذهب الخوارج ولا في مذهب الروافض!!

* * *

«وأخبرنا أبو عمرو الحيريّ، حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن إدريس سمعت الحميديّ يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد! تقول: ينقص؟! فقال: اسكت يا صبيّ بل ينقص حتى لايبقى منه شيء.

وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعيّ ومالكًا وسعيد بن عبد العزيز يُنكِرون على من يقول: إقرار بلا عمل. ويقولون: لا إيمان إلا بعمل.

قلت: فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانًا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص».

الشرح:

قال المصنف: «وأخبرنا أبو عمرو الحيريّ، حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن إدريس سمعت الحميديّ يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

قبلها سئل فقال: الإيمان قول وعمل فقط، وهنا قال: الإيمان يزيد وينقص وسكت فهو مرجئ عند الحدادية! ولو قال مرة أخرى: لا يبقى منه شيء فهو مرجئ! لماذا؟ لأني أنا قلت: حتى لا يبقى منه شيء، قالوا: أنت مرجئ! فسفيان على مذهبهم مرجئ ولو قال: حتى لا يبقى منه شيء!! نعوذ باللَّه من ضلال لا يُعرف مثله!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، تقول: ينقص؟! فقال: اسكت يا صبيّ، بل ينقص حتى لايبقى منه شيء» اضطره أخوه لأن يقول

هذا الكلام!

قل أنت: قد ينقص حتى لا يبقى منه شيء، لكن هل لا بدّ أن يقول الإنسان هذا وإلا فهو مبتدع؟! هذا والله يبدّع الصحابة ويمكن يبدِّع الرسول! إجرام وتخريب وتدمير!!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعيّ ومالكًا وسعيد بن عبد العزيز يُنكِرون على من يقول: إقرار بلا عمل. ويقولون لا إيمان إلا بعمل.» نعم، لا إيمان إلا بعمل، وما ذكروا لا زيادة ولا نقصًا! فهم مبتدعة مرجئة «عند الحدادية»! نسأل الله العافية من الخبث، لا أخطر من هذا المنهج على الإسلام وعلى المنهج السلفي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلت: فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانًا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص» هذا مذهب أهل السنة الذي خالفوا به مذهب الخوارج والمرجئة، ولم يقل: لا يبقى من إيمانه شيء، فهو مرجئ عند الحدادية!!

* * *

«وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه الجلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطيّ يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد، إنكم تُبغِضُون هؤلاء القوم جهلًا، وأنا أبغضهم عن معرفة. أولًا: إنهم لا يرون للسلطان طاعة. والثاني: إنه ليس للإيمان عندهم قدرٌ، والله لا أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل.

وسمعتُ الحاكم يقول: سمعتُ أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول:

سمعتُ أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ يقول: قَدِمَ ابن المبارك الريّ فقام إليه رجلٌ من العُبَّاد- الظنّ أنه يذهب مذهب الخوارج- فقال له: يا أبا عبد الرحمن، ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أُخْرِجُه من الإيمان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، على كِبَر السِّنِّ صِرتَ مرجئًا؟ قال: لا تقبلنا المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو عَلمتُ أني قُبِلتْ منّي حسنة لشهدتُ أني في الجنة.

ثم ذكر عن ابن شوذب عن محمد بن جُحادة عن سلمة بن كهيلٍ، عن هزيلٍ بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو وُزِن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح.

سمعت أبا بكر محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى ابن منصور القاضي يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أنَّ دين أحمد بن حرب الذي يدين اللَّه به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».

الشرح:

قال ﷺ: «وسمعت الحاكم أبا عبد اللَّه الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه الجلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد اللَّه بن طاهر: يا أحمد، إنكم تُبغِضُون هؤلاء القوم جهلًا» يعني: ما عرفتم حقيقتهم كما عرفتهم أنا «وأنا أبغضهم عن معرفة؛ أولًا: إنهم لا يرون للسلطان طاعة»؛ لأنّ أهل البدع كلهم فيهم نزعة الخوارج[1]؛ نزعة الخروج على السلطان، عندهم

(١) قال سلام بن أبي مطيع: «وكان أيوب- يعني السختياني- يُسمِّي أهلَ الأهواء كلَّهم خوارج، ويقول: إنَّ الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السَّيف» انظر: كتاب الشريعة للآجرّي، الأثر رقم (٢٠٥٧).

هذه النزعة الخبيثة، لا تجد نقيًا في هذا الباب إلا أهل السنة الخُلّص «والثاني: إنه ليس للإيمان عندهم قدرٌ، واللَّه لا أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى» وهو من أئمة الإسلام والحديث ومن تلاميذ مالك فهو معروف «ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل!» بل يقولون: إيمان أفجر الناس مثل إيمان جبريل وميكائيل وأبي بكر بل ومحمد -عليه الصلاة والسلام-!! فهؤلاء فعلًا ليس للإيمان -عندهم- قدرٌ، لو كان للإيمان عندهم قدرٌ ما قالوا هذا الكلام: أن إيمان أفجر الناس مثل إيمان جبريل ومحمد -عليه الصلاة والسلام-؛ هؤلاء ما فقهوا دين اللَّه، وما عرفوا كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، كيف يكون إيمان أفجر الناس مثل إيمان جبريل وميكائيل ومحمد وإبراهيم؟!

المرجئة عندهم الإيمان شيء واحد لا يتجزأ؛ لا يقبل زيادة ولا يقبل نقصًا! وهذا هو الضلال البعيد والعياذ باللَّه، دلّ الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد وأنه ينقص وأنه ينقص وينقص حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة ونزيد فنقول: وقد لا يبقى منه شيء، لكن هذا ليس بلازم، وإلا لو ألزمنا به الناس نكون قد حكمنا على الأمة الإسلامية كلها بأنها مرجئة وعلى رأسهم الصحابة وأئمة التابعين!! نسأل اللَّه العافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح ابن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ يقول: قَدِم ابن المبارك الريَّ فقام إليه رجل من العبّاد» عبّاد الخوارج «-الظنّ أنه يذهب مذهب الخوارج- فقال له: يا أبا عبد الرحمن! ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أُخرِجُه من الإيمان» عرف مغزاه لأنه ذكي؛ ابن المبارك إمام بلغ من الفضل والمكانة الأمر الذي قد لا يلحقه فيه أحد في عصره ومن بعد عصره، كان يجاهد سنة ويحج سنة؛ يجاهد

ويغزو وينفق على أهل الحديث وعبادة وعلم ورحلات في طلب العلم؛ يقولون: إنه حاز درجات من الكمال رَحِمَهُ اللَّهُ.

انظروا، ماذا سيقول: «يا أبا عبدالرحمن، ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا أخرجه من الإيمان» فهم من السائل أنه من الخوارج وأنه يكفر بالذنوب وأنه يخرج مرتكب الكبيرة من الإيمان فقال: «لا أخرجه من الإيمان» فطن له «فقال: يا أبا عبدالرحمن، على كِبَر السِّنِّ صِرتَ مرجئًا؟!» الخوارج عندهم أهل السنة مرجئة؛ فابن المبارك وأمثاله عندهم مرجئة! لماذا؟ لأنهم لا يكفرون مرتكب الذنوب ولا يخرجونه من الإسلام، فلذلك هم- عندهم- مرجئة!

طبعًا أهل البدع والضلال يرمون أهل السنة بالإرجاء ويرمونهم بالتجسيم ويرمونهم بالجهل ويرمونهم بطعون وطعون؛ فأهل البدع لا يسكتون عن أهل السنة؛ بل يطعنون فيهم كما هو حال الخوارج الجُدُد «الحدادية»، بل هم- الآن- من أشد الناس طعنًا في أهل السنة، ومن أشدهم حربًا على أهل السنة؛ حيث إن علماء مكة وعلماء المدينة وعلماء اليمن وعلماء العالم الإسلامي كلهم- الآن عندهم- مرجئة ومبتدعة! ولا يعترفون إلا بشخص واحد- تقريبًا- وهو الشيخ صالح الفوزان فقط؛ ليندسوا من ورائه وليطعنوا في أهل السنة جميعًا!! وهم واللَّه بدءوا بالشيخ صالح الفوزان- وربِّ السماء- وأدين اللَّه بأنهم يبغضونه ويحتقرونه!!

فعلماء السنة كلهم- الآن- عند هؤلاء المبتدعة مرجئة، ومن يكونون هم؟ ما ندري! لهم ثلاثة رءوس أو أربعة بارزين فقط، وهم من أضل خلق اللَّه وأكثرهم خيانة وفجورًا! فكيف بالمخفيين؟! المخفيون يمكن فيهم باطنية وروافض واللَّه أعلم! فما أبقوا لأهل السنة شيئًا، هذا حالهم الآن؛ حرب أهل السنة!

«قال: يا أبا عبد الرحمن على كِبَر السِّنِّ صِرتَ مرجئًا؟!» لماذا؟ لأنه لم

يكفر السارق والزاني وشارب الخمر «فقال: لا تقبلنا المرجئة!» تقول أني مرجئ! هم لا يقبلونني؛ لأني أخالفهم.

ابن المبارك عنده الإيمان: قول وعمل. ولا يقول بالنقص؛ يقول بالتفاضل ولم يعتب عليه أحمد بل دافع عنه! كان يتهرب من قضية النقص ويقول: أقول: الإيمان يتفاضل، ومع هذا لم يطعن فيه علماء السنة ولا الإمام أحمد إمام أهل السنة طعن فيه[1].

وهنا ماذا قال؟ «قال: المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة» يعني: المرجئة يقولون هذا القول: حسناتنا مقبولة؛ لأنه لا يضر- عندهم- مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة؛ فحسناتهم- إذن - مقبولة، وسيئاتهم مغفورة! قال: «ولو علمتُ أني قُبِلَتْ مني حسنة لشهدتُ أني في الجنة» هذا الرجل له حسنات لا أول لها ولا آخر؛ إذ كان كثير الإحسان، كثير البرّ، عالمًا، داعيةً، مجاهدًا؛ له شأن عظيم، ومع هذا انظر كيف يحتقر نفسه ويسيء الظن بنفسه رَحِمَهُ اللَّهُ ويقول: «ولو علمتُ أني قُبِلَتْ مني حسنة لشهدتُ أني في الجنة»؟! لأنه عند أهل السنة لا يجوز أن تشهد لنفسك بالجنة، نعم ترجو اللّٰه ويكون عندك رجاء في أن يدخلك الجنة! أما أن تجزم لنفسك أو لغيرك بأنه في الجنة فلا، إلا من شهد له رسول اللّٰه -عليه الصلاة والسلام- بالجنة؛ كالعشرة المشهود لهم بالجنة[2]، والجارية التي كانت تُصرَع[3]؛ شهد لها بالجنة، وعبد اللّٰه بن

(١) قال ابن هانئ في مسائله (٢/ ١٢٧): «سمعت أبا عبد اللّٰه سأل ابن أبي رزمة: ما كان أبوك يقول عن عبد اللّٰه بن المبارك في الإيمان؟ قال: كان يقول: الإيمان يتفاضل.
قال أبو عبد اللّٰه: «يا عجباه، إن قال لكم يزيد وينقص رجمتموه، وإن قال يتفاضل تركتموه، وهل شيء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان». وانظر مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٦-٥٠٧).

(٢) إشارة إلى ما رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٩٣) والترمذي في المناقب حديث (٣٧٤٧)، ورواه الترمذي من طريق عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، وقال: هذا أصح من الأول، ونقل عن البخاري أنه أصح من الحديث الأول، وصحّح الألباني الحديثين. انظر «صحيح الجامع» رقم (٥٠).

(٣) أخرجه البخاري [برقم ٥٦٥٢، كتاب المرضى] ومسلم [برقم ٢٥٧٦، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث ابن عباس.

سلام[١]، وثابت بن قيس بن شماس[٢]، فهؤلاء النفر شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة فنشهد لهم بالجنة، ومن سكت عنهم نرجو للمحسنين منهم ونخاف عليهم في نفس الوقت، ونخاف على المسيئين ونرجو لهم، لا نيأس من رحمة الله، لكن الجزم أن فلانًا في النار أو فلانًا في الجنة هذا لا، إلا من حكم الله عليه مثل فرعون وأبو جهل واليهود الذين ماتوا على اليهودية والنصارى الذين ماتوا على النصرانية؛ فهؤلاء كفار في النار.

أما المسلمون فلا نجزم لشخص معيّن بالجنة ولا نجزم له بالنار، ونرجو للمحسنين ونخاف على العصاة، ونخاف على الجميع ونخاف على أنفسنا، وهذا ابن المبارك خاف على نفسه فقال: «ولو علمتُ أني قُبِلَتْ مني حسنة لشهدتُ أني في الجنة»، ولكن لا يقطع أنه قبلت منه حسنة معينة فضلًا عن حسناته كلها!! لأن الأمر يحتاج إلى إخلاص، وأنتم تعرفون أن الصحابة كانوا يخافون النفاق على أنفسهم كما يقول ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف على نفسه النفاق». انظروا الخوف من الله ﷻ! انظروا مراقبة الله ﷻ!

فالإنسان لا يركب رأسه ويغتر ويقول: أنا عندي وعملت أعمالًا و.. و.. إلى آخره؛ لو جئت بأعمال كالجبال لا تقطع لنفسك بالجنة ولا تقطع بأن أعمالك مقبولة؛ وإنما ترجو من الله ﷻ؛ ترجو فيه خيرًا، وتخاف في نفس الوقت قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. أي: يعملون ويعملون ويخافون ألَّا تقبل أعمالهم؛ فهم الذين يصلون ويصومون ويزكون؛ ويخافون ألَّا يتقبل منهم؛ كما فسر ذلك رسول الله ﷺ

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري [برقم ٣٨١٢، كتاب مناقب الأنصار] ومسلم [برقم ٢٤٨٣، كتاب فضائل الصحابة ﷺ] من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) إشارة إلى ما أخرجه البخاري [برقم ٤٨٤٦، كتاب التفسير] ومسلم [برقم ١١٩، كتاب الإيمان] من حديث أنس ﷺ

لعائشة رضي الله عنها[1] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. لأنه يخاف ألّا يكون وفّى هذا العمل حقه، يمكن دخل فيه رياء، يمكن أخلّ بشروط، أخلّ بواجبات إلى آخره؛ وهذا الذي يصلي يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله؛ يصلي ويستغفر! ويقول الرسول ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قالوا: ولا أنت يا رسول اللهِ؟! قال: لا، ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»[2] الدخول للجنة ليس بعملك، عملك سبب لكنه ليس ثمنًا للجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]. أي: بسبب عملكم لكنه ليس ثمنًا؛ لأن أعمالك كلها لو ملأت بها الدنيا لا تساوي شكر نعمة واحدة؛ أقل النعم! فأنت تدخل الجنة بفضل اللَّه ورحمته حتى الأنبياء يدخلون الجنة بفضل اللَّه وبرحمته.

انظروا إلى السلف! فقه ابن المبارك رضي الله عنه، فليكن عندنا مثل هذا الفقه.

ثم لا أحد منا يعتقد أن إيمانه كامل؛ كل أعمالنا الإيمانية فيها نقص، من منا بلغ درجة الكمال؟! على طريقة الحدادية كلنا في النار وكلنا كفار؛ لأنه إذا دخل النقص إيماننا؛ ذهب وانتهى! هذا ضلال! إيماننا فيه نقص، فيه ضعف، وكلنا نخطئ، وكلنا نذنب، ونسأل اللَّه أن يغفر لنا وأن يرحمنا ويتغمدنا برحمته وفضله.

قال رحمه الله: «ثم ذكر عن ابن شوذب عن محمد بن جُحادة عن سلمة بن كهيل، عن هزيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وُزِن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح» أبو بكر مشهود له بالجنة، ويمكن أن عمر رضي الله عنه

---

(١) كما روى ذلك الترمذي برقم (٣١٨٥) وابن ماجة برقم (٤١٩٨) واللفظ له: عن عائشة قالت: «قلت: يا رسول اللَّه! ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر. قال: لا يا بنت أبي بكر -أو: يا بنت الصديق-، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يتقبل منه». وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٥٦٧٣)، كتاب المرضى] ومسلم [برقم (٢٨١٦)، كتاب صفة القيامة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سمع هذا من رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، ولا شك أن أبا بكر ﷺ يتلو الأنبياء جميعًا في الفضل؛ فأفضل الناس بعد الأنبياء من الأولين والآخرين المخلصين هو أبو بكر الصدِّيق ﷺ، ولهذا كان يوافق الرسول في كثير من الأشياء؛ في قضية الحديبية وفي غيرها ﷺ.

والإسناد صحيح عن عمر ﷺ، وليس على عمر من حرج أن يقول هذا؛ لأن الرسول ﷺ قد شهد له بالجنة وفضّله وميزه على هذه الأمة.

والصحابة كانت عقيدتهم كلهم: أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد -عليه الصلاة والسلام- أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي اللَّه عنهم أجمعين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت أبا بكر محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين اللَّه به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».
هذه شهادة من هذا الرجل لأخيه بأنه يدين اللَّه بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ وهذا أيضًا مرجئ عند القوم! فنسأل اللَّه العافية.

وحرب الحدادية للإرجاء ليس عن صدق وعن دين وإنما عن فجور؛ لأن مسألة حربهم لأهل السنة كلها قائمة على الكذب والفجور فنعوذ باللَّه من شرهم!

نسأل اللَّه أن يردّ كيدهم في نحورهم وأن يريح أهل السنة من شرورهم وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

لا يُكَفَّر أحدٌ من المسلمين بكلِّ ذنبٍ

«ويعتقد أهل السنة أنّ المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يُكَفَّر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائبٍ منها ومات على التوحيد والإخلاص؛ فإنّ أمره إلى اللَّه ﷻ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا؛ غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذَّبه مدةً بعذاب النار، وإذا عذَّبه لم يخلِّده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار».

الشرح:

المؤلف يحكي مذهب أهل السنة في مرتكب الكبائر إذا مات مُصِرًّا عليها فما هو مصيره؟

عند الخوارج والمعتزلة مصيره إلى النار خالدًا فيها مخلدًا أبدًا؛ لأنه عند الخوارج كافر في الدنيا يباح دمه وماله؛ فإذا سرق أو زنى أو قتل أو شرب الخمر وما شاكل ذلك، فهو عندهم كافر في الدنيا يباح دمه وماله، وفي الآخرة يخلد في النار مع الكافرين ولا تنفعه شفاعة الشافعين!

ويقابلهم المرجئة؛ الغلاة منهم يقولون: من قال لا إله إلا اللَّه لا تمسه النار ولا يدخل النار ومن عرف اللَّه كذلك! وهذا ضلال مبين، يصادم هذا المذهب وذاك ما ورد من النصوص في كتاب اللَّه وفي سنة رسول اللَّه ﷺ.

منها: أن مرتكب الكبيرة يقام عليه الحدّ؛ إن زنى وكان محصنًا يُرجم حدًّا ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، وإن كان غير محصن فإنه يُجلد مائة جلدة، قال تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ

ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النور: ٢]. ولو كان مرتكب الكبيرة مرتدًا؛ لما كان حدّه إلا القتل؛ لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه»[1]؛ وحيث إنه بقي في دائرة الإيمان فإنه يعاقب في الدنيا عقوبات الحدود؛ فمن شَرِب الخمر يُجلد؛ فقد كان في عهد رسول الله ﷺ يُجلد ويحدّ أربعين جلدة، ثم لما أسرف بعض الناس فيه أوصلها عمر ﷺ إلى الثمانين، والسارق تقطع يده حدًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. ولو كان مرتدا لقتل.

الشاهد: أن مرتكب الكبيرة مادام يؤمن بالله وبكتاب الله وبسنة الرسول - عليه الصلاة والسلام- ويصلي ويقيم شعائر الإسلام؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان أو نقول: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، بخلاف الخوارج فإنهم يخرجونه من الإيمان ويطلقون عليه الكفر! والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين! ثم يلتقون في حكم الآخرة: أنه خالد مخلد في النار؛ يجب على الله أن يعاقبه وأن يخلده في النار ولا يقبل فيه شفاعة الشافعين عندهم!

وهذا يصادم النصوص الكثيرة من أحاديث الشفاعة، ومن آيات القرآن التي تدل على الشفاعة للمؤمنين:

فمنها: قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. فهناك إذن؛ يأذن لمن يشفع، فالشفاعة لا تقع إلا بإذنه. يشفع في من؟ يأذن لمن؟ وفيمن يشفع هذا المأذون له؟ يشفع في العاصي، في هؤلاء العصاة.

ومنها: أحاديث الشفاعة، وهي متواترة، وفيها: «إن الله يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان عنده أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان»، أحاديث كثيرة جاءت بعقوبة هؤلاء العصاة وإدخالهم في النار وبالشفاعة فيهم حتى يخرجوا منها.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢١٧) والبخاري [برقم (٣٠١٧)، كتاب الجهاد والسير] من حديث ابن عباس ﷺ.

فأحاديث الشفاعة نفسها حجة على المرجئة؛ خاصة الغلاة منهم الذين يقولون: من قال: لا إله إلا اللَّه يدخل الجنة! أو الذين يقولون: إنه كامل الإيمان! إذا كان كامل الإيمان كيف يعذبه اللَّه ﷻ؟!

والمرجئة أقسام: منهم من يقول: الإيمان مجرد المعرفة! ومنهم من يقول: الإيمان التصديق والنطق باللسان فقط، والعمل لا يدخل في الإيمان! لا صلاة ولا صوم ولا زكاة وعلى هذا إيمانه لا ينقص؛ لو ترك العمل ما نقص إيمانه! فإيمانه كإيمان جبريل وميكائيل! فكيف نصنع بالأحاديث التي تقول: «يخرج اللَّه من النار من كان عنده مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة أو أدنى أدنى من مثقال ذرة» ألا يدل هذا على النقص؟! يدل على النقص النهائي والعياذ باللَّه.

فأهل السنة هم الوسط دائمًا بين فرق الأمة؛ أما هؤلاء فإما إلى الجفاء وإما إلى الغلو، وأهل السنة لا جفاء ولا غلو، ولا إفراط ولا تفريط؛ بل يجمعون بين النصوص؛ فالمرجئة تتعلق بنصوص الوعد، والخوارج والمعتزلة يتعلقون بنصوص الوعيد، وأهل السنة يوفقون بين نصوص الوعد والوعيد، فأولئك يصدق عليهم قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. فما من صاحب بدعة إلا وتجده يتتبع المتشابهات ويعرض عن المحكمات، وأهل السنة يأخذون بالمحكمات ويُرجعون المتشابهات إلى المحكمات بالتوفيق بينها؛ بتخصيص العام، وتقييد المطلق، والناسخ والمنسوخ عندهم و.. إلى آخره، لكن الناسخ والمنسوخ لا يدخل في الأخبار.

الشاهد: أنهم لا يضربون النصوص بعضها ببعض كما يفعل هؤلاء وهؤلاء؛ المرجئة يتعلقون بنصوص الوعد ويتغافلون عن نصوص الوعيد التي جاءت في حق أهل الكبائر؛ فاللَّه ﷻ توعّد آكل مال اليتيم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وورد الوعيد لآكل الربا وللزاني وللسارق ولشارب الخمر، والعقوبات في الدنيا على هذه المعاصي، ومع ذلك عند هؤلاء المرجئة لا ينقص إيمانه، وعند غلاتهم يدخل الجنة ولا يدخل النار ولا تمسه!

والخوارج والمعتزلة على النقيض من ذلك؛ فلو ارتكب كبيرة واحدة ولم يتب منها فإنه إلى النار خالدًا مخلدًا فيها، نسأل اللَّه العافية!

وأهل السنة بخلاف هؤلاء وأولئك؛ عندهم العاصي تحت مشيئة اللَّه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ماعدا ذلك، يعني: ماعدا الشرك يغفره اللَّه -تبارك وتعالى-، هذا وعد من اللَّه -تبارك وتعالى-؛ فمرتكب الكبيرة له عند اللَّه وعد أن يغفر له ذنبه قبل العذاب أو بعده، وذلك راجع إلى مشيئة اللَّه؛ إن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار، وإن شاء عفا عنه رأسًا بفضله ورحمته وكرمه ﷻ.

وكثير وكثير من أهل الكبائر يدخلون النار؛ يدخل النار أقوامٌ ثم يشفع فيهم الشفعاء فيخرجون فوجًا فوجًا، يخرجون أفواجًا حتى تنفذ الشفاعات كلها، فيقول اللَّه ﷻ: **«شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النبيونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النَّارِ فَيُخْرِجُ منها قَوْمًا لم يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»**(١) كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يُكَفَّر بها» ولا يخرج بها من الإيمان؛ خلافًا للخوارج؛ فإنه يُكفَّر بها عندهم، وخلافًا للمعتزلة -أيضًا-؛ فإنهم وإن لم يكفِّروا بها إلا أنهم يخرجون بها صاحبها من الإيمان ويجعلونه في منزلة بين

(١) سبق تخريجه في (ص١٥٧).

المنزلتين! وعند أهل السنة لا يُكفَّر بها إلا إذا ارتكب مكفرًا من الذنوب مثل: سبّ الله وسبّ الرسول، أو أهان المصحف، أو سجد لغير الله وما شاكل ذلك من المكفرات، فإذا فعل واحدًا من هذه المكفرات خرج من دائرة الإيمان فهو كافر، وأما بالمعصية فلا يكفر ولا يخرج من دائرة الإسلام، والنصوص متواترة متضافرة في هذا الموضوع.

قال: «وإن خرج من الدنيا غير تائبٍ منها» يعني: مات مصرًّا عليها؛ وهذا أمر مذموم لا شك؛ لأن المطلوب من المؤمن أن يستقيم على دين الله -تبارك وتعالى- وأن يطيع الله وأن يطيع الرسول ﷺ وأن يجتنب المعاصي كبيرها وصغيرها، بل إذا استقام لا يركن إلى عمله، وإنما يطمع في رحمة الله ﷻ ويخاف عذابه ﷻ.

المؤمن الصادق القوي الإيمان يعمل الأعمال الصالحة وهو يرتجف خوفًا من الله ألّا يقبلها؛ لأنه قد يكون أخل بشيء مما شرعه الله من الشروط أو الواجبات: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. يقول: لَعَلِّي لم أخلص في هذا العمل، لعلي قصرت، ولعلي...، ولهذا شُرع الاستغفار بعد كل مكتوبة وبعد كل عمل؛ فتفرغ من الصلاة؛ كل صلاة فتستغفر الله -تبارك وتعالى-، وتفرغ من الحج فتستغفر الله وتذكر الله كثيرًا، ومن الصيام كذلك، ومن الأعمال الصالحة، هذا حال المؤمن الصادق كامل الإيمان. والعاصي لا شك؛ عنده نقص في إيمانه ونقص في حيائه من الله -تبارك وتعالى- ونقص في شكرانه لنعمة الله ﷻ؛ يتفاوت هذا النقص بقدر ما يرتكبونه من الذنوب والعياذ بالله.

فينبغي للمؤمن أن يستحي من الله -تبارك وتعالى-، وأن يخاف عقابه ﷻ، ودخوله النار ليس بالسهل، الآن في الدنيا لو هُدِدت بالسجن لارتعدت من الخوف ولسهرت ليالي خوفًا من السجن، كيف بالسجن في النار والعياذ بالله؟!

ويتفاوتون في دخولها؛ منهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى منتصف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذ جسمه كله إلا مواطن السجود تبقى له إن كان يصلي، وإذا لم يكن يصلي يمكن جسمه كله في النار وكم يبقى؟ اللَّه أعلم.

إذا كان تارك الزكاة يبطح بقاع قرقر في يوم مقداره خمسين ألف سنة، فكيف بتارك الصلاة؟! قد يبقى خمسين ألف سنة في النار أو أكثر، هل عندك استعداد تعيش في النار لحظة؟!

فليس معنى هذا التقرير أننا نجرِّئ الناس على معاصي اللَّه ﷻ، إنما نردّ على الخوارج وفي نفس الوقت نرد على المرجئة ونبيِّن حكم اللَّه في هذه القضايا، لكن يبقى عامل الخوف من اللَّه والحياء منه قائم في نفس المؤمن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص» يعني: بهذا الشرط؛ فقد يموت على سوء الخاتمة والعياذ باللَّه، وكثير من الناس يموتون على سوء الخاتمة قال ﷺ: **«فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وان أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»**[1]، فلا تغتر بالعمل واسأل اللَّه حسن الخاتمة واسأل اللَّه الثبات: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»، فدائمًا المسلم يخاف ويرجو؛ يخاف عقاب اللَّه وغضبه ويرجو عفوه ورحمته ﷻ.

وسوء الخاتمة له أسباب والعياذ باللَّه؛ فقد يكون مرائيًا في هذه الدنيا، وقد يكون مرابيًا، وقد. . وقد. . إلخ، ومن سنة اللَّه في خلقه أن العبد يموت على ما

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٥٩٤)، كتاب القدر] ومسلم [برقم (٢٦٤٣)، كتاب القدر] واللفظ له من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

عاش عليه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. والإنسان لا يستطيع أن يحافظ على إسلامه ويضمن نفسه، ولكن من رحمة اللَّه ﷻ وكرمه إذا استقام على أمر اللَّه؛ فإن اللَّه يوفقه حتى يموت مسلمًا، وإذا ارتكب من موجبات سوء الخاتمة مثل الرياء أو غيره والعياذ باللَّه فقد يموت كافرًا!

وهذا المُصر على المعاصي قد يكون عنده شيء من العناد؛ فيعاقبه اللَّه بسوء الخاتمة، فلا ينبغي للمسلم أن يصر على ذنب حتى يموت، ليس له إطلاقا إذا ارتكب ذنبا إلا أن يبادر بالتوبة إلى اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. واللَّه -تبارك وتعالى- قد حثّ المؤمنين إلى المسارعة إلى مغفرته فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سارع إلى مغفرة من اللَّه ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

فعلامة المؤمن الصادق الذي وعده اللَّه بالجنة أنه إذا وقع في ذنب أنه لا يصر على الذنب، ومن علامة الشقاء والعياذ باللَّه الإصرار على الذنوب والتمادي فيها!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنّ أمره إلى اللَّه ﷻ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا؛ غير مبتلى بالنار، ولا معاقَبٍ على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذّبه مدةً بعذاب النار» يعني: هذا المصر على الذنب عند أهل السنة تحت مشيئة اللَّه ﷻ، لكن أنت يا أخي! تضمن لنفسك أن تدخل الجنة؟! حتى لو عملت الأعمال الصالحة يجب أن تعتقد أنك لن تدخل الجنة بعملك كما في الحديث:

«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّهِ؟! قال: لا، ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»(١) فكيف بالعاصي؟!

وكيف لا يستحق دخول الجنة من يعمل ويجتهد ويعمل ويعمل بمجرد هذا العمل واللَّه ﷻ يقول: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؟!

الجواب: لأن العمل لا يكون ثمنًا لدخول الجنة أبدًا؛ ولا لورقة من الجنة، وإنما تدخل الجنة بتفضل من اللَّه ﷻ؛ يتفضل به عليك «إلا برحمة من اللَّه وفضل»؛ فهذا العمل سبب وليس ثمنًا، وفرق بين السبب وبين الثمن، فقوله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]. يعني: بسبب أعمالكم، وحديث «لن يدخل الجنة أحد بعمله» أي: لا تكون الجنة ثمنًا لهذا العمل، فشبر من الجنة خير من الدنيا وما عليها كما في الحديث: «وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ من الْجَنَّةِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما عليها»(٢)، فعندما تدخل جنة عرضها السموات والأرض؛ فهل يكون هذا مقابل عملك؟! هذا من فضله ﷻ وجوده.

وقد يتفضل اللَّه على العاصي بالمغفرة، فرحمته وسعت كل شيء ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا عذَّبه لم يخلِّده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»؛ كان على المصنف أن يأتي بشيء من التخويف والترهيب؛ لأن الجهال عندما يسمعون هذا الكلام يغترون ولا يقومون بعمل!!

فالمؤمن يجب عليه أن يحذر! لا يجوز أن نتجرأ على اللَّه ﷻ حتى

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٣) والبخاري [برقم (٢٨٩٢)، كتاب الجهاد والسير] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

الصغائر؛ يا أخي: استحي من الله ﷻ!

* * *

«وكان شيخنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: المؤمن المُذنب وإن عُذِّبَ بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار.

ومعنى ذلك أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار، ويلقى فيها منكوسًا في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلي في النار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاءٍ وتنكيسٍ. ومعنى قوله «لا يُلقى في النار إلقاء الكفار» أن الكافر يُحرَق بدنُه كلُّه، وكلما نَضِجَ جلده بُدِّل جلدًا غيره، ليذوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم، إذ حرَّم الله على النار أعضاء سجوده.

ومعنى قوله: «لا يبقى في النار بقاء الكفار» أنّ الكافر يُخَلَّد فيها ولا يخرج منها أبدًا، ولا يُخَلِّد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدًا. ومعنى قوله: «لا يشقى بالنار شقاء الكفار» أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله، ولا يرجون راحة بحال، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة، لأنهم خُلِقوا لها وخُلِقَت لهم فضلًا من الله ومِنَّة».

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان شيخنا الإمام أبو الطيّب سهل بن محمد الصعلوكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: المؤمن المذنب وإن عُذِّب بالنار فإنه لا يُلقَى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار» هوكذلك؛ الكافر

يختلف عذابه عن عذاب المؤمن، فيومئذ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]؛ فالكافر يؤخذ بناصيته وأقدامه ويقذف في النار، والعاصي لا أدري كيف يدخل؟

لكن يختلف في الإلقاء عن الكافر، ثم هو لا يبقى في النار بقاء الكفار؛ فلا يخلد فيها، والكافر يخلد فيها؛ فالمؤمن- ولو كان عاصيًا مسرفًا على نفسه- لا يخلد في النار، فنعوذ بالله من النار.

والمؤمنون الكاملو الإيمان لا يرون النار ولا يسمعون حسيسها، وفي الجنة هم خالدون، نسأل الله ألَّا يرينا إياها ولا يسمعنا إياها.

قال بعد ذلك- وهو يشرح هذه العبارات التي قالها شيخه أبو الطيب -: «ومعنى ذلك أن الكافر يُسحَب على وجهه إلى النار، ويُلقى فيها منكوسًا في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال»، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]. أي: يسحبون سحبًا ويلقون إلقاءً، ويعذَّبون أصناف العذاب بالمقارع والأغلال والأنكال و. .إلى آخره ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣]. وفي السلاسل يسحبون ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٧]. يعني: الكفار؛ فعذاب شديد والعياذ بالله؛ خالدون مخلدون فيها أبدًا، نسأل الله العافية، قال المصنف: «والمؤمن المذنب إذا ابتليَ في النار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرِّجْل من غير إلقاء وتنكيس».

ومعنى «لا يُلقى في النار إلقاء الكفار» أن الكافر يقذف في النار ويحرق بدنه كله كلما نضِج جلده بُدِّل جلدًا غيره ليذوق العذاب كما بينه الله في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟

ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦]. وقال ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]. والعياذ بالله.

الشاهد: أن عذاب الكافر يختلف عن عذاب المؤمن، لكن من يطيق عذاب الله ﷻ؟!

«إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يوم الْقِيَامَةِ رَجُلٌ على أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[1]، هذا أبو طالب يرى أنه أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ وهو أخف أهل النار عذابًا! أبو طالب وإن خُفِّف عنه فإنه لا يخرج منها؛ لأن الرسول ﷺ يجده في أعماق النار فيشفع فيه فيخرج إلى ضحضاح من نار، والروايات تختلف: «**يُلبس نعلين أو شراكين من نار يغلي منهما دماغه**» لكن يبقى خالدًا فيها.

قال: «ومعنى لا يبقى فيها بقاء الكفار أن الكافر يُخلَّد فيها ولا يخرج منها أبدًا»: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]. وفي آيات قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. لا يخرجون منها أبدًا -والعياذ بالله-.

قال: «ولا يخلِّد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدًا، ومعنى قوله: ولا يشقى فيها شقاء الكفار؛ أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بال أبدًا» يعني: ييأسون، قال تعالى ﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾. ويتمنون الموت فيها: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. «وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم في رحمة الله في كل حال» حتى يمنّ الله عليهم بفضله؛ إما

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٥٦١)، كتاب الرقاق] ومسلم [برقم (٢١٣)، كتاب الإيمان] من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه.

بالشفاعة؛ شفاعة الشافعين، ومنها: شفاعة الرسول ﷺ أو غيره من النبيين أوشفاعة المؤمنين أو شفاعة الملائكة، وإما بمحض فضله ﷻ. قال: «وعاقبة المؤمنين كلّهم الجنة لأنهم خُلِقوا لها وخُلِقت لهم فضلًا من اللَّه ومِنَّة» الحق أن الجنة أعدها اللَّه للمتقين في آيات كثيرة، والعصاة يدخلونها بفضل رحمته ولهم نصيب فيها لكن بعد العذاب.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يثبتنا على دينه وأن يجنبنا أسباب سخطه إنه سميع الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

حكم تارك الصلاة عمدًا

«واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدًا، فكفَّره بذلك أحمد ابن حنبل وجماعةٌ من علماء السلف، وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح المرويِّ عن النبي ﷺ أنه قال: «بين العبد والشِّرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر».

وذهب الشافعيّ وأصحابه وجماعة من علماء السلف- رحمة اللَّه عليهم أجمعين- إلى أنه لا يكفر به ما دام معتقدًا لوجوبها، وإنما يستوجب القتلَ كما يستوجبه المرتد عن الإسلام، وتأوّلوا الخبر: مَنْ تَرَكَ الصلاة جاحدًا كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: «إني تركت ملة قوم لا يؤمنون باللَّه وهم بالآخرة هم كافرون» ولم يك تلبَّس بكفرٍ فارقه، ولكن تركه جاحدًا له».

الشرح:

الإمام الصابوني هنا يبين عقيدة أهل السنة ومذهبهم في تارك الصلاة عمدًا، وذكر الاختلاف في ذلك، وقبل أن ندخل في موضوع الخلاف في هذا الشأن نذكر أهمية الصلاة وأهمية الزكاة، وأن اللَّه -تبارك وتعالى- ذكرهما في كثير من الآيات وقرن بينهما في كثير من الآيات؛ قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. هذه يقولها عن أهل الكتاب، وقال عن إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم ٥٥]. فالصلاة والزكاة مشروعة في الرسالات السابقة، وهي بعد الشهادتين أعظم أركان الإيمان؛ فبعد الشهادتين الصلاة وتليها الزكاة ثم صيام رمضان ثم حج البيت.

وهذه الأركان الأربعة عظيمة جدًّا ولكن أهمها الصلاة ثم الزكاة؛ ولهذا يقاتل عليهما، ويُقتل تارك الصلاة؛ لأن الصلاة عمود الإسلام كما في حديث معاذ؛ فالصلاة أمر مهم جدًّا وإن اختلف العلماء في حكم تاركها عمدًا من غير جحود؛ فإنه يُخشى عليه أن يكفر- والعياذ بالله! -؛ فكيف يستخف بهذا الركن العظيم الذي هو عمود الإسلام؟

ومن هنا يُقاتل ويُقتَل، ومانع الزكاة إذا منعها يُقاتل، كما قاتل أبو بكر الصديق ﷺ مانعي الزكاة وقال: «والله لأُقَاتِلَنَّ من فَرَّقَ بين الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فإن الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ. والله لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رسول اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهَا»[1].

فالصلاة شأنها عظيم؛ تقرأ من أول كتاب الله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ هذه الزكاة، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لم يقل: يصلون! بل قال: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يصلونها على الوجه المشروع؛ يستوفون أركانها وشروطها ولا يتركون منها شيئًا، ويخشعون فيها ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤].

فكم ذكر الله هذين الركنين في القرآن الكريم؟! لأن الدين لا يقوم إلا بهما، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ

(١) البخاري [برقم (٦٩٢٥)، كتاب استتابة المرتدين] كتاب ومسلم [برقم (٢٠)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة ﷺ.

رَمَضَانَ»[١] وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل المشهور أن جبريل عليه السلام قال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: **الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**، قال: صدقت؛ فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**. فقال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل**، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: **أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**، قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال: **يا عمر أتدري من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[٢]، فسمى هذه الأمور دينًا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولهذا اختلفوا في تكفير تارك الصلاة وتارك الزكاة أيضًا كما سيأتي لمحة عن هذا إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله: **«واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمِّدًا»** أقول: إذا كان معذورًا بنسيان أو نوم؛ فليصلها إذا ذكرها كما في حديث النبي ﷺ: **«من نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لها إلا ذلك»**[٣] وفي رواية **«فَمَنْ نَامَ عن صَلاةٍ فَلْيُصَلِّهَا إذا اسْتَيْقَظَ وَمَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا»**[٤]، فهذا

---

(١) البخاري [برقم (٨)، كتاب الإيمان] ومسلم [برقم (١٦)، كتاب الإيمان] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
(٢) أخرجه مسلم [برقم (٨)، كتاب الإيمان].
(٣) أخرجه البخاري [برقم (٥٩٧)، كتاب مواقيت الصلاة] ومسلم [برقم (٦٨٤)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. واللفظ لمسلم.
(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/١٠٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» حديث رقم (٣٩٦).

لا يأثم؛ لأنه «ليس في النوم تفريط»[(١)] فإذا غلبه النوم وهو حريص على أن يصليها في وقتها ويصليها في الجماعة، لكن غلبه النوم فلم يصلها حتى خرج وقتها فهو معذور. وكذلك المسافر يؤخِّرها لوقت الصلاة الثانية معذور، لكن مقيم وليس له عذر يتركها متعمِّدًا؛ فهذا يكفِّره كثير من السلف، بل روى عبد اللَّه بن شقيق أن الصحابة ما كانوا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة! لعظم شأنها.

فتارك صلاة الفرض عمدًا اختلف فيه أهل الحديث كما قال المصنف: «فكفَّرَه بذلك أحمد بن حنبل وجماعةٌ من علماء السلف» بل الصحابة أو جمهور الصحابة- كما يفيده كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- كفروا تارك الصلاة عمدًا، وليس أحمد بن حنبل فقط وجماعة، لكن كلمة «جماعة» يمكن أن تشمل عند المصنف: جمهور الصحابة وجمهور السلف وجمهور أهل الحديث «وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح المرويّ عن النبي ﷺ أنه قال: «بين العبد والشِّرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر» يعني: هي كجدار بين العبد والكفر، فإذا ترك الصلاة دخل في الكفر، فهم أخذوا بهذا الحديث، ولهم أدلة أخرى من القرآن ومن السنة في تكفير تارك الصلاة، ومن ذلك قول اللَّه -تبارك وتعالى- في الكفار: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾. يعني من الكفر ودخلوا في الإسلام ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] فلا تحصل هذه الأخوة في الدين إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولهم أدلة كثيرة في هذا الباب.

وخالفهم آخرون في تارك الصلاة عمدًا كما ذكر المصنف، ومنهم الشافعي ومالك والزهري وعدد من علماء الإسلام؛ فقالوا في تارك الصلاة، بل في تارك الصلاة وغيرها: لا يكفر بتركها إلا إذا جحد وجوبها.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من ترك شيئًا من الأركان الأربعة جحدًا لها، وكذلك لو أنكر شيئًا من المحرمات كالخمر ولحم الخنزير وإتيان الفواحش

(١) أخرجه مسلم [برقم (٦٨١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] وأصحاب السنن من حديث أبي قتادة ﷺ.

كالزنا وغير ذلك من الكبائر المعروفة من الدين بالضرورة- بعد بلوغ الحجة وقيامها عليه -؛ فهو كافر بالإجماع؛ فمن ترك الصلاة جاحدًا لها أو الزكاة جاحدًا لها أو الحج جاحدًا له أو الصوم جاحدًا له فهو كافر بالإجماع، ويبقى الكلام فيمن ترك ركنًا من هذه الأركان تكاسلًا وتهاونًا؛ فهذا اختلفوا فيه.

فذهب طائفة من السلف ومنهم أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية إلى: أن تارك هذه الأركان- الصلاة وغيرها-؛ تارك أيّ واحد من هذه الأركان ولو تكاسلًا كافر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يكفر بترك شيء من هذه الأركان إلا إذا جحد، أما إذا تركها بغير جحود فهو ليس بكافر عندهم، ومنهم الشافعي وأكثر أصحابه وكثير من المالكية وكثير من الأحناف وكثير من الحنابلة؛ بأنه لا يكفر بترك واحد من هذه الأركان إلاّ إذا جحد، أما من غير جحود لها ويعترف بالوجوب فليس بكافر.

وهناك قول آخر وهو أنه لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة، وقول آخر رابع: أنه لا يكفر إلا إذا قاتل عن الصلاة والزكاة.

فهذه أقوال العلماء؛ علماء أهل السنة وكلهم مجتهدون وكلهم ينزع بأدلة من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

ويجيب من يقول بعدم كفر تارك الصلاة تكاسلًا عن هذا الحديث: «بين العبد والشرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر»[1] أو «أشرك» بمثل قول

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٠٨٠) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٩٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨٨).
وأخرج أحمد (٣/ ٣٧٠، ٣٨٩) ومسلم [برقم (٨٢)، كتاب الإيمان] والترمذي (٢٦٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ بين الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ» وهذا لفظ مسلم، وعند أحمد والترمذي «الشرك أو الكفر».

النبي -عليه الصلاة والسلام-: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1]، وفي رواية: «فقد كفر وأشرك»[2]؛ وقالوا هذا مثل هذا، وبحديث: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حين يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ ولا يَسْرِقُ حين يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ ولا يَشْرَبُ حين يَشْرَبُهَا وهو مُؤْمِنٌ وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»[3]؛ وقالوا: هذا نفى عنه الإيمان لكنه لا يخرج من دائرة الإيمان باتفاق الجميع إلا إذا جحد التحريم؛ فكذلك تارك الصلاة لا يخرج من الإيمان إلى الكفر إلا إذا جحد الوجوب، واحتجوا بأدلة من هذا النوع.

لكن المؤمن لا يخاطر بدينه ويقول: والله اختلفوا! ويتهاون في الصلاة، فيمكن أن يكون الراجح القول بالتكفير، فلابد على المؤمن أن يحافظ على الصلاة ويحافظ على الزكاة ويحافظ على بقية الشعائر؛ فالزكاة إذا منعها؛ عنده إبل ومنع زكاتها يُبطح يوم القيامة بقاع قرقر في يوم مقداره خمسين ألف سنة تمر عليه هذه الإبل تطؤه بخفافها وتعضّه بأنيابها، فما بالك بتارك الصلاة؟! هذا تارك الزكاة؛ فكيف بتارك الصلاة؟!

وإذا كان مالُه ذهبًا أو فضة يُكوى بها في نار جهنم؛ في جبينه وظهره وجنبه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وإذا كان إبلًا أو غنمًا أو بقرًا كلها تمر عليه في يوم مقداره خمسين ألف سنة كلما انتهى أخراها عاد عليه أولاها.

فالأركان هذه عظيمة جدًا والرسول ﷺ جعلها أركان الإيمان ودعائمه، فإذا ذهب عمود البيت سقط البيت؛ فلا يُنتفع به. كذلك الإسلام، فلابد من الاهتمام بهذه الشعائر العظيمة ولا سيما الصلاة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٩، ٨٦، ١٢٥) وأبو داود (٣٢٥١) وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٢) كما عند الترمذي (١٥٣٥) وأبي عوانة في مسنده (٥٩٦٧) والحاكم في مستدركه (٧٨١٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ البخاري [برقم (٦٨١٠)، كتاب الحدود] ومسلم [برقم (٥٧)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذا خلاصة ما قيل في أمر الصلاة، والأدلة كثيرة على عظمتها وعظم شأنها وركنيتها في الإسلام وكونها عمود الإسلام، وما ورد في الزكاة وأهميتها كذلك ثم سائر الشعائر؛ كما ذكرت لكم حديث ابن عمر وحديث عمر ﵄؛ فلنهتم بهذه الشعائر وغيرها من أمور الإسلام، لكن هذه الأمور عظيمة لا يجوز التساهل فيها؛ لأنه في بعض الأقوال: إذا تركتها؛ فأنت كافر؛ إذا لم تؤد الزكاة فأنت كافر في بعض الأقوال وعندهم أدلة على ذلك؛ فكيف بالصلاة؟! فلا بد من الاهتمام بهذه الأمور والمحافظة عليها.

وأدلة القائلين بأن تارك الصلاة لا يكفر كثيرة:

ومنها: هذه الآية التي ذكرها المصنف عن يوسف إذ قال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]. يعني: ترك جحود ورفض للكفر؛ أي: كفر بالطاغوت، هذا من أدلتهم أن الترك يطلق ويراد به الجحود وليس مجرد الترك؛ هذا من أدلتهم.

ومن أدلتهم أيضًا حديث: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّه -تبارك وتعالى- على الْعِبَادِ من أتى بِهِنَّ لم يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كان له عِنْدَ اللَّهِ -تبارك وتعالى- عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لم يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ له**»[1] هذا من أدلة من لا يكفِّر، ولكن ليحذر المؤمن أن يكون الراجح قول من يكفِّر.

فيجب أن نحافظ على هذه الصلاة ونوصي بها ونتواصى بها ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، ونحذِّر من تركها ونذكر نصوص الوعيد فيها، والأولى في نصوص الوعيد أن تذكر على طريقة السلف؛ فتذكر أن من يترك الصلاة يكفر ولا تفسرها، «**من حلف بغير اللَّه فقد كفر وأشرك**» يعني: قل

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٨) وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣١٩) وأبو داود (١٤٢٠) من حديث عبادة بن الصامت ﵁ وصححه العلامة الألباني ﵀ في «صحيح سنن أبي داود» (ج٢/ ٣٠١/ رقم ٤٥٢).

الحديث وامش؛ لأنك عندما تأتي تفسر وتؤوِّل يتجرأ الجهال؛ فيكون أهيب للنصوص أن تذكر قول النبي ﷺ في الوعيد على تارك هذا العمل أو على فاعله إن كان حرامًا؛ فتقول: قال رسول اللَّه كذا؛ تخوفه به، فهذا يردعه، لكن عندما تأتي بهذه التأويلات قد يستخف بها بعض الناس، نسأل اللَّه العافية!

* * *

خلق أفعال العباد

«ومِن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة للَّه تعالى لا يمترون فيه، ولا يعدُّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه».

الشرح:

هذا الباب في خلق أفعال العباد؛ ذكر الإمام فيه: أن مذهب أهل السنة أنّ أفعال العباد مخلوقة للَّه ﷻ، وخالف في ذلك طائفتان وهما:

١- **الجبرية**: وهم يعترفون بأن أفعال العباد مخلوقة للَّه ﷻ، لكنهم يغلون في عموم مشيئة اللَّه وخلقه لكل شيء؛ فيجعلون أفعال العباد أفعالًا للَّه ﷻ وليست للعباد وإنما تنسب إليهم مجازًا!! ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

نعم هم محقّون في أن اللَّه خالق كل شيء، لكن ليس معناه أن العباد ليس لهم فعل ولا قدرة ولا اختيارٌ في أفعالهم؛ فهذا الإثبات جيد لكن غلوا في إثبات القدر وإثبات عموم خلق اللَّه ﷻ للمخلوقات وإثبات مشيئته؛ حتى سلبوا العباد أفعالهم وقدرتهم وإرادتهم واختيارهم! فالعباد لا تنسب إليهم أعمالهم- عند هؤلاء- إلا مجازًا! لأن اللَّه خلقهم وهم لا يخلقون! وما اعترفوا بأن أفعال العباد فعلهم حقيقة وناشئٌ عن اختيارهم وإرادتهم وقدرتهم.

وقابل هؤلاء الجبرية طائفة أخرى غالية في الشرع، وهي:

٢- **القدرية**: فالقدرية آمنوا بالشرع وغلوا فيه فأدّاهم غلوّهم في الأوامر والنواهي إلى إنكار عموم مشيئة اللَّه وإرادته وخالقيته لأفعال العباد! فقالوا: أفعال العباد ليست مخلوقة للَّه ولا تدخل في نطاق قدرته!! لأننا إذا قلنا: أفعال

العباد مخلوقة لله، فكيف يحاسبهم عليها؟! فيكون هذا ظلمًا!

قبحهم الله! كيف يكون ظلمًا والله ﷻ أعطاهم قدرة وأعطاهم اختيارًا وأعطاهم إرادة؟! وكيف يكون ظلمًا وأفعالهم ليست كما يقول الجبرية كحركات الأشجار تحركها الرياح وكنبض العروق وكحركة الشمس وغيرها من المسخرات التي لا إرادة لها!

الإنسان يفرق بين الاختيار وبين الاضطرار، حتى الحيوانات؛ الحيوانات تفرق بين العمل الاختياري والعمل الاضطراري، ويعجبني مثَل ضربه أحد المناقشين لهؤلاء؛ فيقول: الكلب والأسد؛ يفرقان بين المختار وبين غير المختار؛ فإنك إذا رميت الكلب بحجر لا يذهب للحجر لأن الحجر ليس مختارًا، وإنما يأتي إليك أنت يحاربك، والأسد عندما توجِّه له رصاصة لا يذهب إلى الرصاصة يحاربها وإنما يذهب يحاربك أنت؛ لأنه يعرف أن الرصاصة ليس لها اختيار وأنت لك اختيار ولك إرادة ولك قدرة، فكيف بالإنسان؟!

وكل إنسان يحس بالضرورة أنه يفعل باختياره وقدرته وإرادته، والله يحاسبك على قدرتك واختيارك، بعد ذلك لا تسأل لأن القدر سرّ الله.

أنت عاقل؛ أعطاك الله العقل وأعطاك السمع وأعطاك البصر وأعطاك القدرة وأعطاك الاختيار ويحاسبك في ضوء هذه القوى التي أعطاك الله إياها، فمن أعطاه الله هذه الأمور فهو مسئول أمام الله -تبارك وتعالى-، لا يستطيع أن يعتذر يوم القيامة ويقول: أنا فعلت هذا بغير اختيار؛ لأنه هو الذي فعل، لا أحد يقول هذا، بل كل واحد يعترف بذنبه يوم القيامة ويعرف أنه مذنب: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١]. يعترفون بذنوبهم يوم القيامة؛ لأنهم مارسوها باختيارهم. وهل تقبل الآن واحد يقتل أباك وتقول: هذا فعل الله! هل تقول هذا؟! لا تقول هذا، لو كان رجلًا جبريًّا غاليًا وقتل إنسان وَلَدَه أو

أباه، ما اعتذر له بالقدر وأن هذا ليس فعله وإنما ينسب إليه مجازًا.

فهناك إفراط وتفريط من الطرفين، وأهل السنة وسط: أثبتوا عموم مشيئة الله وعموم إرادته وقدرته؛ فلا يكون شيء في الكون إلا بمشيئة الله وإرادته، وكل شيء مخلوق لله؛ خلق العباد وخلق أفعالهم، ومع ذلك يقولون: العباد مارسوا هذه الأفعال باختيارهم، فتنسب إليهم حقيقة وفعلوها حقيقة: فلان صلى، فلان زكى، فلان صام ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. والله ﷻ ينسب الأفعال إلى العبد ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

أنا جئت مرة في درس في جامعة أم القرى، وأستاذ أشعري جبري يدرِّس عقيدة الجبر في ذلك الدرس! فقلت له: يا أخي! أنت الآن تعطل يمكن ربع القرآن؛ القرآن ينسب الأفعال حقيقة إلى أهلها وأنت تقول: هي أفعال الله وليست أفعال العباد! فبُهِت.

تقرأ القرآن فتجد فيه: فعلوا ويفعلون، فعلوا ويفعلون، ويمدح الفاعلين إذا كانوا مطيعين، ويذمّ العصاة لمخالفتهم لأوامر الله ولارتكابهم لنواهيه؛ يمدح المطيعين ويذم العاصين ويتوعدهم الوعيد الشديد على أعمالهم؛ كانت كفرًا أو كانت معاصيَ، والله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. فلا يدخلهم النار ولا يعاقبهم إلا على أمور فعلوها حقيقة بقدرتهم واختيارهم وإرادتهم، ولا يذمهم إلا على أشياء فعلوها بقدرتهم واختيارهم وإرادتهم، وكذلك الله ﷻ يجازي المطيعين على طاعتهم من صلاة وصيام وجهاد وأمر بمعروف وإحسان وبر؛ لا يظلمهم مثقال ذرة ﷻ.

فهذا خلاصة ما يقال في أفعال العباد: أن الله ﷻ خالق للعباد وأعمالهم وصفاتهم وهم في نفس الوقت فاعلون لأفعالهم من طاعات ومعاصٍ بقدرتهم واختيارهم. وكل عاقل يدرك الأعمال التي تمارس بالاختيار والأعمال التي

تؤتى عن طريق الاضطرار، فالمضطر يُعذَر، والمختار المريد القادر؛ هذا يحاسب على عمله ويجازى على عمله: إن كان خيرًا فخير وإن كان شرًّا فشر.

نسأل اللَّه أن يوفقنا وإياكم لفقه دينه وأن يرزقنا التمسك بكتاب اللَّه وسنة رسوله والسير على منهج أهل السنة والجماعة في كل شئون ديننا؛ عقيدة ومنهجًا، إن ربنا لسميع الدعاء.

* * *

الهداية من اللَّه تعالى

«ويشهدون أن اللَّه تعالى يهدي من يشاء إلى دينه ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله اللَّه عليه، ولا عذر له لديه، قال اللَّه ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية.

فسبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين، فريقًا للنعيم فضلًا، وفريقًا للجحيم عدلًا، وجعل منهم غويًّا ورشيدًا، وشقيًّا وسعيدًا، وقريبًا من رحمته وبعيدًا، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي الشّيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: حدثنا يوسف بن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد اللَّه بن مسعود قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللَّه إليه ملكًا بأربع كلمات: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وأخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أنبأنا أبو العباس السراج قال حدثنا إسحاق بن

إبراهيم الحنظلي - هو ابن راهويه - قال: أنبأنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار فإذا كان عند موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة».

الخير والشر

«ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر والحلو والمر بقضاء الله تعالى وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله عليه لم يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس ﵄. وقال الله ﷿: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾.

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه: لا يضاف إلى الله تعالى ما يُتوهّم منه نقص على الانفراد، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت، والخير في يديك، والشر ليس إليك» ومعناه -والله أعلم- والشر ليس مما يضاف إليك إفرادًا وقصدًا، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعًا، ولذلك أضاف الخَضِرُ ﵇ إرادة العيب إلى نفسه، فقال: فيما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ

أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ﷻ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾. ولذلك قال مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه ﷻ».

* * *

مشيئة الله

«وكذلك من مذهب أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد به إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾. ولو شاء ألا يعصى ما خلق إبليس، فكُفْرُ الكافرين وإيمان المؤمنين وإلحاد الملحدين وتوحيد الموحدين وطاعة المطيعين ومعصية العاصين؛ كلها بقضائه ﷻ وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية ولا يرضاها، قال الله ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ﴾».

الشرح:

فهذه الفصول كلها مرجعها إلى بحوث القدر والإيمان به، ومواقف الناس من الإيمان بالقدر أو الكفر به أو نفيه.

وهذه المسائل يختلف فيها أهل السنة وفرق الضلال:

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر ويؤمنون بالشرع؛ يؤمنون بالقدر خيره وشره من الله -تبارك وتعالى-؛ قدّرهما الله ﷻ وخلق العباد وأفعالهم وأعمالهم، وشرع تشريعات يجب الإيمان بها والتزامها كما يجب الإيمان بالقدر، فآمن أهل السنة بالقدر ومستلزماته وآمنوا بالشرع؛ فجمعوا بين الإيمان بالقدر والإيمان بالشرع والعمل به.

وخالف أهل السنة في هذا الأصل من أصول الإيمان القدرية وهم أصناف؛ ذكرهم علماء السنة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

فمنهم: القدرية النفاة الذين يؤمنون بالشرع؛ يعني: بالأوامر والنواهي والوعد والوعيد، لكن لهم فيها فقه ومنهج منحرف يخالف منهج أهل السنة والجماعة؛ إذ يوجبون على الله -تبارك وتعالى-: أن يعاقب من يستحق العقوبة وليس له أن يعفو، وأن يثيب من يستحق الثواب؛ يعني: إيجابًا لا فضلًا منه!!

فهؤلاء نفاة القدر المشهورين كالمعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والروافض والشيعة وغيرهم من الفرق؛ ينفون القدر ولا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله ولا يعترفون بأن الله خالق لأفعال العباد!! وعارضوا بذلك نصوص الكتاب والسنة؛ فهم يرون الشرع ويحترمونه ويعظمون نصوص الوعيد، ولكن غلوا في نفي القدر وفي إثبات أفعال العباد وإسنادها إلى العباد أنفسهم حتى اعتقدوا أن العبد يخلق أفعال نفسه.

ومنهم: القدرية المشركية الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. إلى أن يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. فيحتجون بالقدر ضد الشرع ويقولون: إن الله راض عن الحال التي نحن عليها من الكفر والضلال والفجور! ولو كان غير راض بها لما أقرنا عليها ولوفقنا للإيمان؛ فإقراره وإبقاؤه لنا على الشرك وكونه لم يغير حالنا دليل على أنه راض بهذا!

وهؤلاء شر من القدرية النفاة؛ إذ النفاة وإن نفوا القدر ولم يقولوا بخلق أفعال العباد تنزيهًا لله- وهم ضالون في هذا-؛ لكن هم مع ضلالهم هذا أحسن حالًا من هؤلاء القدرية المشركية- الذين يحتجون بالقدر على الشرع، ويعتبرون أن الله راض بكفرهم وشركهم-؛ لأنهم يحترمون الشرع ويعظمون نصوص الوعيد.

ويرد على هذه الشبهة الباردة التي توارثوها وهي: أن الله شاء لنا هذه الأفعال وأرادها، ومشيئته لها وإرادته لها دليل على رضاه بها؛ بأن هناك فرقًا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وأنه لا تلازم بين الإرادتين؛ فقد يشاء الله

ما يبغضه ويكرهه كإبليس وأهل الكفر وأهل الظلم وظلمهم وما شاكل ذلك؛ هذه شاءها اللَّه لكنه يبغضها، وقد يحب ما لا يشاء كونه؛ مثل إيمان الكافرين وطاعة العاصين، فهذه يحبها اللَّه لكنه لم يشأها؛ فاللَّه يحب من الخلق جميعًا أن يطيعوه، وإذا أطاعوه رضي عنهم وأحبهم على طاعتهم، ويحب الإيمان من الكافرين والطاعة من العصاة ولكنه ما شاءها كونًا وإن أرادها شرعًا؛ فلا تلازم بين الإرادتين: الإرادة الشرعية والإرادة الكونية؛ لأن اللَّه قد يحب شيئًا لكن لا يشاؤه ﷻ، وقد يشاء ما لا يحبه كخلق إبليس وخلق الكافرين وأفعالهم الكافرة؛ إذ لا تلازم بين الإرادتين. وهؤلاء لا يفرقون بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وأنه لا تلازم بينهما.

فهذا رد على هذه الفرقة الضالة؛ منهم المشركون الخُلَّص الذين احتجوا بمشيئة اللَّه على أن اللَّه راض بأفعالهم وشركهم، ومنهم أهل الضلال من الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر وفي إثبات مشيئة اللَّه -تبارك وتعالى- ونفوا عن العباد أفعالهم وقالوا: الأفعال هذه أفعال اللَّه كلها واللَّه يشاؤها ويحبها ويرضاها! وهذا ضلال أشد من ضلال القدرية النفاة.

ومنهم القدرية الإبليسية: وهم أتباع إبليس فإن إبليس أول من احتج بالقدر على اللَّه -تبارك وتعالى- وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. فاحتج بالقدر على اللَّه -تبارك وتعالى- ولم يعترف بذنبه، آدم وحواء اعترفا بذنبهما ف ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. أما إبليس أبى أن يعترف وقال: أنت الذي أغويتني؛ فجعل الحجة له على اللَّه ﷻ، قبحه اللَّه!

وهناك كثير من الناس على هذا المذهب؛ من الكفار وغيرهم-والعياذ باللَّه!-، وهذا أخبث المذاهب، وإمام هذا المذهب إبليس؛ فإنهم يخاصمون اللَّه بهذا المذهب ولا يعترفون بالذنب، ولا يعترفون أنهم عصوا اللَّه ﷻ

ولا أنهم أشركوا به وكفروا به، ويقولون: هذا ليس ذنبنا، أنت الذي فعلت هذا. قبحهم الله!

ومما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في هذا:

وَيُدْعَى خُصُومُ اللَّه يَوْمَ مَعَادِهِم إلى النَّارِ طُرًّا مَعْشَرَ الْقَدَرِيَةِ

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به اللَّه أو ماروا به للشريعة

يعني: سواء نفوه أو عارضوا به الشرع أو خاصموا به اللَّه -تبارك وتعالى-؛ يريد الفرق الثلاث التي ذكرناها:

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به اللَّه أو ماروا به للشريعة

فقوله: «سواء نفوه» يعني: القدرية النفاة، وقوله: «أو سعوا ليخاصموا به اللَّه» يعني: القدرية المشركية؛ الذين قالوا: اللَّه يحب منا هذا الفعل ولو شاء ما أشركنا! «أو ماروا به للشريعة» يعني: إبليس ومن تابعه، هذا مراد الشيخ بقوله: «سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به اللَّه أو ماروا به للشريعة».

فهذه مذاهب الناس حول الإيمان بالقدر والكفر به والضلال والتضليل به.

وساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. للَّه الحكمة البالغة والحجة البالغة، وهو يفعل ما يشاء بحكمة وعلم لا لمجرد المشيئة، فيضع الأشياء مواضعها وهو الحكيم العليم ﷻ؛ يعلم ﷻ من يستحق الهداية ومن هو أهل لها فيهديه، ويعلم من لا يستحق ذلك فلا يعطيه؛ لأن الهداية فضل منه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، فهذا الخسيس الدنيء لا يستحق هذه الكرامة من اللَّه -تبارك وتعالى- بالإيمان والهداية والتوفيق، لا يستحقها وليس له حجة على اللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأن اللَّه -تبارك وتعالى- العليّ الكبير الملك العظيم يعطي بفضله ﷻ من يشاء ويمنع من يشاء، وليس منعه لهدايتهم ظلم منه لهم أبدًا؛ وإنما وكلهم إلى أنفسهم

لأنهم لا يستحقون هذا الفضل وهذا الخير، فله الحجة البالغة، فلا يحتج أحد على الله -تبارك وتعالى- ولا يقول: لماذا لم يهدني؟! لأن هذا حق الله فإن أعطاك فذلك فضل منه، وإن لم يعطك فعدل منه ﷻ.

وذكر المصنف قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. الله ﷻ كتب مقادير كل شيء وعَلِمَها، وهذه مراتب القدر وسنذكرها إن شاء الله عند شرح هذه الفصول.

ثم ذكر قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لأنه رب هذا الكون ومالكه وخالقه ﷻ، وأفعاله كلها مبنية على الحكمة والمصالح ﷻ، فلا يُسأل عما يفعل. وبعض الناس يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿لَا يُسْـَٔلُ﴾ لمجرد الإرادة فقط! لا، ليس لمجرد الإرادة والمشيئة، بل لحكم وغايات لا يعلمها إلا الله؛ حكم وغايات تليق بجلاله وعظمته وعلمه المحيط بكل شيء ﷻ.

وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: هو الذي خلق هذا الكون وهو الذي يشرِّع، ولهذا احتج الأئمة بهذه الآية على المعتزلة القائلين بخلق القرآن، ووجه استدلالهم: أن الله فرق بين الخلق والأمر؛ فالأمر: كلامه وتشريعه والخلق: خلقه وإيجاده لهذه المخلوقات، ونفوا أن يكون القرآن مخلوقًا ومن أدلتهم: هذه الآية، والمعتزلة يُدخلون القرآن في الخلق! وهذا ضلال، القرآن كلامه وعلمه؛ خارج عن الخلق، بل هو من الأمر والأمر كلامه وتشريعه ﷻ.

ومن الأدلة كذلك قول الله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]. ولا يضل الله إلا من يستحق الضلال ويكون هو السبب في الضلال وفي الغواية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. وليس لأحد أن يحتج

على اللَّه أبدًا .

ثم ساق المصنف حديث عبد اللَّه بن مسعود ﷺ : «قال : حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق : **«إنّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث اللَّه إليه ملكًا بأربع كلمات : رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد»»** هذا من أدلة أهل السنة أن اللَّه -تبارك وتعالى- جعل الناس فريقين : قسم سعيد إلى الجنة وإلى مرضاة اللَّه -تبارك وتعالى-، وقسم شقي إلى النار- والعياذ باللَّه! -، وذكر نهايتهم **«فو الذي نفسي بيده إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**[1]، ولهذا كان السلف يخافون من سوء الخاتمة؛ يخافون من النفاق!

فلا تغفلوا يا إخوة!، اجعلوا هذا العامل دائمًا موجودًا في نفوسكم : الخوف من سوء الخاتمة- والعياذ باللَّه! -، فتجدّ وتشمّر عن ساعد الجد في العمل متقيًا هذه النهاية السيئة التي قد يقع فيها الإنسان. كان الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق، وكانوا يخافون على أنفسهم سوء الخاتمة ويبكي أحدهم ويسهر من أجل هذه القضية؛ التي تقلق الذي يراقب اللَّه ويخافه.

فإياكم والغفلة وعليكم باليقظة والانتباه؛ فإن هذا مصير خطير -والعياذ باللَّه- ؛ فليخلص المرء عمله للَّه لأنه قد يكون من أسباب سوء الخاتمة انطواؤه على شر؛ فيعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة وهو في الباطن ينطوي على شر- والعياذ باللَّه! -من سوء اعتقاد أو سوء نية أو عمل خبيث يخفيه عن الناس، ويظهر للناس ما لا يخفيه، ويخفي عن الناس ما لا يرونه!

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٠٧).

فهذا من الأسباب التي قد تؤدي إلى سوء الخاتمة، فالحذرَ الحذرَ من الأسباب المؤدية إلى سوء الخاتمة.

فلابد للإنسان أن يخاف ولكن لا يصل إلى درجة اليأس من روح اللَّه، بل يرجو من اللَّه ﷻ مع ذلك: أن يحسن له الخاتمة ويطلب ذلك منه ويلح عليه في دعائه، ويسأل اللَّه أن يجنبه هذا المصير المظلم؛ الذي هو سوء الخاتمة- والعياذ باللَّه! -.

ففي هذا الحديث ذكر مرتبة من مراتب القدر وهي: الكتابة؛ فإن اللَّه -تبارك وتعالى- علِم الأشياء أزلًا وكتبها في اللوح المحفوظ؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ كل شيء؛ فقدّر اللَّه مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولما خلق القلم أمره أن يكتب؛ فكتب كل ما يجري إلى يوم القيامة، فعلم اللَّه ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ. ومن مراحل هذا القدر: الكتابة؛ وهي: كتابة مصير الإنسان وعمله وأجله وشقي أو سعيد.

فذكر في هذا الحديث هذه الأطوار؛ فاللَّه يخلق أولًا الإنسان من نطفة ثم تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يأمر الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بكتابة هذه الأشياء، وهذه الأمور ذكرها اللَّه في القرآن؛ ذكر هذه الأطوار وزاد عليها، وذلك في آيات عديدة منها قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. هذه الأطوار أكثر من تلك؛ هذه سبعة أطوار، واقتصر في الحديث على أربعة أطوار، ولا تعارض بينهما؛ لأنّ اقتصار السنة على أربعة أطوار لا ينفي بقية الأطوار التي ذكرها اللَّه تعالى في القرآن.

ومراتب القدر هي: العلم، ثم الكتابة، ثم مشيئة اللَّه -تبارك وتعالى- لهذه

الأشياء مع قدرته عليها، ثم إيجاده فعلًا هذه الأمور وقت إيجادها؛ الوقت الذي حدد إيجادها فيه يوجدها اللَّه -تبارك وتعالى- بمشيئته التامة وقدرته الشاملة.

وروى المصنف بعد هذا الحديث حديثًا آخر يشابهه عن عائشة رضي الله عنها، ثم قال رحمه الله:

«ويشهد أهل السنة ويعتقدون أنّ الخير والشر والنفع والضر والحلو والمر بقضاء اللَّه وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما» هذا كما في حديث جبريل لما سأل رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- عن الإسلام فقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**، فقال: صدقت»[1] الحديث.

فاللَّه قدّر الخير والشر وأوجدهما، ومن ذلك أفعال العباد مخلوقة للَّه -تبارك وتعالى-، لكن هم الفاعلون وهم المطيعون وهم العصاة، واللَّه -تبارك وتعالى- خالق للعباد وما عملوه، فلسنا مع القدرية ولسنا مع الجبرية ولسنا مع أهل الضلال من غيرهم، وإنما نؤمن بأن اللَّه خلق الخير والشر وأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، وأن العباد مكلّفون مسئولون أمام اللَّه -تبارك وتعالى-، وقد سألوا رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-: «فيما يعمل الناس اليوم، أفي شيء قد مضى وجفّت به الأقلام؟ أم فيما يستقبل؟! فقال ﷺ: **«بل في شيء قد مضى»**، قالوا: يا رسول اللَّه! ففيم إذن العمل؟ فقال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ

(١) سبق تخريجه في (ص٢١٦).

﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1] [الليل: ٥-١٠]. فالعبد مكلف بالعمل، والسعيد من وفّقه اللَّه والشقي من خذله اللَّه، ونعوذ باللَّه من سوء المصير وسوء الخاتمة.

قال المصنف: «ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهِد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه اللَّه له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه اللَّه عليه لم يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد اللَّه بن عباس ﵄» يشير بهذا إلى حديث ابن عباس ﵄؛ قال: كنت خلف رسول اللَّه ﷺ يومًا فقال: «**يا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّه لك وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّه عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[2]، فكل ما كتبه اللَّه للإنسان من خير وشر لابد أن يناله ولا مفر منه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٦٤٨)، كتاب القدر] من طريق أبي الزبير عن جَابِرٍ قال: جاء سُرَاقَةُ بن مَالِكِ بن جُعْشُمٍ قال: يا رسول اللَّهِ بَيِّنْ لنا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قال: «**لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**» قال: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قال زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أبو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لم أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ ما قال فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». وأما قراءة النبي ﷺ للآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ فهو في حديث آخر؛ أخرجه البخاري [برقم (٤٩٤٨)، كتاب التفسير] ومسلم [برقم (٢٦٤٧)، كتاب القدر] من حديث علي بن أبي طالب ﵁ مرفوعًا بلفظ: «**ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ، وما من نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلا كُتِبَ مَكَانُهَا من الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قد كُتِبَتْ شَقِيَّةً أو سَعِيدَةً**. قال رَجُلٌ: يا رسول اللَّهِ! أَفَلَا نَتَّكِلُ على كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كان مِنَّا من أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إلى أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كان مِنَّا من أَهْلِ الشقاء فَسَيَصِيرُ إلى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؟ قال: **أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ**، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الْآيَةَ. لفظ البخاري.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) والترمذي برقم (٢٥١٦) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني ﵀ في «ظلال الجنة» (١/ ١٣٨).

[الحديد: ٢٢- ٢٣] هذه ثمار الإيمان الصادق بالقدر: ألا تفرح بما أوتيت من النعم والخير ولا تبطر ولا تأشر، وألا تحزن على ما فاتك من الدنيا؛ لأن الحزن لا ينفعك، ولا ينالك من الدنيا إلا ما كتبه اللَّه لك، فإذا استقرت هذه العقيدة في نفس المؤمن؛ خفّت عليه وطأة المصائب، وتجنب شر البطر والفرح والأشر الذي قد يصيب من لا يؤمن بالقدر- والعياذ باللَّه! -.

وذكر هذه الآية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] يعني: قدر اللَّه الخير وقدر الشر، وإذا أصابك الضر فلا يرفعه إلا هو، وإن أرادك بخير؛ فلو اجتمع أهل الأرض لا يستطيعون أن يصرفوا هذا الخير عنك، وحديث ابن عباس يوافق هذه الآية «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

قال المصنف: «ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من اللَّه وبقضائه: ألَّا يضاف إلى اللَّه تعالى ما يُتوَهم منه نقص على الانفراد، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول اللَّه ﷺ في دعاء الاستفتاح «**تباركت وتعاليت، والخير في يديك، والشر ليس إليك**» ومعناه -واللَّه أعلم- والشر ليس مما يضاف إليك إفرادًا وقصدًا، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر أو: يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعًا» هذا الأسلوب لا يجوز؛ لأنّ اللَّه منزه عن هذا ﷻ، «**والشَرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(١) فالشر لا يضاف إلى اللَّه ﷻ أبدًا؛ لأن منبع الشر هو النفوس الشريرة السيئة، والإنسان خُلق ظلومًا جهولًا، فالشر

(١) قطعة من حديث دعاء الاستفتاح؛ أخرجه مسلم [برقم (٧٧١)، كتاب صلاة المسافرين] من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

منبعه الإنسان والشيطان؛ فلا يضاف إلى اللَّه -تبارك وتعالى-، «والشر ليس إليك»؛ فاللَّه فعله كله خير وقائم على الحكمة -حتى لو كان مفعوله شرًّا- هو بالنسبة إلى اللَّه -تبارك وتعالى- خير؛ لأنه قائم على الحكمة وعلى العدل، ولا يقوم على السفه ولا على الجهل؛ حتى يضاف الشر إليه، أما الإنسان فيجهل ويسفه ويضل ويفعل الشر، فالشر لا ينسب إلى اللَّه وإنما ينسب إلى فاعليه من العصاة وغيرهم.

ولابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلام جيد هنا في هذه القضية أحضرته لكم لنستفيد منه ويسجل في هذا الدرس؛ ونعلِّق عليه بما تيسر:

تكلم على إضافة الخير والشر إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وتكلم على مراتب القدر وتكلم حول هذه القضايا.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما يتبين هذا» -يعني: وجه إضافة الخير إلى اللَّه فقط وإضافة الشر إلى المخلوقين- «ببيان وجود الحكمة في كل ما خلقه اللَّه وأمر به» فما يخلق اللَّه شيئًا؛ خيرًا أو شرًّا إلا بحكمة تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حكمة بالغة وعلم شامل، ونحن لا نستطيع أن ندرك حكمة اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فعقول العباد تقصر عن إدراك الحكم والغايات التي يفعل اللَّه الأشياء من أجلها، فنحن نمشي في حدود حالنا «وبيان أنه كله خير من جهة إضافته إليه سبحانه» كل ما يخلقه اللَّه ويأمر به خير من جهته هو وما هو إلا خير بالإضافة إليه؛ لأنه قائم على العلم والحكمة البالغة والغايات العظيمة التي تليق بجلاله وبأسمائه وصفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى «وأنه من تلك الإضافة هو خير وحكمة» يعني: هو من تلك الإضافة إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خير وحكمة «وأن جهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد» يعني: وُصف بالشر بالنسبة إلى العبد وبالإضافة إلى العبد لا بالنسبة إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ «وأنه من تلك الإضافة إلى العبد كما قال صلى اللَّه عليه في دعاء الاستفتاح: **«لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك»**، دعونا نفقه هذا الحديث في ضوء كلام هذا الحبر؛ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فهذا النفي يقتضي امتناع إضافة الشر إليه تعالى» نفى رسول اللَّه إضافة الشر

إلى اللَّه ﷻ، فهذا يقتضي أنه لا يجوز بحال أن يضاف الشر إلى اللَّه ﷻ «فلا يضاف إلى ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله؛ فإن ذاته منزهة عن كل شر وصفاته كذلك؛ إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال؛ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل؛ لا تخرج عن ذلك البتة».

عليكم بهذا الفقه والتعظيم للَّه ﷻ وإجلاله ﷻ «وهو المحمود على ذلك كله فيستحيل إضافة الشر إليه» فالأسماء: أسماء كمال؛ ذاته كاملة منزهة عن النقص، والصفات: صفات كمال وعنده الحكمة البالغة والعدل و.. إلخ؛ فلا يضاف إليه إلا الخير ﷻ، والشر لا يضاف إليه ولا يجوز لأحد أن يضيفه إليه، وإنما يضاف إلى العباد «وتحقيق ذلك أن الشر ليس هو إلا الذنوب وعقوباتها كما في خطبته ﷺ: «**الحمد للَّه نستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»؛ فتضمن الاستعاذة من شرور النفوس ومن سيئات الأعمال وهي عقوباتها». اهـ من «طريق الهجرتين» (ص١٦٦).

وإن الإنسان ظلوم جهول ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فهو الظلوم؛ فيُنسب إليه الظلم، والجهول؛ فيُنسب إليه الجهل، وينسب إليه السفه إن كان سفيهًا وينسب إليه الكفر والضلال إذا كان كافرًا، وتنسب إليه الطاعة إذا كان مطيعًا والإيمان إذا كان مؤمنًا.

فهذا الباب فيه فقه عظيم في مسألة إضافة الخير والشر إلى اللَّه ﷻ؛ إن شاء اللَّه تسمعونه، ومن عنده «طريق الهجرتين» فليرجع إليه!

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يفقهنا في دينه وأن يحسن خواتمنا وأن يثبتنا على الحق وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن إن ربنا لسميع الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عواقب العباد مبهمة

«ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان أعلى الإسلام أم على الكفر ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء اللَّه أي من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء اللَّه».

الشهادة على من مات على شيء

«ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة، فإن [كان من] الذين سبق القضاء عليهم من اللَّه أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها، ولم يتوبوا منها، فإنهم يُرَدُّون أخيرًا إلى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين. فضلًا من اللَّه ومنّة، ومن مات والعياذ باللَّه على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى».

الشرح:

في هذا الكلام من الإمام الصابوني مسألتان:

المسألة الأولى: كون عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بما يختم له؛ لذلك لا يحكمون لواحد بعينه أنه من أصحاب الجنة، ولا يحكمون على واحد بعينه أنه من أصحاب النار.

فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة،

لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان أعلى الإسلام أم على الكفر، ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء اللَّه أي من المؤمنين الذين يختم لهم بخير إن شاء اللَّه» خصص المصنف هذه العقيدة لأهل الحديث ومن سار على نهجهم، احترازًا عن الطوائف الأخرى التي تخالف هذا المنهج.

«أن عواقب العباد مبهمة» لا يعلمها إلاّ اللَّه «ولا يدري أحد بما يُختَم له»، وقد تقدم لنا أن الصحابة كانوا يخافون على أنفسهم من النفاق، ويخافون من سوء الخاتمة، ويسألون اللَّه -تبارك وتعالى- أن يحسن لهم الختام، وما أحد أبدًا يقطع لنفسه بأنه من المتقين وأنه من أهل الجنة؛ هذه طريقة أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم أهل الحديث «ولا يَحْكُمُون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة»؛ فإن هذا ليس إلا للَّه ﷻ إلا من جاء فيه النص كما سيأتي عن المبشرين بالجنة؛ «لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون علي ما يموت عليه الإنسان أعلى الإسلام أم على الكفر» ولا يعلم الغيب إلا اللَّه؛ نعم، هذا شيء معروف؛ لا يعلم الغيب إلا اللَّه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] فيطلعه اللَّه على ما يشاء من غيبه. فما الذي أدراك أن فلانًا مات على الكفر أو مات على الإيمان؟! وكيف تحكم له في حياته أنه من أهل الجنة أو من أهل النار؟! بل لو قال إنسان: إن فلانًا في النار لقال اللَّه: «من ذا الذي يتألّى عليّ»؟! كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟! فقال: واللَّه لا يغفر اللَّه لك أو لا يدخلك اللَّه الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسي**

بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[1]، وفي رواية من حديث جندب بن عبد الله البجلي: أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قال: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قال: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[2].

فالإنسان لا يتألى على اللَّه ولا يحكم على الناس بهواه؛ يُدْخِل أناسًا الجنة ويدخل أناسًا النار! هذا ليس إلا للَّه، نرجو للصالحين المستقيمين الذين يظهر لنا صلاحهم وإيمانهم الجنة، ومع ذلك نخاف عليهم، ونخاف على الفساق النار ونرجو لهم الجنة؛ لأن الأعمال بالخواتيم كما سبق في الحديث: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

ولذلك -واللَّه أعلم- أسباب خفية عند هذا العاصي تؤهله لأن يحسن اللَّه له الخاتمة ويميته على الحق والإسلام، وقد يكون هذا الذي يتعبد مرائيًا- والعياذ باللَّه- أو يصر على ذنب لا يعرفه أحد فيعاقبه اللَّه ﷻ فيموت على سوء الخاتمة، فنسأل اللَّه العافية. فهذه هي طريقة أهل السنة والجماعة.

قال: «ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء اللَّه؛ أي: من المؤمنين الذين يُختَم لهم بخير إن شاء اللَّه».

هذه المسألة نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]؛ ما هو منشأ قول أهل السنة: «أنا مؤمن إن شاء اللَّه»؟ هل هو بالنظر إلى العاقبة والمآل؛ يعني: على ماذا يموت الإنسان وعلى ماذا يوافي الإنسان ربه؟ أو في الحاضر؛ بمعنى أني ما

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٠١) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٤٤٥٥).
(٢) أخرجه مسلم [برقم (٢٦٢١)، كتاب البر والصلة والآداب].
(٣) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٤٦، ٦٦٦، ٦٨١).

وفيت الإيمان حقه؟

فيقول شيخ الإسلام: هذا من هذا المنطلق؛ يعني: إنه ما وفّى الإسلام حقه وما قام به على الوجه المطلوب، فإذا قال: أنا مؤمن جزمًا يكون قد زكى نفسه وقال: أنا متق وأنا بارّ وأنا كذا! وهذا أمر غلط؛ لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ وهناك أوامر وهناك نواهٍ؛ فيقول: «أنا مؤمن إن شاء اللَّه» احترازًا من أن يحكم لنفسه بأنه وفّى الإسلام حقه، بمعنى أنه ما وفى الإيمان حقه وما قام بأوامر اللَّه واجتنب نواهيه وقام بالأعمال الصالحة المطلوبة منه على الوجه المطلوب.

وتعرفون أن المرجئة والجهمية يمنعون من الاستثناء؛ لأن هذا الذي يستثني يشك في إيمانه! ومنطلق أهل السنة ليس هو الشك.

ثم إن المرجئة والجهمية عندهم مبنى آخر وهو أن الإيمان هو التصديق فقط! فأنا لا أشك في إيماني؛ كما أني لا أشك إذا قرأت الفاتحة ولا أقول: قرأت الفاتحة إن شاء اللَّه، أكلت إن شاء اللَّه، شربت إن شاء اللَّه! لأن هذا شيء محقق عندهم، فالإيمان عندهم هو التصديق فقط! وأنا أعرف من نفسي أني مصدِّق!

لكن أهل السنة عندهم: الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويستثنون؛ لأنهم يعتقدون -وعقيدتهم حق- أن الإنسان إذا قال هذا وهو ما وفّى الإيمان حقه؛ يكون مخطئًا، وقد يكون آثمًا مزكيًا لنفسه -والعياذ باللَّه-.

فتقول: «أنا مؤمن إن شاء اللَّه» بناءً على هذا الاعتقاد؛ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وفيه أوامر ونواه أنت ما قمت بها على الوجه المطلوب؛ فالعمل يحتاج إلى مطابقة لما شرعه اللَّه ﷻ؛ فهل طابق عملك ما شرعه اللَّه مائة بالمائة أو شابه خلل أو أخللت بشروط؟؟ ويحتاج إلى إخلاص، فهل أخلصت للَّه في عملك كله أو شَابَهُ رياء؟؟ فمن هذا الباب هم يستثنون؛ يعني: لأنه لم يوفِّ الإيمان حقه فيقول: أنا مؤمن إن شاء اللَّه. هذا منزع أهل السنة ومنطلق قولهم.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ هذا القول؛ وهو «أن الاستثناء باعتبار المآل وباعتبار ما يوافي به العبد ربه»: ليس هو قول أهل السنة وإنما هو قول ابن كلاّب وتابعه عليه الأشعري، ثم تتابع على ذلك جماعات من أهل المذاهب: المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم ممن أخذ بالمذهب الأشعري الكلاّبي! ويقول: لا أعرف أحدًا من السلف يقول هذا: «إن هذا الاستثناء لملاحظة المآل!» وإنما بناءً على أن الإسلام إيمان وشرائع وأقوال وأعمال لا يجوز للإنسان أن يقطع أنه وفاها حقها.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ جاء بعد عصر ابن كلاّب؛ لكن كأنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما أدرك مأخذ أهل السنة! وجاء والناس يقولون هذا الكلام فقال: «لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان أَعَلَى الإسلام أم على الكفر ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء اللَّه»؛ فيكون قول: «إنا مؤمنون إن شاء اللَّه» مبنيًّا على ملاحظة المآل ونهاية الإنسان على ماذا يموت. وهذا ليس هو منشأ مذهب أهل السنة؛ إنما منشأ مذهب أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وفيه أوامر ونواهٍ، فإذا سأله إنسان: أنت مؤمن؟ يقول: أنا مؤمن إن شاء اللَّه، بناءً على اعتقاد أنه ما وفّى الإسلام حقه ولا قام بالأعمال المطلوبة على وجهها.

ثم يشير ابن تيمية أنه نشأ أناس مثل ابن كُلاَّب وغيره يقولون بظواهر أقوال أهل السنة وما يعرفون مآخذها، فيأتون ينصرون أقوال أهل السنة بمآخذ لا يقولها أهل السنة ولم يبنوا عليها اعتقاداتهم وأقوالهم؛ فابن كلاّب ينصر أهل السنة في كثير من الأشياء ولكن عنده مآخذ؛ أخذها من هنا ومن هنا؛ من الجهمية ومن غيرهم؛ فيتعلق بظاهر أقوال أهل السنة ويربطها بمآخذ لا يقولها أهل السنة؛ بل قد يبدِّعون من يقولها[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٣).

الشاهد: أن قول أهل السنة في الرجل إذا سئل عن الإيمان، هل أنت مؤمن؟ أنه يقول: أنا مؤمن إن شاء اللَّه، أو آمنت باللَّه وملائكته وكتبه، أو أرجو أني مؤمن إن شاء اللَّه؛ إنما هو بناءً على أنه ما وفّى الإسلام حقه، لا بناءً على ملاحظة المآل وعلى ما يوافي به العبد ربه، فإن هذا إنما قاله ابن كلاب وتابعه فيه الناس؛ فأحببت أن أبدي لكم هذه الملاحظة.

المسألة الثانية: الشهادة لمن كتب له بشيء مات عليه؛ وهذا على العموم؛ فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة» يعني: من مات على الإسلام ولو كان من الفسّاق ومن العصاة؛ عاقبته الجنة، ثم إن كان مستكمل الإيمان ويستحق ما وعد اللَّه به المتقين وقام بالأعمال الصالحة والعقائد الصادقة و. . و. . إلى آخره؛ فهذا يستحق دخول الجنة رأسًا، وإن كان فاسقًا ومات مصرًا على ذنبه؛ فهذا تحت مشيئة اللَّه؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بدون عذاب، وإن عذبه فلابدّ أن يخرج بحكم هذا التوحيد وهذا الإيمان الذي مات عليه. وقوله: «عاقبته الجنة» جاء بكلمة عاقبته، ومعناه: أنه قد يُعذَّب، فإذا مات مصرًا على ذنب فإنه في النهاية ولو عُذِّبَ؛ يدخل الجنة بإيمانه. وأحاديث الشفاعة واضحة في هذا، ومن الأدلة على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال: «فإن الذين سبق القضاء عليهم من اللَّه أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها» يعني: ماتوا مصرين عليها «فإنهم يُرَدُّون أخيرًا إلى الجنة» قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]؛ فالذي عنده مثقال ذرة من إيمان لا بد أن يخرجه اللَّه من النار بفضله وبرحمته ثم بشفاعة الشافعين. «ولا يبقى أحد في النار من المسلمين» خلافًا للخوارج والمعتزلة في زعمهم: أن من دخل النار لا يخرج منها، ولو كان من أهل الذنوب من الموحدين، ويتتبعون المتشابه من نصوص القرآن؛ مثل قوله

تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]؛ فلا تقبل عندهم فيهم شفاعة ولا يخرجون من النار، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. . . إلخ.

هذه آيات وردت في الكفار الخالصين؛ الكفار الخُلص. وأما من شاب إيمانه بذنوب ولو بكبائر ومات مصرًا عليها؛ فإن هذا تحت مشيئة اللَّه؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وإن عذبه لا بد أن يخرجه من النار بسبب إيمانه، وهذا من أدلة فضل التوحيد.

قال: «ومن مات والعياذ باللَّه على الكفر فمردّه إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى» قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، وقال: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ وغيرها من الأدلة التي وردت في خلود أهل النار. وأما الموحدون الذين يموتون على التوحيد ولو كانت عندهم كبائر وماتوا مصرين عليها؛ فإنهم إن لم يغفر اللَّه لهم ابتداءً وعذبهم؛ فلابد أن يخرجهم من النار بفضله وعدله ﷻ ويدخلهم الجنة.

ونعوذ باللَّه من الذنوب والمعاصي ونعوذ باللَّه من النار؛ واللَّه ما نريد أن نراها ولا نسمع حسّها، فنسأل اللَّه أن يحول بيننا وبينها وأن يتوفانا على الإسلام والإيمان.

* * *

المبشرون بالجنة

«فأما الذين شهد لهم رسول اللَّه ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقًا منهم للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، واللَّه تعالى أطلع رسوله ﷺ على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

وقد بشَّر ﷺ عشرة من أصحابه بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس: «أنت من أهل الجنة». قال أنس بن مالك: فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: إنه في الجنة ومن أهل الجنة».

الشرح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الذين شَهِدَ لهم رسول اللَّه ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة» ما سبق «في الكلام على عواقب العباد» ذاك على العموم؛ لا نقطع لأحد إلا من نص عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- أو الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

أما هؤلاء المنصوص على أعيانهم فنقطع لهم بالجنة، وباقي أصحاب النبي ﷺ قد وعدهم اللَّه على وجه العموم بالجنة والرضوان عنهم؛ السابقون منهم ومن بعدهم ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وأما غير الصحابة؛ إن كانوا صالحين نرجو لهم الجنة، وإذا كانوا طالحين نخاف عليهم من النار.

قال: «فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقًا منهم للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك» يقول هذا خلافًا للخوارج والروافض- قبحهم الله وأخزاهم!-؛ إذ الروافض يكفرون معظم الصحابة ويقولون: إنهم في النار، ويحملون آيات الوعيد وآيات العذاب وآيات اللعن على أصحاب محمد ﷺ، - قاتلهم الله! -، ويردون تزكية الله لهم في القرآن ووعده لهم بالجنة والرضوان؛ هم ومن اتبعهم بإحسان؛ كل هذه الآيات يحرفونها ويؤولونها ويتلاعبون بها! وهذه عداوة منهم للإسلام وللرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- قاتلهم الله!-، لا شك أن الذين وضعوا هذه المناهج زنادقة، ومن سار على نهجهم بهذه الطريقة فهو منهم- والعياذ بالله! -.

والخوارج كما تعرفون لا يستثنون إلا أبا بكر وعمر، وعثمانُ وعليٌّ ومن شايعهم عندهم كفار وفي النار، وكل من شارك في الفتنة عندهم كذلك.

نعم! الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما قال هذا إلا بعلم من الله ﷻ ويقين من الله ﷻ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]؛ فالرسول -عليه الصلاة والسلام- ما قال هذا إلا عن الله ﷻ.

«وقد بشَّر ﷺ عشرةً من أصحابه بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح» هؤلاء العشرة شهد لهم رسول الله ﷺ في سياق واحد أنهم من أهل الجنة[1]، فنحن نؤمن أن هؤلاء العشرة من أهل الجنة، وكذلك شهد لثابت بن قيس بن شماس بالجنة،

---

(١) روى ذلك الإمام أحمد في المسند (١/ ١٩٣) والترمذي (٣٧٤٧) وابن حبان في صحيحه (٧٠٠٢) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ في الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ في الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بن زَيْدِ بن عَمْرِو بن نُفَيْلٍ في الْجَنَّةِ وأبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ في الْجَنَّةِ».

وروى ذلك الإمام أحمد أيضًا في مسنده (١/ ١٨٧) وأبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) وابن ماجه (١٣٣) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا أصح من الأول، ونقل عن البخاري أنه أصح من الحديث الأول، وصحح العلامة الألباني الحديثين معًا.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟**» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»»[١]؛ لأنه ما يقصد الإساءة لرسول الله ﷺ، ثم هذا الأمر جاء منه قبل النهي فغفر الله له وأخبر الله رسوله أن هذا من أهل الجنة.

كذلك: «المرأة السوداء - التي كانت تقم المسجد وكانت تصرع - أتت النبي ﷺ قالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر، ثم قالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها»[٢]، فهذه أيضًا من المشهود لهم بالجنة.

فهؤلاء نشهد لهم ونقطع لهم بأنهم من أهل الجنة، ومن عداهم نرجو للصالحين ونخاف على الطالحين، والوعد العام لأصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بالجنة: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد: ١٠]، يعني: من آمن من قبل الفتح وقاتل ومن آمن بعدهم وقاتل؛ الكل موعودون من الله بالحسنى وهي الجنة، فنحن نؤمن إن شاء الله بأن لهم الجنة؛ على العموم، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥) ومسلم [برقم ١١٩، كتاب الإيمان] من حديث أنس ﷺ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري [برقم ٥٦٥٢، كتاب المرضى] ومسلم [برقم ٢٥٧٦، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث ابن عباس.

ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فنشهد لهم ولمن يتبعهم بإحسان على العموم وليس على التعيين.

* * *

أفضل الصحابة وخلافتهم

«ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول اللَّه ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم هم الخلفاء الراشدون الذين ذكر النبي ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جمهان عن سفينة «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» ثم قال: «أمسك خلافة أبي بكر سنتين وعمر عشرًا وعثمان ثنتي عشرة وعلي ستًّا» وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول ﷺ.

ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول اللَّه ﷺ لديننا، فرضيناه لدنيانا، يعني: أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه وهي الدين؛ فرضيناه خليفة للرسول ﷺ علينا في أمور دنيانا.

وقولهم: قدّمك رسول اللَّه ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك؟! وأرادوا أنه ﷺ قدّمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟

وكان رسول اللَّه ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه- واللَّه -، وارتفعوا به وعزّوا وعلَوا بسببه حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: واللَّه الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عُبِد اللَّه. ولما قيل له: مه يا أبا هريرة! ما تقول؟ أقام حجة على صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز اللَّه سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام، وإعظام شأنه وعده.

ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه.

ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه، حين عرفه ورآه كلٌّ منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه.

فكان هؤلاء الأربعةُ الخلفاءَ الراشدين الذين نصر اللَّه بهم الدين [...][1] الإلحاد، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوّى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونوَّر بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

فمن أحبهم وتولاهم، ودعا لهم، ورعى حقهم، وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبَّهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم إليه الروافض والخوارج- لعنهم اللَّه- فقد هلك في الهالكين.

قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، فمن سبّهم فعليه لعنة اللَّه» وقال: «من أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة اللَّه».

الشرح:

بعدما بين المؤلف رحمه الله فضل الصحابة على وجه العموم كما تقدم؛ يتحدث هنا عن فضل الخلفاء الراشدين وإثبات خلافتهم -رضوان اللَّه عليهم-.

فأهل الحديث يثبتون خلافة هؤلاء الأئمة؛ الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي

(١) بياض في الأصل.

بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ. وترتيبهم في الفضل مثل ترتيبهم في الخلافة، على هذا استقر رأي أهل السنة بعد أن كان هناك بعض الأفراد من أهل السنة يقدمون عليًّا على عثمان ﷺ، ثم استقر أمر أهل السنة- بعد الدراسة وبعد القناعة ممن كانوا يفضلون عليًّا على عثمان- استقر رأيهم على أن فضلهم على هذا الترتيب؛ على ترتيبهم في الخلافة.

وكان بعضهم يغضب من تقديم علي على عثمان ويشتد في الكلام، لكن ابن تيمية يخفف من وطأة الخلاف في مسألة التفضيل- وإن كان استقر أمرهم وإجماعهم على تفضيل عثمان على علي -؛ فقال: «أما الخلافة؛ فمن طعن في خلافة أحد منهم فهو أضل من حمار أهله»، وهذا لا يقوله فيمن يعترف بفضل عثمان وعلي، لكن يفضل عليًّا على عثمان، ما يقال فيه: أضل من حمار أهله؛ لأن بعض السلف ومنهم سفيان الثوري وأبو حنيفة- رحم اللَّه الجميع- كانوا يرون أن عليًّا أفضل من عثمان ثم بعد ذلك مشوا مع الجماعة.

قال المصنف: «ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول اللَّه ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي» وهذا دلت عليه أدلة كثيرة؛ يعني: على تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رضوان اللَّه عليهم-.

فمن الأدلة على تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ: «أن رسول اللَّه ﷺ صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال رسول اللَّه ﷺ: «اثْبُتْ أُحُد فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان»[1].

وعن أبي موسى الأشعري قال: «خَرَجَ النبي ﷺ إلى حَائِطٍ من حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ لِحَاجَتِهِ وَخَرَجْتُ في إِثْرِهِ فلما دخل الْحَائِطَ جَلَسْتُ على بَابِهِ وَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ الْيَوْمَ بَوَّابَ النبي ﷺ ولم يَأْمُرْنِي فَذَهَبَ النبي ﷺ وَقَضَى حَاجَتَهُ وَجَلَسَ

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٧٥)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ].

على قُفِّ الْبِئْرِ فَكَشَفَ عن سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا في الْبِئْرِ فَجَاءَ أبو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عليه لِيَدْخُلَ فقلت: كما أنت حتى أَسْتَأْذِنَ لك فَوَقَفَ فَجِئْتُ إلى النبي ﷺ فقلت: يا نَبِيَّ اللَّهِ أبو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ قال: «**ائْذَنْ له وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**». فَدَخَلَ فَجَاءَ عن يَمِينِ النبي ﷺ فَكَشَفَ عن سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا في الْبِئْرِ، فَجَاءَ عُمَرُ فقلت: كما أنت حتى أَسْتَأْذِنَ لك فقال النبي ﷺ: «**ائْذَنْ له وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**». فَجَاءَ عن يَسَارِ النبي ﷺ فَكَشَفَ عن سَاقَيْهِ فَدَلَّاهُمَا في الْبِئْرِ فَامْتَلَأَ الْقُفُّ فلم يَكُنْ فيه مَجْلِسٌ، ثُمَّ جاء عُثْمَانُ فقلت: كما أنت حتى أَسْتَأْذِنَ لك فقال النبي ﷺ: «**ائْذَنْ له وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَهَا بَلَاءٌ يُصِيبُهُ**». فَدَخَلَ فلم يَجِدْ مَعَهُمْ مَجْلِسًا فَتَحَوَّلَ حتى جاء مُقَابِلَهُمْ على شَفَةِ الْبِئْرِ فَكَشَفَ عن سَاقَيْهِ ثُمَّ دَلَّاهُمَا في الْبِئْرِ فَجَعَلْتُ أَتَمَنَّى أَخًا لي وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ. قال ابن المسيب: فَتَأَوَّلْتُ ذلك قُبُورَهُمْ؛ اجْتَمَعَتْ هَا هُنَا وَانْفَرَدَ عُثْمَانُ»[1]. يعني النبي ﷺ وأبو بكر وعمر دُفِنوا في مكان واحد. وأما عثمان فدفن مع الصحابة في البقيع.

فهذا الحديث يدل على فضائلهم وشهادة رسول اللَّه ﷺ لهم بالجنة، وفضائلهم كثيرة كثيرة وكثيرة -رضوان اللَّه عليهم-.

ومنها كما قال ابن عمر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الرِّيّ يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر ابن الخطاب**». قالوا: فما أولته يا رسول اللَّه؟ قال: «**العلم**»[2].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه**

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٧٤)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ] ومسلم [برقم (٢٤٠٣)، كتاب فضائل الصحابة] واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٨١)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ] ومسلم [برقم (٢٣٩١)، كتاب فضائل الصحابة].

قميص يجره». قالوا: فماذا أولت ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: **«الدين»**(١).

ويكفي أبا بكر رضي الله عنه أنه لما ارتد كثير من الأعراب، ومنهم من منع الزكاة وناظره الصحابة وعمر في قتالهم؛ صمم على قتالهم، جادله عمر رضي الله عنه وقال له: كَيْفَ تُقَاتِلُ الناس وقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يقولوا لَا إِلَهَ إلا اللَّه فَمَنْ قالهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ»** فقال: «واللَّه لَأُقَاتِلَنَّ من فَرَّقَ بين الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فإن الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ واللَّه لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهَا» قال عُمَرُ رضي الله عنه: «فَوَ اللَّهِ ما هو إلا أَنْ قد شَرَحَ اللَّه صَدْرَ أبي بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(٢).

ومن فضائل أبي بكر وعمر قول النبي ﷺ الدال على خلافتهما أو الإشارة إلى ذلك: **«اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ من بَعْدِي أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ»**(٣).

ولعثمان فضائل ولعليّ فضائل كثيرة.

الشاهد: أن هذه إشارة إلى أن أهل السنة يحترمون الصحابة جميعًا ويحبونهم ويجلونهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، ويؤمنون بقول النبي - عليه الصلاة والسلام-: **«لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ أَوْ نَصِيفَه»**(٤).

فهذا الحديث يكفي قاطعًا لألسنة من يتكلمون في أصحاب رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام-؛ يعني: لو تنفق ملأ هذه الدنيا ما بلغت ما بلغه أحدهم من

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٩١)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ] ومسلم [برقم (٢٣٩٠)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص٢١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) والترمذي (٣٦٦٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١١٤٢).

(٤) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٧٣)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ]، ومسلم [برقم (٢٥٤٠)، في فضائل الصحابة] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المنزلة عند اللَّه -تبارك وتعالى- بإنفاقه نصف مدّ من شعير.

واللَّه -تبارك وتعالى- قد أثنى عليهم في كتابه ﷻ فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

أخذ مالك من هذه الآية: أن من يغيظه أصحاب محمد فهو كافر، وليس له حقّ في الفيء.

ويقول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٩-١٠]. فبين اللَّه -تبارك وتعالى- في هذه الآيات فضائل المهاجرين وقدمهم على الأنصار، وذكر فضائل الأنصار وكيف استقبلوا أصحاب محمد وكيف أكرموهم وآثروهم على أنفسهم، ثم أثنى على من يأتي بعدهم فيترحم عليهم ويستغفر لهم ويواليهم؛ وبين أنهم يستحقون من اللَّه الثناء إذا استقاموا في عقائدهم ومناهجهم.

وقال في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾؛ فاللَّه ﷻ قد رضي عن السابقين الأولين ومن تبعهم ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾. فهذه تزكية من اللَّه ﷻ وشهادة منه لهم بأنه قد رضي عنهم، ورضي عمن يتبعهم بإحسان.

فأَحْسِنوا اتّباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ أحسنوا اتباعهم

واسلكوا طرقهم السديدة -رضوان الله عليهم-، واعرفوا لهم قدرهم؛ تنالوا رضا الله -تبارك وتعالى- باتّباعهم، وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة في العقيدة، وفي المنهج، وفي الأخلاق وفي السلوك وفي كل ما ثبت من صفاتهم العظيمة، وادرسوا سيرهم.

إذا درست لعمر كأنك والله تعيش مع نبي في أخلاقه وعدله وخوفه من الله -تبارك وتعالى- روى البخاري(١) عن المسور بن مخرمة قال: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ فقال له ابن عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ- يعني: يخفف عنه الألم؛ الجزع هو الخوف من المستقبل -: «يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَلَئِنْ كان ذَاكَ لقد صَحِبْتَ رسول اللَّهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وهو عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وهو عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ». قال: «أَمَّا ما ذَكَرْتَ من صُحْبَةِ رسول اللَّهِ ﷺ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ من اللَّهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا ما ذَكَرْتَ من صُحْبَةِ أبي بَكْرٍ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ من اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا ما تَرَى من جَزَعِي فَهُوَ من أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ. والله لو أَنَّ لي طِلَاعَ الأرض ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ من عَذَابِ اللَّهِ ﷻ قبل أَنْ أَرَاهُ».

انظروا يا إخوة! هذا الرجل الذي أعزّ الله به الإسلام؛ قال فيه ابن مسعود فيما رواه البخاري عن قيس قال: «قال عبد اللهِ: ما زلنا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»(٢).

كان كفار قريش متجرئين على رسول الله وعلى أصحابه، فلما أسلم عمر اشتد ساعد المسلمين وعزّوا به ﵁، وكان من أشد الناس قبل أن يسلم على الإسلام ثم لما أسلم أعزّ الله به الإسلام ﵁.

وقال يومًا لأبي موسى: «يا أَبَا مُوسَى هل يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مع رسول اللهِ ﷺ

(١) في صحيحه [برقم (٣٦٩٢)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ].
(٢) البخاري [برقم (٣٦٨٤)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ].

وَهِجْرَتُنَا معه وَجِهَادُنَا معه وَعَمَلُنَا كُلُّهُ معه بَرَدَ لنا وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ».

فقال أبو موسى: لا والله؛ قد جَاهَدْنَا بَعْدَ رسول اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا وَأَسْلَمَ على أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَإِنَّا لَنَرْجُو ذلك.

فقال عمر: «لَكِنِّي أنا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بيده لَوَدِدْتُ أَنَّ ذلك بَرَدَ لنا وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ»[1].

ملأ الدنيا عدلًا رضي الله عنه وفتح الفتوحات، ثم مع ذلك هذا خوفه من اللَّه عز وجل! يريد أن تسلم له أعماله في عهد الرسول، أما أعماله في عهد أبي بكر وجهاده وفتوحاته وعدله و . . و . . إلى آخره؛ كلها يريد السلامة منها. والواحد منا يعمل عملًا قليلًا ثم يغتر فيقول: أنا فعلت وأنا فعلت وأنا فعلت! وهو رضي الله عنه كل هذه الأعمال يريد السلامة منها، وزيادة على ذلك عندما استشهد يقول: «واللَّه لو أَنَّ لي طِلَاعَ الأرض ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ من عَذَابِ اللَّهِ عز وجل قبل أَنْ أَرَاهُ رضي الله عنه».

ومن فضائله وفضائل أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُرِيتُ في الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ على قَلِيبٍ فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللَّهُ يَغْفِرُ له ثُمَّ جاء عُمَرُ بن الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا فلم أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حتى رَوِيَ الناس وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ**»[2] يعني: أن أبا بكر رضي الله عنه ما اتسع له الوقت للفتوحات؛ إذ كانت خلافته سنتين كما سيأتي، مع انشغاله بحروب المرتدين من مانعي الزكاة، أما عمر فكانت خلافته عشر سنوات وفتح اللَّه على يديه فتوحات؛ فبدأ أبو بكر- بعد القضاء على الردّة- يجهز الجيوش إلى الشام وإلى العراق وتوفي في هذه الأثناء، وخلفه عمر وتم له فتح العراق وما وراء العراق

(١) البخاري [برقم (٣٩١٥)، كتاب مناقب الأنصار] من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٨٢)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ] ومسلم [برقم (٢٣٩٣)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

وفتح الشام وفتح مصر رضوان الله عليه، وطال عمره وأوسع الناس عدلًا حتى ضرب الناس بعطن فعلًا؛ يعني: الإبل تشرب وتروى ثم تبرك حول الحياض، فالمسلمون رووا ونهلوا من الإيمان والعدل في حياة عمر رضي الله عنه، قال: «**فما رأيت عبقريًّا يفري فريه**» يعني: ينزع مثل نزعه؛ «**استحالت الدلو غربًا**» وهو ينزع بقوة رضي الله عنهم جميعًا.

ولا شك أن أبا بكر أفضل من عمر رضي الله عنهما، والأدلة على ذلك كثيرة منها إشارات إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

واختلف الناس هل الرسول استخلف أو لم يستخلف؟

فيدّعي الروافض أن الرسول وصّى لعلي رضي الله عنه! وهذا كذب، ويدعي الراوندية الذين يتولون العباس رضي الله عنه- وهم أضلّ من الروافض-؛ يدّعون أن الرسول نصّ على خلافة العباس! وهذا كذب!

وأهل السنة: منهم من يرى أن خلافة أبي بكر كانت بالاختيار؛ أي: تمّت باختيار الصحابة له فاختاروه وقدموه خليفة عليهم.

ومنهم من يرى أن رسول الله نصّ عليه نصًّا خفيًّا؛ نصوصًا خفيّة ليست جلية، ومنهم الحسن البصري وهو رأي للإمام أحمد وبعض الحنابلة؛ ابن حامد وغيره.

يرون أن الرسول نصّ على أبي بكر نصًّا خفيًّا، ومن ذلك قوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[1].

ومن ذلك تقديمه لأبي بكر في الصلاة كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا ثَقُلَ رسول اللَّهِ ﷺ جاء بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فقال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». قالت: فقلت: يا رسول اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى

(١) سبق تخريجه في (ص٢٥٦).

يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ الناس فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ! فقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». قالت: فقلت لِحَفْصَةَ: قُولِي له: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ الناس فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ! فقالت له. فقال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». قالت: فَأَمَرُوا أَبَا بَكْرٍ يصلي بِالنَّاسِ»[1] فصلى بهم مدة مرضه حتى توفي رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

فهذا من الإشارات على استخلاف أبي بكر ﷺ، واستدلوا بأدلة عديدة منها:

عن عَائِشَةَ قالت: قال لي رسول اللَّهِ ﷺ في مَرَضِهِ: «ادْعِي لي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حتى أكتب كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيقول قَائِلٌ: أنا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّه وَالْمُؤْمِنُونَ إلا أَبَا بَكْرٍ»[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق أن النبي ﷺ دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله»[3] يعني: مثل هذه الأدلة التي سقناها؛ هذه ليست نصوصًا على الاستخلاف وإنما فيها إرشادات ودلالات على تقديم أبي بكر واستخلافه وتقديمه على غيره، والإشارات كثيرة في هذا.

قال «يعني شيخ الإسلام»: والرسول -عليه الصلاة والسلام- رضيه، ورضاه مع اتفاق الصحابة أقوى من كتابة العهد أو قال نحو هذا.

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٧٣٠٣)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة] ومسلم [برقم (٤١٨)، كتاب الصلاة] واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٧٢١٧)، كتاب الأحكام] بنحوه، ومسلم [برقم (٢٣٨٧)، كتاب فضائل الصحابة] بلفظه.

(٣) منهاج السنة (١/٥١٦).

الشاهد: أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- دلّ الصحابة وأرشدهم بأمور كثيرة إلى استخلاف أبي بكر رضي الله عنه وبيعته قبل غيره، ورضي بذلك -عليه الصلاة والسلام- وعزم أن يكتب له كتابًا، ثم أعلمه الله أن الناس يأبون إلا أبا بكر قال: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**. وتمّ ذلك لا شك، فكان اتفاق المؤمنين على بيعته مع رضا رسول الله ﷺ أقوى من الكتابة.

وأما استخلاف عمر فكان بتصريح أبي بكر باستخلاف عمر، وقاما جميعًا بأعباء الخلافة على أفضل الوجوه وأكملها.

أما عثمان رضي الله عنه؛ لما اغتيل عمر رضي الله عنه أوصى أن تكون الخلافة في ستة ممن توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. وعمر كان يرجح سعدًا؛ لأنه ما عزله لخيانة ولا لعجز وإنما شغب عليه أهل العراق- وهم أهل شقاق ونفاق والعياذ بالله! -؛ فعزله عمر لا لخيانة ولا لعجز، بل كان قويًّا أمينًا- رضي الله عنهم جميعًا-، وبعد الفراغ من دفن عمر رضي الله عنه؛ اجتمع هؤلاء الستة وجرى التداول بينهم، قال عبد الرحمن: ليتنازل ثلاثة منكم عن حقه للثلاثة الباقين؛ فتنازل الزبير لعليّ وتنازل طلحة لعثمان؛ وتنازل سعد لعبد الرحمن بن عوف؛ فقال لهما عبد الرحمن: أيكم يريد أن يتنازل عن حقه ويكون إليه الاختيار فيمن بقي فأسكتا؛ فقال عبد الرحمن: فأتنازل عن حقي ويكون إلي الاختيار؟ فاتفقوا عليه؛ ودار رضي الله عنه على رءوس الأجناد ورءوس الصحابة من المهاجرين والأنصار وتشاور معهم ليال في هذا؛ كلهم ما كانوا يقدمون أحدًا على عثمان رضي الله عنه، ثم بعد ذلك جمعهم وصعد على المنبر وبايع لعثمان وتمت البيعة لعثمان رضي الله عنه ولم يحصل عليه أيّ خلاف[1].

---

(١) انظر: صحيح البخاري [برقم (٣٧٠٠)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ.] و[رقم (٧٢٠٢) كتاب الأحكام. باب كيف يبايع الإمام الناس].

الشاهد: أن بيعة هؤلاء الثلاثة تمت بإجماع الأمة إلا سعد بن عبادة وهذا لا يضر؛ كان يريد الإمارة ثم تمت البيعة لأبي بكر والحمد لله، أما عمر وعثمان فلم يخالف أحد في بيعتهما، وما يقوله الروافض وما يفترونه على هذه البيعات كلها أكاذيب.

وأثبتوا ﭬ جدارتهم وكفاءتهم وعدلهم وإنصافهم؛ فصدق عليهم قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]. فتحقق هذا على أيدي الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم-.

وعليّ أيضًا تمت له البيعة وحصل الخلاف بسبب الفتنة، وانشق عليه أهل الشام وجرى ما جرى من الفتن، ثم جمع الله المسلمين بفضل تنازل الحسن ﭬ كما أخبر عن ذلك رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فقال: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(١) يعني: بعد ذلك القتال، وبعد أن قتل عليّ ﭬ واستشهد كما استشهد أخواه عمر وعثمان؛ تنازل لمعاوية فتحقق فيه ما قاله رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: «**لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».

ومما يدل على أن خلافة هؤلاء حق وأنهم هم الخلفاء الراشدون قول الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»(٢) هذا الحديث يدل على صحة خلافتهم.

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٢٧٠٤)، كتاب الصلح] من حديث أبي بكرة ﭬ.

(٢) سبق تخريجه.

وحديث: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[1] كما ذكره المؤلف كما روى ذلك سعيد ابن جمهان عن سفينة ﷺ ثم قال لسعيد عدّ: «أبو بكر سنتين وعمر عشرًا وعثمان ثنتي عشرة وعلي ستًا» يعني: مجموعها ثلاثون سنة -رضوان الله عليهم-.

وقال: «فيها خلافة نبوة» وكانت خلافة نبوة ثم كان بعدها ملكًا، وقال فيه «عضوض» والظاهر أنه إشارة إلى ملك بني أمية غير ملك معاوية، أما معاوية فكانت أيامه أيام نعمة وأيام عدل وأيام إنصاف، وهو أفضل ملوك الإسلام جميعًا بما في ذلك عمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بعدله واستقامته، قال الأعمش: «أيام معاوية لو رأيتها! قال: هي أفضل من أيام عمر بن عبد العزيز؟ قال: نعم، قال: من أجل الصحبة؟ قال: من أجل العدل، كان العدل في عهده ضاربًا أطنابه»؛ إذ في عهده كانت فتوحات ﷺ.

فمعاوية لا يلحق الخلفاء الراشدين، ولكن أيامه كانت أيام فضل وأيام عدل وأيام فتوحات وأيام عزة للإسلام والمسلمين؛ بل ملك بني أمية كانت أيامهم أيام عزٍّ للإسلام على ظلم فيهم، وعلى ما وقع منهم من الظلم، وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ما كان عندهم ظلم، والوليد كان عنده شيء من الجبروت، ولكن نسأل الله ﷻ أن يغفر له؛ يعني: كان الناس في رخاء وفي نعمة وفي فتوحات في عهده وفي عهد إخوانه.

على كل حال الإسلام في عهدهم كان عزيزًا كما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا يَزَالُ هذا الْأَمْرُ عَزِيزًا إلى اثني عَشَرَ خَلِيفَةً**». قال: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٠و٢٢١) وابن أبي عاصم في السنة (ق١١٤/ ٢) وقال: «حديث سفينة ثابت من جهة النقل» وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) والترمذي (٢٢٢٦) وقال: وهذا حديث حسن وابن حبان في صحيحه برقم (٦٩٤٣) والبزار في مسنده (٣٨٢٨). وانظر الصحيحة للألباني رحمه الله (١/ ٨٢٠-٨٢٧ برقم ٤٥٩).

لم أَفْهَمْهُ فقلت لِأَبِي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قُرَيْشٍ»[1]؛ فما تنطبق هذه الأيام إلا على أيام الخلفاء الأربعة وبقيتهم من بني أمية، ولما سقطت الدولة الأموية على يد الروافض تمزقت الأمة وتغيرت الأحوال، نسأل اللّٰه العافية، أما أيامهم فكانت -واللّٰه- أيام عزّ للإسلام وأيام فتوحات.

نسأل اللّٰه -تبارك وتعالى- أن يجعلنا ممن يحب أصحاب محمد ﷺ ويعرف لهم قدرهم ويتأسى بهم، ونسأل اللّٰه أن يقبل منا هذا الحب وهذا الولاء وأن ينفعنا به وأن يظلنا به في ظل عرشه ونقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وصلى اللّٰه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٩٠، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠)، والبخاري [برقم (٧٢٢٢) و(٧٢٢٣)، كتاب الأحكام] ومسلم [برقم (١٨٢١)، كتاب الإمارة] من حديث جابر بن سمرة ﷺ واللفظ لمسلم.

الصلاة خلف البر والفاجر

«ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كلِّ إمام مسلم برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعيّة، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل».

الشرح:

يعرض المؤلف الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ميزات أهل الحديث؛ الذين علاقتهم بالله قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؛ فيصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ويؤمنون بالوعد والوعيد دون أن يضربوا هذا بذاك كما يفعل أهل الضلال.

فإنّ معتقداتهم في جميع أبواب الدين مبنية على كتاب الله وعلى سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وليس بناء على العقول والآراء، وفي التعامل مع الحكام؛ إنما تعاملهم معهم ينطلق من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، خلافًا للخوارج والروافض ومن سار على نهجهم؛ فإنهم لا يلتفتون إلى كتاب الله ولا لسنة رسول الله في عقائدهم ولا في عباداتهم ولا في مناهجهم ولا في التعامل مع الحكام ولا مع العلماء ولا حتى مع المسلمين؛ تعاملاتهم تقوم على حسب الأهواء- والعياذ بالله! -.

لكن السلفي الصادق المخلص ينظر في كل عمل أو عقيدة فيقيمها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، يحاربون الهوى

ويحاربون البدع والضلالات، ويرفعون راية السنة، وينصحون للمسلمين ويبيِّنون لهم الحقّ؛ يبيِّنون لهم طريق الهدى من الضلال ويبيِّنون لهم ما يسعدهم في دنياهم وفي أخراهم.

فإن اللَّه -تبارك وتعالى- مدح هذه الأمة بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ومدحهم بأنهم كانوا متفرِّقين فاجتمعوا على كتاب اللَّه وعلى سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وتآلفوا على كتاب اللَّه وعلى سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، ومدحهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ثم الرسول -عليه الصلاة والسلام- في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ينظر إلى المصالح والمفاسد، وربى أمته المخلصين وصحابته الأكرمين على بُعد النظر في المشاكل التي تلمّ بالمسلمين والأحداث التي تنزل بهم، وبيّن لهم كيف تُواجه وكيف تُغيَّر؟ فوضع لنا منهجًا نراعي فيه المصالح والمفاسد:

- فأمرنا بطاعة الولاة فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه ومن عصاني فقد عصى اللَّه ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**»[1]، وبيّن أن هناك حكّامًا سينحرفون عن كتاب اللَّه وعن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- ونعرف منهم وننكر وأنهم يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته فكيف نتعامل معهم؟

الخوارج والمعتزلة جعلوا من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدخلوا في ضمنه الخروج على الحكام، بل أهم الأمور في تغيير المنكر عندهم الخروج بالسلاح على الحكام! من أبرز ما عندهم في الأمر بالمعروف والنهي

(١) أخرجه البخاري [برقم (٧١٣٧)، كتاب الأحكام] ومسلم [برقم (١٨٣٥)، كتاب الإمارة] من حديث أبي هريرة ﷺ.

عن المنكر الذي شرعه اللَّه الخروج على الحكام بالسيف!

والرسول ﷺ راعى المصالح والمفاسد، وماذا يترتب على الخروج؟ لا شك أنه يترتب على الخروج سفك الدِّماء وهتك الأعراض وتشتيت المسلمين وتسليط الأعداء عليهم؛ يترتب على ذلك مفاسد عظيمة وخطيرة جدًّا، فأمر بالصبر عليهم.

- وأمر أمته بقتال أهل البدع وقتلهم أيضًا كما قال في الخوارج: **«أينما وجدتموهم فاقتلوهم»** **«هم شر الخلق والخليقة»**(١)، وفي المقابل أمرهم بالصبر على الحكام؛ لأن في قتل الخوارج إزاحة لهذا الوباء عن صفوف الأمة؛ لأن الخوارج يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم ويسلّون السيوف عليهم، ويمسكون سيوفهم عن عبّاد الأوثان ويسلِّطونها على عباد اللَّه المؤمنين!

فالحاكم مادام في دائرة الإسلام تجب طاعته في طاعة اللَّه ولا طاعة له في معصية اللَّه. ترى أهل الحديث هذا منهجهم؛ لا نطيع أحدًا في معصية اللَّه كائنًا من كان بعد رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ لو يأمرك صحابي بمعصية اللَّه لا تطعه؛ حتى إن رسول اللَّه ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عليهم رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وقال: ادْخُلُوهَا فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وقال الْآخَرُونَ: إِنَّا قد فَرَرْنَا منها. فَذُكِرَ ذلك لِرسول اللَّهِ ﷺ فقال لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: **«لو دَخَلْتُمُوهَا لم تَزَالُوا فيها إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**. وقال لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا. وقال: **«لَا طَاعَةَ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ إنما الطَّاعَةُ في الْمَعْرُوفِ»**(٢) فهذا صحابي! لا نطيعه في معصية اللَّه.

والوالدان أمر اللَّه -تبارك وتعالى- ببرِّهما ولو كانا كافرين، لكن لا طاعة لهما في معصية اللَّه ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٧٢٥٧)، كتاب أخبار الآحاد]، ومسلم [برقم (١٨٤٠)، كتاب الإمارة] واللفظ له من حديث عليّ بن أبي طالب ﷺ.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. أمرك بمصاحبتهما بالمعروف لكن في معصية اللَّه، لا.

فالحاكم إذا أمرك بمعصية اللَّه وقال لك: اقتل فلانًا مثلًا، خذ مال فلان. .إلخ؛ لا يجوز لك أن تطيعه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية اللَّه**». وهو مخلوق مثلك؛ أمَّره اللَّه ﷻ عليك، وأمرك أن تطيعه في طاعة اللَّه.

إذن: طاعة هذا الأمير ترجع إلى طاعة الرسول وإلى طاعة اللَّه ﷷ؛ فإذا أمرك بالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد وأمور من طاعة اللَّه؛ تطيعه. لماذا؟ لأن هذا من طاعة اللَّه ﷷ، أما إذا أمرك بمعصية فهذا ليس من طاعة اللَّه ﷷ بل هذا من معصية اللَّه؛ فلا تطعه. هذا معنى الحديث.

استأذنوه في قتالهم «يعني: قتال الحكام الظلمة» فأبى -عليه الصلاة والسلام-؛ فعن أم سلمة ﵂ أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ من رضي وَتَابَعَ**». قالوا: **أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ**؟ قال: «**لَا ما صَلَّوْا**»(١) وقال ﷺ في حديث آخر: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ الذي لَكُمْ**»(٢).

إذا استأثر الحاكم بالمال والمناصب فهل نثور عليه بالسلاح؟

الجواب: نصبر لإبقاء الهيبة للمؤمنين وتبقى شوكتهم قويةً وسيفهم مسلولًا على الأعداء وليس على أنفسهم؛ لأننا إذا ثرنا عليه جاءت مفاسد لا أول لها ولا آخر، وتفرقت كلمة المسلمين وسلط اللَّه عليهم الأعداء. . . إلى آخره. يعني: بالصبر عليهم تتحقق مصالح عظيمة وتدرأ مفاسد كبيرة وخطيرة

(١) أخرجه مسلم [برقم (١٨٥٤)، كتاب الإمارة].

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤) والبخاري [برقم (٧٠٥٢)، كتاب الفتن] ومسلم [برقم (١٨٤٣)، كتاب الإمارة] والترمذي (٢١٩٠) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. واللفظ له من حديث ابن مسعود ﵁.

لا نهاية لها .

فالشارع الحكيم أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ووضع لنا لذلك ضوابط .

منها : أنه بيّن لنا كيفية مواجهة المنكرات التي تحصل من الحكام؛ بألا نطيعهم في معصية اللَّه ، وأمرنا إذا أردنا أن ننصحه ؛ أن ننصحه في السرّ فيما بيننا وبينه بالحكمة والموعظة الحسنة إن سمع وتقبل فذاك ؛ وإن لم يتقبل ؛ فالمنكر الذي ارتكبه يرتكبه على نفسه ، ونكون قد أدينا واجبنا والحمد للَّه . أما الخروج وسلّ السيف عليه فلا ، ما دام في دائرة الإسلام، قال ﷺ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عليهم وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ» . قِيلَ : يا رسول اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فقال : «لَا ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ ، وإذا رَأَيْتُمْ من وُلَاتِكُمْ شيئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ ولا تَنْزِعُوا يَدًا من طَاعَةٍ»(١) . «وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إلا أَنْ ترو كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ من اللَّهِ فيه بُرْهَانٌ»(٢) ، فلا يسمح لك أن تخرج على هذا الحاكم الجائر إلا إذا رأيت الكفر البواح ؛ كأن يبيح الخمر أو يبيح الخنزير أو يبيح الربا علانية ، فهذا كفر بواح -بارك اللَّه فيكم- .

هذا إذا كان للمسلمين قدرة على تنحيته ؛ فليقوموا بذلك ، وأما إذا عجزوا فلا يكلِّف اللَّه نفسًا إلا وسعها . أما مادام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصلي ويصوم ويجاهد ؛ مادام يصلي فقط نطيعهم «ما أقاموا فيكم الصلاة» .

فهذا هو المنهج الصحيح الذي سار عليه أهل الحديث انطلاقًا من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في كل شئونهم الدينية والدنيوية

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (١٨٥٥)، كتاب الإمارة] من حديث عَوْفِ بن مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٧٠٥٦، ٧٠٥٥)، كتاب الفتن]، ومسلم [برقم (١٧٠٩)، كتاب الإمارة] من حديث عبادة بن الصامت ﷺ .

والاجتماعية والسياسية؛ كلها تنطلق من كتاب اللّه ومن سنة رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام-.

والإمام البخاري قالوا: كان لا يتحرك حركة إلا بحديث، وفي إحدى سفراته اقترب من العدوّ واستلقى قالوا: بأيّ حديث؟ قال: الرسول ﷺ أمرنا أن نأخذ بالقوة- أو كما قال -؛ يعني: الرسول ﷺ أمرنا أن نعدّ العدّة للعدو وأن نتقوى؛ فأمرنا بالفطر لمواجهة العدو في رمضان؛ نفطر في رمضان حتى نكتسب قوة على العدو.

الشاهد: أن أهل الحديث المخلصين الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وعقائدهم ومناهجهم ملتزمون بكتاب اللّه ومن ذلك التعامل مع الحكام.

إذا تعاملنا مع الحكام انطلاقًا من كتاب اللّه ومن سنة رسول اللّه -عليه الصلاة والسلام- قالوا: عملاء، جواسيس!! هم خوارج!

الآن أصبحوا جسورًا؛ مدّوا الجسور مع الحكام ويمدحونهم بالكذب ويغرّونهم بالكذب، لا يمدحونهم بالصِّدق ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر! بل إذا رأوا الحاكم فيه خطأ توسعوا في هذا الباب ويجرونه إلى البلايا والمشاكل والعياذ باللّه!

أما نحن فلا نزال عملاء! حتى لو ما سلكنا هذه المسالك فنعوذ باللّه من هذا البلاء، وهي طريقة الخوارج والمعتزلة والروافض!!

الخوارج والروافض يطعنون في الصحابة وخرجوا على عثمان، وخرجوا على علي وخرجوا على الحكام، وكم لقيت الأمة منهم من المفاسد ومن المهالك، وشتتوا أمر الأمة ومزقوها أشلاء حتى أصبحت أذلّ الأمم بسبب التفرق وبسبب مخالفة كتاب اللّه وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في العقائد وفي السياسة؛ فلم يلتزم الكثير منهم العقيدة الإسلامية ولا التزموا

السياسة الإسلامية التي شرعها الله على لسان رسوله ﷺ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين». وهذا بخلاف الروافض؛ إذ إنهم لا يرون الجمعة والعيدين مع الحكام؛ فالروافض ينتظرون المهدي الإمام المعصوم! في الجمعة والجماعة، وإذا صلوا معنا فهم كذابون وإنما ذلك من باب التقية، ولو أنشئوا المساجد فهم كذابون؛ لأن في دينهم لا جمعة ولا جماعة حتى يأتي الإمام!

والصحابة كانوا يصلون خلف أهل البدع؛ يصلون وراء الحجاج ويصلون وراء الخوارج لأن الرسول ﷺ أمرهم بالجماعة، ولما حاصروا عثمان وتغلبوا في المدينة وراح إمام الثوار قبّحه الله يصلي بالناس قالوا لعثمان: «إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ وَنَزَلَ بِكَ ما ترى وَيُصَلِّي لنا إِمَامُ فِتْنَةٍ وَنَتَحَرَّجُ فقال: «الصَّلَاةُ أَحْسَنُ ما يَعْمَلُ الناس فإذا أَحْسَنَ الناس فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ وإذا أساءوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»(١)؛ يعني: صلوا معهم لأن هذا إحسان، فإن أساءوا فلا تسئ معهم، هذا الخليفة الراشد ظلموه وافتروا وكذبوا عليه وحاصروه ومنعوه من الماء ويقولون له: أنت إمام جماعة وهؤلاء الذين يصلون بنا أهل فتنة فقال لهم: صلوا مع الجماعة فإن أحسنوا فأحسنوا.

انظروا الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- في أحلك الظروف وأشدها لا تغلب عليه عاطفة ولا هوى؛ يُحكِّم شرع الله «إن أحسن الناس فأحسنوا».

فالمبتدع إذا صلّى فقد أحسن، فصل معه مادام لم يكفر، فإذا كفر فلا صلاة وراءه، لكن مادام هذا المبتدع في دائرة الإسلام وتسلط علينا وصلّى بنا فنصلي وراءه، إذا أمكننا أن نبعده بدون مفاسد ونأتي بإمام سنيّ؛ فهذا يجب علينا، وإذا

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٩٥)، كتاب الأذان].

عجزنا فنصلّي.

ولهذا حدد اللَّه مواقيت للصلاة والرسول -عليه الصلاة والسلام- أكدها، وأخبر أنه ستكون أمراء يؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى(١).

ويعتبر هذه الصلاة كأنها صلاة المنافقين(٢) ومع ذلك أمر بالصلاة مع الجماعة وراء هذا الإمام الذي يؤخر الصلاة؛ قال لك: صلّ في بيتك فإن وجدت جماعة يصلون في المسجد فصلّ معهم، هؤلاء الذين يتعمدون تأخير الصلاة إلى آخر وقتها أو إلى دخول الوقت الثاني واقعين في جريمة، لكنك إذا رأيتهم يصلون في جماعة فصلّ معهم؛ ضبط في الأمور وحرص على وحدة الكلمة وإبعاد الأمة عن الخلافات التي تؤدي إلى تمزيقهم وتشتيتهم.

فأهل السنة أخذوا بهذا المنهج؛ يصلون وراء ولاة الأمور ولو كانوا جورة؛ يصلون وراءهم الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات كصلاة الكسوف

(١) يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه مسلم [برقم (٥٣٤)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ، ولفظه: «عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ قالا: أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فِي دَارِهِ فَقال: أَصَلَّى هَؤُلَاءِ خَلْفَكُمْ فَقُلْنَا: لَا قال: فَقُومُوا فَصَلُّوا فَلَمْ يَأْمُرْنَا بِأَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ. قال: وَذَهَبْنَا لِنَقُومَ خَلْفَهُ فَأَخَذَ بِأَيْدِينَا فَجَعَلَ أَحَدَنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ قال فَلَمَّا رَكَعَ وَضَعْنَا أَيْدِيَنَا عَلَى رُكَبِنَا قال: فَضَرَبَ أَيْدِيَنَا وَطَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْهِ ثُمَّ أَدْخَلَهُمَا بَيْنَ فَخِذَيْهِ، قال: فَلَمَّا صَلَّى قال إِنَّهُ سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مِيقَاتِهَا وَيَخْنُقُونَهَا إِلَى شَرَقِ الْمَوْتَى فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِمِيقَاتِهَا وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً وَإِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَصَلُّوا جَمِيعًا وَإِذَا كُنْتُمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ وَإِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْرِشْ ذِرَاعَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَلْيَجْنَأْ وَلْيُطَبِّقْ بَيْنَ كَفَّيْهِ فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اخْتِلَافِ أَصَابِعِ رسول اللَّهِ ﷺ فَأَرَاهُمْ».
و«شرق الموتى»: بفتح الشين والراء، قال ابن الأعرابي: فيه معنيان:
أحدهما: أن الشمس في ذلك الوقت- وهو آخر النهار- إنما تبقى ساعة ثم تغيب.
والثاني: أنه من قولهم: شرق الميت بريقه. إذا لم يبق بعده إلا يسيرًا ثم يموت. قاله النووي.

(٢) إشارة إلى حديث رواه مسلم [برقم (٦٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] عن أنس بن مالك ولفظه: عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ وَدَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قال: أَصَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ، قال: فَصَلُّوا الْعَصْرَ فَقُمْنَا فَصَلَّيْنَا فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قال سَمِعْتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا».

والاستسقاء أيّ صلاة يصلونها يصلي معهم؛ أيّ صلاة تُشرَع فيها الجماعة لا نقول هذا الإمام مبتدع أو هذا الإمام فاجر أو فاسق بل نصلي معه الجماعة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلف كل إمام مسلم» فالكافر لا نصلي وراءه «برًّا كان أو فاجرًا»؛ لأن الخوارج يكفرون بالكبائر! والمعتزلة لا يقولون كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين! فالخوارج عندهم إذا وقع في أيّ كبيرة خرج من دائرة الإسلام حاكمًا كان أو محكومًا، أما أهل السنّة فلا يخرج- عندهم- من الإسلام بارتكاب الكبيرة ما لم يستحلها، ولا يخرج من الإسلام إلا بالكفر والشرك، أما بالمعاصي ولو كانت كبيرة ولو أصرّ عليها فهو مذنب مجرم، متوعَّد عليها بالنار، لكن لا نخرجه من دائرة الإسلام ولا نحكم عليه بالخلود في النار.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون جهاد الكفرة معهم»؛ لأن في جهاد الكفرة قوة للإسلام والمسلمين وحماية لهم.

ولو تركنا جهاد الكفار معهم وقلنا: واللَّه هذا الإمام فاجر كيف نقاتل معه؟! وجاء العدو وهجم على بلادنا لا نقاتله ولا ندافع عليه؛ لأن الحاكم فاجر؛ لضاعت بلاد المسلمين وتغلب الكفار وأنشئت الكنائس والبِيَع وأبيحت المحرمات إلى آخره.

فوجود الحاكم- ولو كان فاسقًا -: فيه احترام للإسلام، وتكون شعائر الإسلام قائمة ويحصل به خير كثير ولو كان فاجرًا في نفسه ولو انتشر شيء من فجوره، لكن إذا قارنت بين احتلال الكفار لبلاد المسلمين وبين حكم هذا الفاسق وما يوجد في حكمه من الفساد لوجدت المسافة كبيرة وعظيمة جدًّا.

إذن هم يراعون المصالح والمفاسد في التزامهم بالجهاد مع الحاكم الفاجر، ولو أخذنا برأي الخوارج والروافض «لا نقاتل مع حاكمنا لأنه فاجر» وجاءتنا بريطانيا أو أي دولة يهودية أو نصرانية؛ احتلوا بلادنا ولا نجاهد معهم،

ما هي النتيجة؟! نسأل اللَّه العافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرون الدُّعاءَ لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعيّة» ندعو لهم بالصلاح والإصلاح؛ وكان الأئمة ومنهم الإمام أحمد يقول: لو أنّ لي دعوة مستجابة لدعوت بها للحاكم؛ لأن في صلاحه صلاحًا للأمّة، فإذا أصلحه اللَّه أصلح به الأمة، ويمثّلون الحاكم بالقلب؛ إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كلّه- والعياذ باللَّه! -.

فنحن نحرص على إصلاح الحكام بالنصيحة وبالحكمة والموعظة الحسنة على الطريقة الشرعية، وليس بالتشهير والتحدِّي والتهييج، لا، وإنما بالطريقة الحكيمة وهذا المسلك سلكه الصحابة؛ فكانوا ينصحون الأمير فيما بينهم وبينه.

الآن- واللَّه- العامي في الشارع تتردد كيف تنصحه وبأي أسلوب تتعامل معه؟! تأتيه بأسلوب لطيف ولطيف ثم ما أدري هل يقبل أو لا؟! فكيف بواحد عنده شوكة وعنده سلطان وعنده قوة وتأتي تهينه أمام الناس وتشهِّر به كيف يقبل منك؟! إذن هؤلاء الذين يشهِّرون لا يريدون الخير؛ يريدون إثارة الناس ويريدون الفتن ولا يريدون الإصلاح! فالإصلاح له طرقه بارك اللَّه فيكم!

فندعو لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية؛ ندعو لهم بهذه الأشياء كلها، نسأل اللَّه أن يصلحهم ويصلح لهم الرعايا، ونؤلف الناس عليهم ونصبِّرهم عليهم بالحكمة ونبيِّن لهم المصالح الكبيرة التي تترتب على ذلك، ونبيِّن لهم المفاسد التي في الثورة وفي التهييج وفي سلِّ السلاح وماذا يترتب عليه من مفاسد عظيمة وإلى آخره، وكيف وجهنا رسول اللَّه ﷺ ونذكر لهم الأحاديث التي وردت في هذا الباب.

كنا نذكر هذه الأحاديث وأحاديث كثيرة ونفصِّل فيها فيعتبروننا عملاء! الذي يبيِّن للناس منهج الحق يعتبرونه عميلًا! فنعوذ باللَّه من الفتن.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف»؛ فلا يرون الخروج عليه بالسيف كما يراه الروافض والخوارج وأهل الفتن الذين أخذوا بهذه المناهج الفاسدة «وإن رأوا منهم العدول عن العدل» يعني: مالوا إلى الجور والحيف.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل» الفئة الباغية نقاتلها مع الحاكم، إذا خرجت فئة على الحاكم ولو فاجرًا نقوم إلى الفئة الباغية فننصحها ونتعرف على مطالبها، فإن كانت حقًّا طلبنا من الحاكم إزالة شكواهم؛ فإن فاءوا ورجعوا إلى طاعة الإمام وإلا قاتلناهم مع الحاكم المسلم.

وإن كانوا خوارج مُكَفِّرين للحاكم جهلًا وظلمًا وخرجوا عليه، فعلينا أن نقاتلهم مع الحاكم، ولهذا قاتل الصحابة والتابعون مع بني أمية على ما فيهم من الانحراف؛ قاتلوا الخوارج فهذا هو الطريق الصحيح.

والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، أي: إذا كان هناك فئتان من المسلمين حصل بينهما قتال؛ فإننا نحاول الإصلاح بينهما، فإذا بغت إحداهما على الأخرى نقاتل التي تبغي، فإذا بغت وسلّت سيفها على الحاكم فإنما تبغي وتخرج على الأمة وتمزّق كلمتها وتعرِّضها للمحن والفتن والذلّ والهوان فيجب أن نقاتلهم.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يوفقنا للتمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ وأن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن إن ربنا لسميع الدعاء، وصَلِّ اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

موقف أصحاب الحديث إزاء الصحابة

«ويرون الكفّ عما شجر بين أصحاب رسول اللَّه ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم. ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم. وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه -رضي اللَّه عنهن- والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين».

الشرح:

قال المؤلف -رحمه اللَّه تعالى- عن أهل السنة والجماعة أهل الحديث: «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول اللَّه ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم. ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه -رضي اللَّه عنهن- والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين».

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول اللَّه ﷺ؛ لأن اللَّه قد زكاهم ورسول اللَّه قد زكاهم ونهى عن سبهم، وبيّن منزلتهم -رضوان اللَّه عليهم- وأنهم لا يُلحقون في الفضل، ولو عبد الإنسان اللَّهَ طول عمره لا تعادل عبادته موقفًا واحدًا من مواقف الصحابي المعيّن مع رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

هذه منزلة الصحابة عند أهل السنة والجماعة؛ زكاهم اللَّه في آيات كثيرة وبين رضاه عنهم وقال لأهل بدر: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**(١)،

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٠٠٧)، كتاب الجهاد والسير]، ومسلم [برقم (٢٤٩٤)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

وشهد رسول اللَّه ﷺ لأهل الحديبية أنهم يدخلون الجنة ولا يدخل أحد منهم النار -رضوان اللَّه عليهم-، واللَّه -تبارك وتعالى- يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

وإذا كان اللَّه قد رضي عنهم وزكاهم هذه التزكية ورضي عمن تابعهم بإحسان؛ فما الذي يدخلك في الكلام في الصحابة والبحث عن أخطائهم وعما شجر بينهم، ما الداعي لهذا البحث؟!

فلا يبحث في هذه الأشياء إلا أهل الفتن من الخوارج والروافض، أما أهل السنة فيرون السكوت عما جرى بين الصحابة؛ لأنهم كلهم مجتهدون، والذي يحملنا على أن نعتقد فيهم هذه العقيدة تزكية اللَّه لهم وتزكية رسول اللَّه ﷺ لهم.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حتى يَأْتِيَ على الناس يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ ولا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ». فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذلك؟ قال: «الْهَرْجُ؛ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ»[1]، هذا إذا كان لهوى، أما إذا كان الواحد منهم يرى نفسه على حق ثم قاتل كان هذا مجتهدًا؛ هذا فيما يتعلق بالصحابة، فلماذا نبحث ونقول: هذا باغ وهذا مظلوم وهذا ظالم وهذا كذا..؟! فلا نبحث عما شجر بينهم ولا نبحث عن أخطائهم إطلاقًا.

فأخطاء الصحابة لا نبحث فيها؛ لأن ما نسب إليهم:

- إما أن يكون كذبًا محضًا افتراه عليهم الروافض والخوارج وأهل السوء والإحن، والنواصب أيضًا قد يفترون على عليّ رضي الله عنه.

- وإما أن يكون حصل خطأ في النقل؛ إنسان سمع قصة فحكاها على غير وجهها: فلان قال كذا وكذا؛ حكاها خطأً ونسبها إلى فلان أو إلى مجموعة منهم خطًا!

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٩٠٨)، كتاب الفتن وأشراط الساعة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وما يثبت عنهم قد يكون مرجعه الاجتهاد: «إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وإذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١) -رضوان اللَّه عليهم-.

وما ثبت عليهم منه فإن اللَّه -تبارك وتعالى- يغفره لهم إن شاء اللَّه؛ لأن حسناتهم نرجو أن تكون راجحة على أخطائهم -رضوان اللَّه عليهم-.

يدفعنا إلى هذا الاعتقاد هذه التزكيات لهم؛ إذ شهد اللَّه لهم- للسابقين واللاحقين منهم- بالجنة والرضوان فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: السابقين واللاحقين منهم؛ من هاجر قبل الفتح ومن هاجر بعده؛ كلهم شملتهم رحمة اللَّه، فما الذي يدخلك بين اللَّه وبين عباده؛ الذين هم خُلَّص عباده وأفضل الناس بعد الأنبياء؛ لا كان ولا يكون مثلهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؟!

فالذي ثبت عليه ذنب يغفر اللَّه له لصحبته ولجهاده وبأعماله الصالحة وأسباب كثيرة، وأخيرًا هم أولى الناس بشفاعة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، من أحقّ الناس بشفاعة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- منهم -رضوان اللَّه عليهم-؟!

لهذا نحن لا ندخل فيما جرى بينهم في الجمل وفي صفّين؛ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

فنحن نعتقد في الجميع أنهم أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وأنهم من أبعد الناس عن الأهواء والأغراض، وأن كلًّا منهم مجتهد؛ لأن تلك فتنةٌ جاءت وكل واحد منهم يرى نفسه على الحق، وحتى بعض الصحابة توقفوا لشدة المحنة والفتنة،

(١) أخرجه البخاري [برقم (٧٣٥٢)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة]، ومسلم [برقم (١٧١٦)، كتاب الأقضية] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وكثرة النقول والإشاعات والأخبار جعلت عددًا من الصحابة يتوقفون؛ لا مع هذا ولا مع هذا، ثم بعد ذلك دُرست الأمور وفُهمت و. .و. .إلى آخره، وتبين للناس أن الحق مع عليّ وأولئك مجتهدون.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(١) فمدح الحسن على هذا التصرف الطيب؛ لأنهم كلهم مسلمون، والحسن لا يتنازل لفساق ومجرمين؛ هم فساق ومجرمون كما يصورهم الروافض والخوارج؛ فحاشاه أن يتنازل لمن هذا شأنه وحاشاهم من الفسق والفجور -رضوان الله عليهم-.

قال: «وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم» كما قال عمر ابن عبد العزيز ﷺ: «إنّ الله قد طهر سيوفنا من دمائهم فلنكفّ ألسنتنا عن أعراضهم»- أو كما قال- يعني: أن الله ﷻ كفّ عنا الفتنة؛ فلا ندخل بالألسنة ونلوثها بالكلام فيهم؛ لأنك أنت تتكلم في أصحاب محمد أفضل الخلق بعد الأنبياء، فلا تذكرهم إلا بالخير ولا تذكرهم إلا بالجميل، وتذكر فضائلهم ومحاسنهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم وأموالهم لإعلاء كلمة الله ونصرة هذا الدين، وأنّ الله هدى على أيديهم أممًا، وقضى الله بهم على أهل الردّة، فمن يلحقهم في هذه الأعمال؟! في الصحبة وفي الأعمال أيضًا -رضوان الله عليهم-.

عندما ترى كلام الروافض- قبحهم الله! - في أصحاب محمد، والله أظن أن اليهود ما بلغوا معشار ما بلغه الروافض- قاتلهم الله! - في تحريف دين الله وفي الطعن في أصحاب محمد ﷺ؛ اليهود والنصارى ما بلغوا في تحريف الإنجيل والتوراة ما بلغه هؤلاء؛ فكل آيات اللعن والعذاب والنفاق يصبونها

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٣).

على أصحاب محمد ولا سيما أبا بكر وعمر؛ وكل آيات الوعيد وآيات النار وآيات النفاق وآيات الكذب وآيات الفجور. . ! قبحهم الله!

الآن يقولون: نحن ما نقول: القرآن محرف، ولا نقول: الصحابة حرفوه، ما نقول هذا الكلام! لكن إذا قرأت تفاسيرهم لم تجد تحريفًا وليًّا للنصوص وابتعادًا بها عما أراده الله ﷻ مثل تحريف هؤلاء وفجورهم؛ لأن أصلهم مجوس! عندهم حقد وغلّ على أصحاب محمد ﷺ.

ولما ذكر الله المهاجرين والأنصار في سورة «الحشر» أثنى على من يثني عليهم ويدعو لهم فقال -جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، هذا هو الموقف الذي يجب أن يكون عليه المسلم، وهو الاستغفار لهم والدعاء لهم والترضي عنهم والذبّ عن أعراضهم -رضوان الله عليهم-، فوالله إنهم أولى أن نذبّ عن أعراضهم من الذبّ عن أنفسنا وآبائنا وأبنائنا -رضوان الله عليهم-.

قال: «ويرون الترحم على جميعهم» عليهم جميعًا دون فرق؛ فتقول: أبو بكر ﷺ وتقول: معاوية ﷺ، وعمر ﷺ، وأبو ذرّ ﷺ، وعمار ﷺ، وأصغر الصحابة- وهو أبو الطفيل- تقول فيه: ﷺ؛ آخر من مات منهم هو والسائب بن يزيد ﷺ؛ كلهم من أولهم إلى آخرهم تقول فيهم: رضي الله عنهم.

«وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه -رضي الله عنهن- والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين»؛ يعني: والترضي والترحم على أزواج الرسول ﷺ والذبّ عنهن وعن أعراضهن، واعتقاد أنهن زوجات رسول الله وفي الجنة إن شاء الله -رضوان الله عليهنّ-، واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهنّ بشهادة الله لهن بقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وحرم الله على المسلمين أن ينكحوا أزواج النبي ﷺ من

بعده فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. لأنهن أمهات المؤمنين، فيحرم أن يتزوج بإحداهن بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ فهن أمهات المؤمنين وأفضل من الأمهات، لكن في الحرمة لا في المحرمية؛ يعني: نساء رسول الله ﷺ يحتجبن عن المؤمنين من غير محارمهن؛ لأنه مع أنهن أمهات المؤمنين كنّ يحتجبن عن الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم-.

وكذلك احترام أهل بيت النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-؛ نحترم أهل بيت النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- قام يومًا خطيبًا بماء يدعى خمًّا بين مكة والمدينة؛ فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «**أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»[1] فأوصى ﷺ بهم، لكن لا يأخذ من هذا أن الخلافة لهم أبدًا، ولو كانت الخلافة لهم لأوصاهم بالناس، لكنه ﷺ أوصى الأمة بهم؛ فعلينا أن نحترمهم ونعرف قدرهم وفضلهم لقرابتهم لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ونقدم الواحد منهم على الواحد من غيرهم إذا كانا متساويين؛ إذا كان يستوي رجلان في العلم والفضل: واحد من أهل البيت والآخر من غير أهل البيت؛ نقدّم هذا الذي من أهل بيت النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ فنكرمه ونجله أكثر من غيره.

فالتقي والصالح والملتزم من أهل البيت لو ساواه إنسان من غيرهم في الفضل والعلم نقدمه ونرجحه عليه؛ لقرابته من رسول الله ﷺ ولأن الرسول ﷺ أوصى به، أما الفاسق فهذا له شأن آخر.

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٤٠٨)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

وكان أبو بكر وعمر يقدمان أهل بيت النبي ﷺ على أُسَرِهم، بل كان عمر يقدم مولى رسول اللَّه أسامة على ابنه عبد اللَّه بن عمر- وهما سواء في السن -، يقدمه في العطاء ويفضله- وهو مولى وليس من أسرته -، ويقدم أهل بيته على أسرته.

وأبو بكر ﷺ كذلك؛ كان يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَقَرَابَةُ رسول اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إلي أَنْ أَصِلَ من قَرَابَتِي»[1].

لكن الروافض لا يعترفون بهذه المعاملة النبيلة من الصحابة الكرام لأهل بيت النبي ﷺ، ولا سيّما معاملة أبي بكر وعمر وعثمان -رضوان اللَّه عليهم- لأهل بيت النبي -عليه الصلاة والسلام-! وما كان بينهم إلا التوادّ والتراحم والتعاطف والتزاوج والتصاهر إلى آخره.

هذه الفجوة الكبيرة العظيمة افتعلها أبناء المجوس! أعداء اللَّه وأعداء رسوله، وليسوا أعداء الصحابة فقط؛ لأن هذا الخبث وهذا الحقد لا ينشأ إلا عن عداوة للَّه ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين، ولكنهم يتسترون بأهل البيت تستّرًا خبيثًا لمآرب سياسية- قاتلهم اللَّه! -؛ لأنهم لا يحصلون على أغراضهم ولا ينقاد الناس لهم إلا بهذا المكر وهذا الكيد وافتعال الأكاذيب- لا أكذب منهم-، ثم يبالغون في أهل بيت النبي حتى يجعلونهم آلهة! وأهل البيت- واللَّه- لا يرضون بهذه الأساليب!

* * *

(١) البخاري [برقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، كتاب المغازي]، ومسلم [برقم (١٧٥٩)، كتاب الجهاد والسير] عن عائشة ﵄.

لا تُدْخَل الجنَّةُ بِعَمَلٍ

«ويعتقدون ويشهدون أن أحدًا لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسنًا وعبادته أخلصَ العبادات وطاعته أزكى الطاعات وطريقه مرتضى إلا أن يتفضَّل اللَّه عليه فيوجبها بمنِّه وفضله؛ إذ عَمَلُ الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير اللَّه عزّ اسمه، فلو لم ييسره له لم يتيسر، ولو لم يهده لفعله لم يُهدَ له أبدًا بجهده وجَدّه.

قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾. وقال مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾. وفي آيات سواها».

الشرح:

هذا من عقائد أهل السنة؛ أنهم لا يقطعون لأحد لا بجنة ولا بنار إلا من ورد فيهم النص، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «لن يدخل أحد الجنة بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل»[1].

فأنت لا تدخل الجنة بعملك، وإنما أنت تتسبب بعد توفيق اللَّه لك، والجنة إنما هي فضل منه على عباده ﷻ، حتى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وعلى رأسهم محمد ﷺ؛ ما أحد منهم يدخل الجنة بعمله؛ لأن نعم اللَّه لا يستطيع أحد أن يكافئها؛ لهذا يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2]، فمن يفي بالثناء على اللَّه ﷻ ومن يقوم بشكر

(١) سبق تخريجه في (ص٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم [برقم (٤٨٦)، كتاب الصلاة] من حديث عائشة ﵂.

النعم التي أسداها اللَّه إلى عباده؟! لا أحد يستطيع ذلك، لكن اللَّه يمنّ على من يشاء بالهداية والتوفيق وإنزاله المنازل العظيمة التي يتفضل بها اللَّه على عباده في الجنة.

والعمل سبب وليس ثمنًا للجنة بخلاف ما يعتقده المعتزلة أن الجنة هي ثمن للعمل، لماذا؟ لأنهم يعتقدون أن العمل يخلقه العبد! العبد هو الذي يخلق عمله! فيجب على اللَّه أن يكافئه على هذا العمل! إن كان خيرًا فيجب عليه أن يكافئه بالخير، وإن كان شرًّا فيجب عليه أن يكافئه بالشر؛ أي: بالنار -والعياذ باللَّه-، هذا ضلال!

ولا حجة لهم في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. لأن العمل الصالح سبب لدخول الجنة وليس ثمنًا لها؛ فالباء في قوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سببيةٌ وليست ثمنيةً، ولهذا يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: **«لن يدخل أحد الجنة بعمله»**. قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل»**.

فأهل السنة لا ينزلون أحدًا جنة ولا نارًا؛ لا نقول في الشخص المعيّن: واللَّه فلان في النار أو فلان في الجنة إلا بنص من الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- أو الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأن هناك أقوالًا في هذه المسألة:

فمنهم من يقول: لا نشهد إلا للأنبياء.

ومنهم من يقول: نشهد لمن شهد له رسول اللَّه ﷺ بالجنة كالعشرة المبشرين بالجنة وكثابت بن قيس والجارية وعبد اللَّه بن سلام وأهل الحديبية على العموم؛ أهل الحديبية شهد لهم رسول اللَّه بالجنة وأنهم لا يدخلون النار، وأهل بدر إن شاء اللَّه كذلك، بل الصحابة إن شاء اللَّه يغلب على ظننا أنهم إلى الجنة رأسًا، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وغير الصحابة لا نشهد لأحد لا بجنة ولا بنار.

وهناك من يقول: نشهد لمن شهد له رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- ولمن شهد له المؤمنون؛ إذا أثنوا عليه خيرًا نشهد له بالجنة بدليل ما رواه أنس ﷺ قال: «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار أنتم شهداء اللَّه في الأرض**»[1]. وفي رواية كما في مسند أحمد[2]: أن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَأُثْنِيَ على صَاحِبِهَا خَيْرٌ فقال عُمَرُ ﷺ: وَجَبَتْ. ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ على صَاحِبِهَا خَيْرٌ فقال: وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فقال عُمَرُ ﷺ: وَجَبَتْ. فقال أبو الأَسْوَدِ: فقلت له: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما وَجَبَتْ. فقال: قلت كما قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ له أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ إلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ**». قال: قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ قال: وَثَلاثَةٌ. قُلْنَا: وَاثْنَانِ قال: وَاثْنَانِ قال: ولم نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ» فيذهب بعض العلماء إلى تخصيص هذا بالرسول؛ لأن اللَّه أطلعه على أن هذا في الجنة وهذا في النار.

وبعضهم يخص الشهادة ويقصرها على الصحابة؛ لأنهم أتقى للَّه وأورع وأفقه وأعلم، ومنهم من يقول: لا؛ بل هي تتناول كل مؤمن تقي ثقة؛ يعني بعض الناس قد يشهدون بالزور، فإذا كان إنسان تقيًّا ثقة عدلًا، لا يزكي إلا من يستحق التزكية والثناء بالخير، وشهد أربعة أو ثلاثة أو اثنان- ممن حالهم كهذا- لإنسان بالخير؛ فإنه يُرجى له الجنة، وإذا شهدوا على إنسان بالفسق والفجور يُخاف عليه من النار.

وهنا يقول: «وإن كان عمله حسنًا وعبادته أخلص العبادات..» يقول: لا نشهد له بالجنة؛ كل هذه الأشياء طيبة لكن لا تجعلنا نجزم له ونشهد له

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (١٣٦٧)، كتاب الجنائز] واللفظ له، ومسلم [برقم (٩٤٩)، كتاب الجنائز] من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) (١/ ٤٥).

بالجنة، فهذه الأشياء من طاعة وبر وإحسان وعبادة وإلى آخره وإن بذلها؛ لا نقطع له بجنة، كما إذا رأينا إنسانًا انهمك بالفسق والفجور فلا نشهد له بالنار؛ لأن هذه أمور مغيَّبة لا يعلمها إلا اللَّه، والأعمال بالخواتيم وقد سبق لنا في هذا أحاديث:

منها قوله ﷺ: «**فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**»[(١)].

ومنها قوله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[(٢)].

فالأعمال بالخواتيم؛ لذلك أنت لا تشهد لإنسان صالح بأنه من أهل الجنة مهما بلغ من الصلاح والبذل والجهاد وغيره؛ لا تشهد له بالجنة وإنما ترجو له. وإذا رأيت إنسانًا منهمكًا في الفسق فلا تشهد عليه بالنار أيضًا؛ لأن اللَّه ﷻ قد يرحمه ويوفقه ويسدده فيموت على أفضل الأعمال فيدخل الجنة؛ لأن هذا أمر غيبي فلا تحكم على أحد بجنة ولا نار.

يؤكِّد المؤلف ما يقول من: أن التوفيق للعبد إنما هو من اللَّه ﷻ وليس من عند نفسه؛ فقال: «قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]». قال: «وقال مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وفي آيات سواها» يعني: الهداية فضل من اللَّه، ودخول الجنة فضل من اللَّه، لا يرجع هذا إلى عملك الصالح ولا إلى غيره، وإنما مرد ذلك كله فضل اللَّه ﷻ؛ فاللَّه

(١) سبق تخريجه في (ص٢٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) وأبو داود (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

يتفضل عليك بالإيمان والهداية والتوفيق والاستقامة، وكما يتفضل عليك بهذه الأشياء أيضًا أنت لا تستحق الجنة بهذه الأشياء وإنما تستحقها بمنه وفضله ورحمته ﷻ.

الشاهد: أننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار لأسباب أشرنا إليها سلفًا، فلنتورّع ولنتق الله من الإدلاء بالشهادات، لكن لو قال مثلًا: نشهد لإنسان بالخير؛ فلا بأس، لكن أن يشهد بالجنة أو يشهد بالنار؛ فلا، والشاهد بالنار متألٌ على الله ﷻ قد يوبقه كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر فقال: خلني وربي أبعثت عليّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده؛ لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته»، وفي رواية: «**إن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**»[1]، فلا يتألَّ أحد على الله -تبارك وتعالى- ولا يغترَّ ولا يترفَّعْ على الناس؛ بسبب أنه يعمل الصالحات والآخرين قد وقعوا في شر- والعياذ بالله!-، وإنما يحمد الله ويسأل الله الثبات ويرجع إلى الله أن يثبت قلبه: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[2]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. كن دائمًا على خوف ورجاء، والرسول ﷺ

---

(١) سبق تخريجهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (١٩٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين [(٧/ ٢٢٩) رقم (٣٠٩٦)] عن النواس بن سمعان ﷺ وصححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح الجامع (٧٩٨٨).

يقول: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»[1]؛ فالأنبياء أشد خوفًا لله وإن كانوا على وعد من الله أنهم في الجنة، وكذلك الصحابة لما شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ما كانوا مغترّين بهذه الشهادة؛ بل ما ازدادوا إلا خوفًا من الله واجتهادًا في طاعة الله -تبارك وتعالى-.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري [برقم (٥٠٦٣)، كتاب النكاح] بلفظه عن أنس بن مالك ﷺ، ومن حديث آخر رواه مسلم عن عائشة ﷺ [برقم (١١١٠)، كتاب الصيام].

لكلِّ مخلوقٍ أجلٌ

«ويعتقدون ويشهدون أن اللَّه ﷻ أجَّل لكلِّ مخلُوقٍ أجلًا، وأنَّ نفسًا لن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجلًا، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت، وليس له عنه فوت، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾.

ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله المسمى له، قال اللَّه ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾. وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾».

الشرح:

هذا المبحث يدخل في مباحث القدر التي سلفت؛ يعني: الآجال مقدرة وداخلة تحت تقدير اللَّه -تبارك وتعالى-، وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كَتَبَ اللَّه مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قبل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[1]، والقدر ذكر فيه آيات كثيرة وأحاديث كثيرة وقد مرت بكم، ومنها الآيات التي ذكرها هنا لأنها جزء من آيات القدر.

وعقيدة **أهل السنة**: الإيمان بالقدر، ويدخل فيه أفعال العباد؛ فما من حركة ولا سكون من العباد وغيرهم إلا تقع بإذن اللَّه ومشيئته ﷻ، خلافًا للقدرية الذين يخرجون أفعال العباد عن مشيئة اللَّه وإرادته وخلقه!

فكل شيء بقدر؛ قدره اللَّه كما في الحديث لما سأل جبريل رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجابه في مسألة

---

(١) سبق تخريجه.

الإيمان: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1]، فكل ما يجري في هذا الكون من أوله إلى نهايته لا يخرج عن تقدير الله ومشيئته، ومنها حياة العباد وموتهم وأمراضهم وأسقامهم ورزقهم وغناهم؛ كل شيء بتقدير الله ﷻ، وكل ذلك في إمام مبين كتبه الله في اللوح المحفوظ كما قال في الحديث: «**كَتَبَ اللَّه مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قبل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

فأهل السنة عقائدهم دائمًا قائمةٌ على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- لا يزيدون عليهما ولا ينقصون، ولا يخالفون من ذلك شيئًا؛ فهم ملتزمون بكتاب الله وبسنة رسوله في عقائدهم وعباداتهم وسائر شئون حياتهم.

بخلاف المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء؛ فإنهم يعتقدون ما لم يأت في الكتاب والسنة، وينفون ما هو موجود في الكتاب والسنة! وإلى آخر الضلالات التي يقع فيها أهل الضلال من المعتزلة والخوارج والروافض.

قال: «ويعتقدون ويشهدون أن الله ﷻ أَجَّلَ لكلِّ مخلوق أجلًا» يعني: كل مخلوق جعل الله له أجلًا؛ من البشر والحيوانات والدواب والطيور والأشجار والأحجار و. . و. . إلى آخره؛ كل شيء له أجل؛ «أجّل لكل مخلوق أجلًا».

قال: «وأن نفسًا لن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا» كما ذكر الله؛ وستأتي الآية التي استشهد بها «وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت»: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٤]. ولا ثانية؛ الذي كتبه الله ﷻ من الآجال لا يتغير أبدًا. «وليس له عنه فوت، قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾» آجال للأمم

(١) سبق تخريجه.

والأفراد؛ إذا جاء أجل الأمة انتهى في آخر لحظة تنتهي أعمارهم التي قدرها ﷻ، والأفراد كذلك والحيوانات كذلك والمخلوقات كلها كذلك، والملائكة والشياطين؛ كلهم لهم أجل محدد لا يزيد ولا ينقص، ولهذا لما قالت أم حبيبة ﵂ زَوْجُ النبي ﷺ: «اللَّهم أَمْتِعْني بِزَوْجِي رسول اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أبي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ» فقال النبي ﷺ: «قد سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّام مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قبل حِلِّهِ أو يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ من عَذَابٍ في النَّارِ أو عَذَابٍ في الْقَبْرِ كان خَيْرًا وَأَفْضَلَ»(١).

فآجال الناس مضروبة وأيامهم معدودة وأرزاقهم مقسومة، ولن يتغير شيء من ذلك، ما كتبه اللَّه لك من أجل لا يتغير، وما كتبه لك من رزق لا يتغير، ولا يزيد ولا ينقص شيء من ذلك «رفعت الأقلام وجفّت الصحف»، «ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك» فالأمور مضبوطة مقدرة محكومة؛ أحكمها اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

«وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]»؛ فلن تموت نفسٌ ولن تحيا ولن تعيش ولن تتحرك إلا بإذن اللَّه، وكل شيء في هذا الكون يتحرك بإذن اللَّه ويقف بإذن اللَّه ﷻ وتنتهي حياة الإنسان بإذن اللَّه ﷿ «﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾» كتبه اللَّه ﷻ في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ هذه الدابة وهذه الحشرة مكتوبة في اللوح المحفوظ؛ مكتوب عمرها ونهاية هذا العمر؛ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. في اللوح المحفوظ.

قال: «ويشهدون أن من مات أو قُتِل فقد انقضى أجله المسمّى له»؛ لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٠) ومسلم [برقم (٢٦٦٣)، كتاب القدر] من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﵁.

المعتزلة يقولون: إن المقتول قُطِع عليه أجله؛ لو تُرِك لعاش إلى الأجل الذي كتب له! وهذا ليس بصحيح؛ هذا ضلال والعياذ بالله!

فالمقتول مقتول بأجله، والله ﷻ قدر الموت والحياة وقدر الأسباب؛ هذا يموت بسبب كذا، وهذا يقتل، وهذا يتردى من شاهق، وهذا يحرق، وهذا يغرق؛ هذا يموت بالحرق، وهذا يموت بالغرق، وهذا يموت بالتردي وهذا . . وهذا . . ، فقدر الآجال وقدر الأسباب التي تنتهي بها هذه الآجال.

فكلام المعتزلة كلام باطل، والآيات واضحة أنه لا يزيد للإنسان في عمره ساعة- والساعة هي أقل الزمن في لغة العرب- يعني: دقيقة أو ثانية؛ لا يزيد ولا ينقص، وإذا قتل قتل بأجله الذي قدره الله ﷻ؛ قدر أجله وقدر بماذا يموت وبماذا تنتهي حياته.

فكلام المعتزلة باطل، ولهذا قال المصنف: «ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله المسمى له قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، المنافقون يتخلفون خوفًا من الموت؛ فيقول لهم الله: إن الموت يأتيكم ولو كنتم في بروج مشيدة: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. في الوقت الذي كتب الله على الإنسان أن يموت فيه يأتيه الموت، وإذا كتب الله عليه أن يُقتل يخرج رغم أنفه فيُقتل في المضجع الذي حدده الله ﷻ من الأزل حينما كتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا يموت في المكان الفلاني وفي الوقت الفلاني وبالسبب الفلاني؛ لا يتغير من ذلك شيء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٤٣]. أماتهم الله ﷻ؛ خرجوا فرارًا من الموت فأماتهم الله ﷻ ثم أحياهم ليكونوا آية وعبرة للناس، وأن الفرار لا ينجي من الموت أبدًا.

وحينما جيّش شيخ الإسلام ابن تيمية الأمة لقتال التتار؛ هرب بعض الناس

فمات أكثرهم وهم فارون؛ أمراض سلطها اللَّه عليهم وموت بالقاس، والذين صمدوا وواجهوا العدو ما قتل منهم إلا القليل، وفي ذلك عبرة!

فالفرار لا ينجي من الموت أبدًا، والمؤمن يجب عليه أن يؤمن بالقدر وأن يتوكل على اللَّه ﷻ؛ تتبدد عنه كثير من المخاوف، لكن عندما يضعف إيمانه بالقدر أو يعدم إيمانه بالقدر تحيط به المخاوف من كل مكان، فإذا آمن بالقدر وتوكل على اللَّه ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. صار لا يخاف إلا اللَّه -تبارك وتعالى-، وتهون عنده المصائب.

«وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾» فالموت آت في اللحظة التي قدرها اللَّه؛ لو تحصنت بأحصن الحصون؛ ولو كنت في بروج مشيدة، ولو كنت في أعماق الأرض أو في أدغال الجبال، أينما كنت؛ يأتيك الموت في اللحظة التي قدرها اللَّه ﷻ وبالسبب الذي قدره اللَّه ﷻ.

فيجب على المسلم أن ترسخ هذه العقيدة في نفسه؛ عقيدة الإيمان بالقدر، وأن أي شيء في الأرض من موت أو حياة أو صحة أو مرض أو فقر أو غنى؛ لن يحدث إلا بإذن اللَّه، كل ذلك مقدر لا يتغير من ذلك شيء أبدًا.

* * *

وسوسة الشياطين

«ويتيقنون أن اللَّه سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويقصدون استزلالهم فيترصدون لهم، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

وأن اللَّه يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾».

الشرح:

من عقائد أهل السنة أن اللَّه -تبارك وتعالى- خلق الجن والشياطين، وهم ذرية إبليس؛ فهو أبو الجن كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. ومن أبناء آدم شياطين الإنس- والعياذ باللَّه! -.

والشيطان هو العدو الأول لآدم وذريته، وقد أقسم بعزة اللَّه أنه ليقعدنّ لهم صراطه المستقيم وليُغوِينَّهم أجمعين إلا عباد اللَّه المخلصين؛ فهو العدوّ الأول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فالشيطان وجنوده من الجن والإنس جادّون في إضلال عباد اللَّه؛ يعني: له جنود من الجن وجنود من الإنس قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

بالوسوسة والإغراء والاستفزاز . . . إلى آخره .

ولهذا علمنا اللَّه -تبارك وتعالى- الاستعاذة من شر الوسواس فقال -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس]. فلا يعصمك من إضلال الشيطان بالوساوس لا جنودٌ ولا قوة ولا سلطانٌ ولا شيء إلا اللَّه ﷻ؛ لأنّ الإنسان ضعيف؛ فإنه لو كان يملك الدنيا كلها لا يستطيع أن يقاوم هذا العدو إلا أن يحصِّنَه اللَّه منه ويحميَه، قال الحسن البصري: «إنّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المئونة». قال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]. فشياطين الجن لا نراهم، وشياطين الإنس نراهم ولكن هم جنود الشيطان أيضًا ويسعون في إضلال الناس، ومنهم: الدعاة على أبواب جهنم، ومنهم الكذّابون الدجّالون الذين يدّعي بعضهم الألوهية ويدّعي بعضهم النبوة. . . إلى آخره؛ كلهم من جنود إبليس يضلون الناس.

والمؤمنون يؤمنون بما جاء في القرآن من أن الشياطين توسوس، ولعلكم تعرفون أصحاب هذه النظريات العقلانية؛ الذين يقولون: إن الشيطان لا يدخل في الإنسان! ويردون الأحاديث الواردة في ذلك؛ بل يردون الآيات القرآنية- والعياذ باللَّه!.

فالعقلانيون والفلاسفة: بعضهم ينكر وجود الجن، وبعضهم يعترف بوجود الجن لكن يرون أن الجن لا تدخل في الإنسان، ويقولون: إنها لا توسوس، ولا تدخل في جوف الإنسان، ولا تجري منه مجرى الدم!

والقرآن نصَّ على أنها توسوس: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. فتوسوس لا شك، والإنسان يحس بهذا؛ فكل إنسان عاقل يدرك هذا وأنه يخطر بباله أشياء من الشر لا يريدها. من أين تأتي هذه الأشياء؟

تأتينا من الشياطين.

فالقرآن نصّ على هذا، والسنة نصت على أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ فعن صفية ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلًا. فحدثته وقمت فانقلبت فقام معي ليقلبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد -، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «**على رسلكما إنها صفية بنت حييّ**». قالا: سبحان الله. يا رسول الله!! قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**». أو قال: «**شرًّا**»[1]، فهذا نص من الرسول ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ويجثم على قلبه ويوسوس له؛ خاصة إذا غفل عن ذكر الله ﷻ[2] واسترسل في المعاصي؛ فإنه يخشى عليه أن يضره، أما إذا كان من الأتقياء: فقد يوسوس له لكن لا يضره ذلك؛ لأن التقيّ يكون - دائمًا - مجاهدًا مقاومًا: يستعيذ بالله، ويقرأ القرآن، ويقرأ السنة، ويذكر الله كثيرًا ويصلي، يعني: أنك تجعل نفسك مترصدًا لهذا الشيطان؛ إذ هو مترصد لك، فأنت تترصد له بماذا؟ بذكر الله ﷻ والاستعاذة بالله من كيد الشيطان؛ فلا يضرك حينئذ وإن وسوس لك.

فالأتقياء قد يوسوس لهم الشيطان لكن لا يضرهم؛ يوسوس لهم بأشياء خطيرة جدًّا فلا يبالون بها.

فعَنِ ابن عَبَّاسٍ ﵄ قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّهِ، إني أُحَدِّثُ نفسي بالشيء لأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أَتَكَلَّمَ بِهِ. قال: فقال

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٢٨١) كتاب بدء الخلق]، ومسلم [برقم (٢١٧٥)، كتاب السَّلام] من حديث صفية بنت حيي ﵂، واللفظ للبخاري إلا قوله: «فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا» أو قال: «شرًّا»، فهو لمسلم.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الناس أن الحافظ أبى يعلى الموصلي روى بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»، وقال: «قال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: الوسواس، قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس». وكذا قال مجاهد وقتادة».

النبي ﷺ: «**اللَّه أَكْبَرُ اللَّه أَكْبَرُ اللَّه أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي رَدَّ كَيْدَهُ إلى الْوَسْوَسَةِ**»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: «جاء نَاسٌ من أَصْحَابِ النبي ﷺ فَسَأَلُوهُ إِنَّا نَجِدُ في أَنْفُسِنَا ما يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قال: «**وقد وَجَدْتُمُوهُ؟**» قالوا: نعم. قال: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»[(٢)]، فبيّن أن هذا لا يضر إذا كنت كارهًا لما يمليه الشيطان ويوسوس به، فلو وسوس لك بالكفر وأنت تكره ذلك؛ فكراهيتك لذلك من صريح الإيمان.

فيا إخوة، الشيطان يتسلّط على كثير من الناس فيمرضون ويقول أحدهم: أنا كافر! تقول له: كيف؟ يقول: أقول في نفسي: كذا وكذا! نقول له: لا، أنت مؤمن إن شاء اللَّه، وكراهيتك لهذه الوسوسة الخبيثة وهذا الإملاء الشيطاني الخبيث للكفر؛ هذا دليل على أنك مؤمن وهذا صريح الإيمان، فهذا سلاح أعطانا إيّاه رسول اللَّه ﷺ لإهانة هذا الشيطان وطرده ورد كيده.

يقول لبعض الضعاف المساكين: أنت كفرت؛ قلتَ كذا وكذا! واللَّه بعضهم يصاب بالجنون! متديِّن، متدين؛ يهجم عليه بالوسوسة ويأتي له بأشياء كما قال الصحابة: لأن يخر أحدنا من السماء أحب إليّ من أن أحدّث بذلك، فقال ﷺ: «**الحمد للَّه الذي رد كيده إلى الوسوسة**». وقال: «**ذلك صريح الإيمان**».

إذا قال لك: كذا وكذا، قل: أبدًا أنت كذاب، أنا لست بكافر؛ هذه وسوستك أنت يا خبيث! والرسول شهد لي بأن هذا صريح الإيمان.

وأنا إذا جاءني شخص وقال: عندي هذه الوسوسة أعطيه مثل هذا الدرس؛

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥، ٣٤٠) وأبو داود (٥١١٢) وابن حبان في صحيحه (٦١٨٨) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود».

(٢) أخرجه مسلم [برقم (١٣٢)، كتاب الإيمان].

فقد يحصل لبعض الناس؛ أن يهجم عليه الشيطان بهذه الوساوس الخبيثة خاصة عندما يراه مقبلًا على الدين، فالسلاح الذي يُشهر في وجه هذا الشيطان الخبيث: أن هذا هو صريح الإيمان بشهادة رسول الله ﷺ فيخسأ الخبيث، ثم يقول: آمنت بالله ورسله ويستعيذ بالله من الشيطان، ويعتقد في قرارة نفسه أنّ هذا لا يضره وأنّ هذه الكراهية في نفسه لهذه الوسوسة هي صريح الإيمان.

الشاهد: أنّ العقلانيين ينكرون بعض الأحاديث وبعض الآيات المتعلقة بالغيب من الجن والسحر ونحوها، ويتسلّلون إلى بعض الجماعات الإسلامية في مصر والسودان؛ وهي فكرة محمد عبده وأخذها عنه الغزالي المعاصر وأخذها عنه غيره؛ ينكرون هذه الأشياء!

هم عقلانيون! أخذوا بمذهب المعتزلة وزادوا عليه- والعياذ بالله!..

ونحن نؤمن أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأنه يدخل على قلب الإنسان ليوسوس فيه ويؤذيه ولا عصمة له إلا بالله، ولا يتسلط إلا على الكفار الأشقياء والفساق المجرمين، أما المؤمنون الصادقون فإنّ الله يرد كيده في نحره بهذه الأشياء؛ فلا تضره ولا يتمكن من التسلط عليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يوسوسون للآدميين، ويقصدون استزلالهم» إلى الكفر والمعاصي والشرك قال -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]. أي: تدفعهم دفعًا إلى الوقوع في الشرك والكفر- والعياذ بالله!.، ولكنّ الله يحمي المؤمنين من هذا الاستفزاز. وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. يوحون إليهم بتحليل ما حرم الله وبتحريم ما أحل الله وبالشرك وبقتل الأولاد وبالشركيات الجاهلية وغيرها، فيوحون إلى أوليائهم يلقّنونهم هذه الشبهات الخبيثة فيذهبون يجادلون؛ يجادلون في العقيدة، ويجادلون في التشريعات، في الحلال والحرام، وفي القدر، وفي الكفر والضلال، وفي أشياء كثيرة، وهذه

الشبه التي ترد على العقائد والمناهج، وعلى العبادات والأحكام من إملاء الشياطين ومن وحيهم.

فاللَّه ﷻ يوحي إلى الأنبياء ما يهدي البشر إلى كل خير ويصرفهم عن كل شر، والأنبياء حريصون على هداية الخلق ويبلغون هذا الوحي، فيأتي الشياطين يجادلون؛ يجادلون الأنبياء ويجادلون أتباع الأنبياء، يجادلونهم في أمور العقائد وأمور التشريع وغيرها، كل ذلك من وحي الشياطين- والعياذ باللَّه! . ومن وحي شياطين الإنس أيضًا؛ بعضهم قد يصل في الفجور إلى أكثر مما يصل إليه الشياطين كما قال أحد الملاحدة:

وقد كنت امرأً من جند إبليس فارتقى ... بي الأمر حتى صار إبليس من جندي[1]

ففي البشر شياطين وفي الجن شياطين المردة، وشغل هؤلاء الشياطين محاربة ما جاء به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: من الدين الحق، والعقائد الصحيحة: من الإيمان باللَّه والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والملائكة وغيرها، والاستسلام للَّه والانقياد له بالطاعة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك.

وأيضًا الشيطان يجادلك: يأتي لك بشبهات وضلالات؛ والذي يقرأ للباطنية والروافض والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع يجد عندهم شبهات- والعياذ باللَّه! . وقد يُضِلُّون كثيرًا من الناس إلا من عصمه اللَّه -تبارك وتعالى-، فهم يجادلون جدالًا شديدًا، وعندهم شبهات تأسر قلوب كثير من الجهال الضالين، ولكنّ اللَّه الذي تولى وتعهّد بحماية أوليائه يحميهم من مكايد شياطين الجن وشياطين الإنس.

قال: «وإن اللَّه يسلطهم على من يشاء» نعم! الذي يريد اللَّه أن يضله يسلِّط

---

(١) أورده الثعالبي في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»، لكنه قال: قال الشاعر:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي

عليه الشياطين: قال اللَّه تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. وقال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فاللَّه قد كتب الأشقياء وكتب السعداء؛ فمن كتب اللَّه عليه الشقاء سلّط عليه الشياطين؛ لأنه لا يستحق الهداية ولا يستحق الحماية ولا يستحق العناية من اللَّه رب العالمين فيشقى.

«ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء» أي: والذين كتب اللَّه لهم السعادة يحفظهم من تسليط الشيطان عليهم؛ لأنهم أولياؤه فيحفظهم ويحميهم، وإذا استدرج المؤمن وفقه اللَّه للتوبة فتاب وأناب إلى اللَّه -تبارك وتعالى-؛ يعني: إذا استدرجه الشيطان وتغلب عليه وطرأ عليه الضعف البشري فوقع في معصية أو وقع في انحراف سرعان ما يرجع إلى اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فالمؤمنون ليسوا بمعصومين ولكن هذه ميزتهم: الثبات على الحق وحماية اللَّه لهم، فإذا زلّ أحدهم رجع إلى اللَّه -تبارك وتعالى- وتاب وأناب؛ فيقبل اللَّه توبته، ويرتفع إلى أعلى من درجته الأولى بسبب توبته وإخلاصه للَّه ﷻ.

قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥]. الصوت: قيل: هو الغناء.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل: معروفة، والرجل: الماشي؛ أي: أجلب وصِحْ عليهم بكل جنودك الراكبين والمشاة؛ فإنّ الجلَب: هو الصِّياح؛

ومعناه: انهض بهم إلى الباطل وافعل في سبيل ذلك كل ما تستطيعه.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ يعني: تسلَّط عليهم من كل باب: افعل كل ما تستطيع، وأجلب عليهم بكل ما عندك من القوات؛ فإنَّ هؤلاء الضالين- الذين أراد اللَّه لهم الضلال -؛ يستدرجهم الشيطان إلى الشرك باللَّه؛ فيشاركهم في الأموال ويشاركهم في الأولاد؛ فيجعلون من أموالهم لغير اللَّه ﷻ، وينفقون هذا المال في شرب الخمر ويرابون فيه ويسرقون من مال غيرهم، إلى غير ذلك من التصرفات في مال الشخص نفسه أوفي مال غيره بمقتضى ما شرعه الشيطان لا بمقتضى ما شرعه اللَّه ﷻ! فهذه مشاركته في الأموال.

وأما مشاركته في الأولاد؛ قالوا: يدخل فيه أولاد الزنا، ويدخل فيه قتل الأولاد، ويدخل فيه النذر بالأولاد للأوثان وما شاكل ذلك. فما يجعلونه من أبنائهم لغير اللَّه ﷻ، وما يقتلون من أولادهم طاعة له، ويئدون البنات طاعة له؛ كل ذلك داخل في مشاركته في الأولاد!!

﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ يعني: أعطهم أمانيَّ ووعودًا كاذبةً بالسيادة والعزّة في الدنيا والنجاة في الآخرة أيضًا، وأنه على فرض أن هناك عذابًا في الآخرة فأنت من الناجين!

المستكبرون- يوم القيامة- يتبرءون من الضعفاء، والضعفاء يتبرءون منهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

الشيطان يتبرأ منهم؛ يقف خطيبًا فيقول: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. هذه هي النتيجة التي يستفيدها من أغواهم الشيطان وأضلهم!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ وعدكم على ألسن رسله وفي كتبه وعد الحق؛ أنّ من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار، وأنّ من كفر فجزاؤه كذا ومن أشرك فجزاؤه كذا، وأنّ من زنا من سرق من قتل، من فعل كذا؛ كذا جزاؤه في الدنيا والآخرة، وعدكم وعودًا كلّها حق؛ من النعيم والعذاب والسعادة والعقاب؛ كل ما وعد اللّه ﷻ به حق.

﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي: وأنا وعدتكم وعدًا كاذبًا وأمليت عليكم الأمانيَّ الباطلة وزخرفت لكم الباطل، لكن ما عندي أيُّ حجة أبدًا.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما عندي أي حجة؛ ما عندي إلا الكذب والحيل والأباطيل وما عندي شيء من وعود الحقّ أبدًا، تلك الوعود كلها أصبحت سرابًا وهباءً منثورًا؛ لأنه لا يملك شيئًا مما وعد أبدًا، هو كذاب؛ [كذب عليهم ليضلهم، والآن يقول لهم:] وعد اللّه هو الحقّ [، أما وعودي فما هي إلا أماني كاذبة. وما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بمجرد ذلك].

ثم إن اللّه أعطاكم ومنحكم عقولًا وأعطاكم السمع والأبصار والأفئدة، [وأرسل إليكم الرسل فأقامت عليكم الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به؛ فكيف انقدتم لي وخالفتموهم؟! [فلا جرم صرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ اليوم ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾؛ لأن الذنب ذنبكم لكونكم خالفتم الحجج التي جاءتكم بها الرسل واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومنجيكم مما أنتم فيه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾] يقوم فيهم خطيبًا ويقول لهم هذه الخطبة- وهم في النار -؛ فيزيدهم غمًّا على غمٍّ وحزنًا على حزن وعذابًا على عذاب.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]. ومن كبار

سادتهم الشياطين ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

هذا مصير المتمردين على اللَّه -تبارك وتعالى- من الجن والإنس؛ كلهم في النار ويتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضًا، والوعود الكاذبة التي كان يعدها السادة للأتباع كلها تتبخر؛ وعلى رأس هؤلاء السادة الشيطان الكذاب الأفاك.

فعلينا أن نتقي اللَّه -تبارك وتعالى-، ونستعيذ باللَّه من شياطين الإنس والجن من وسوستهم ومن إملاءاتهم ومن استفزازاتهم، ونتحصن بدين اللَّه الحق، وبعون اللَّه ﷻ، وباللجوء إلى اللَّه ﷻ؛ فإننا واللَّه ضعفاء، ولولا أن اللَّه هو الذي يوفِّقنا ويهدينا ويرشدنا لما استطعنا من ذلك شيئًا.

فنلجأ إليه أن يثبتنا على الحق وأن يتوفّانا عليه وأن يقينا مكايد الجن والإنس؛ فإنّ هناك مكايد من شياطين الإنس ومن شياطين الجن تصرف الناس عن الحق: تصرفهم عن العقائد الصحيحة وعن الأعمال الصالحة وعن العبادات الخالصة... وإلى آخره.

- إذا قمت تصلي يأتيك الشيطان فيجعلك ترائي، وإذا ذهبت تقرأ القرآن يجعلك ترائي -والعياذ باللَّه-!

- يملي عليك الشرك والكفر؛ فيستجيب من يستجيب ويعصم اللَّه من يعصم.

فلنعتصم باللَّه ولنلجأ إليه ليرد عنا كيد الشياطين ووساوسهم، ولا ملجأ لنا من اللَّه إلا إليه ﷻ، فنلجأ إلى اللَّه دائمًا ونضرع إليه أن يثبِّتنا على دينه وأن يرد عنا كيد الشياطين؛ شياطين الإنس والجن كما أخبر اللَّه -تبارك وتعالى- أنهم يكيدون فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] فإنّ اللَّه ﷻ يرد كيد الكائدين عن أوليائه.

فنسأل اللَّه أن يجعلنا من أوليائه ومن أنصار دينه، وأن يهدي اللَّه المسلمين ليرجعوا إلى دينهم الحق إنّ ربنا لسميع الدعاء، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السحر والسحرة

«ويشهدون أن في الدنيا سحرًا وسَحَرَةً، إلا أنهم لا يضرّون أحدًا إلا بإذن اللَّه، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

ومن سَحَر منهم واستعمل السِّحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن اللَّه تعالى فقد كفر باللَّه جل جلاله.

وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضُرِبَت عنقه، وإذا وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يفهم نُهِي عنه، فإن عاد عزِّر.

وإن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله؛ لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه».

الشرح:

يبين المؤلف عقيدة أهل السنة؛ ومن ذلك: أنّ هناك سحرًا وسحرة، وهذا أمر نصّ عليه الكتاب والسنة؛ نصّ عليه كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

قال اللَّه -تبارك وتعالى- عن اليهود: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فهذه الآيات تنصُّ على أن هناك سحرًا وسحرةً، وتبيِّن حكم السحرة، وحكم السحر

وأنه كفر وأنّ تعلّمه كفر -والعياذ بالله-!

فقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ يعني: تكذب وتفتري على ملك سليمان؛ قالوا: ما قام هذا الملك العريض وسخّر الله له الجن والإنس والطير إلا بالسحر- قبحهم الله! -.

حكم السحر:

فكذّبهم الله -تبارك وتعالى-، وبرّأ نبيه سليمان، وبيّن أنه رسول الله وأنه لم يتعاط السحر وإنما هذا افتراء عليه، وبيّن أنّ السحر كفر؛ فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾. لأنّ السحر كفر.

وهذا نص على أن السحر كفر: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الشياطين كفار ويعلمون الناس السحر وهو الكفر- قبحهم الله! -.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ يعني: استبدل اتّباع الرسل وما جاءوا به بالسحر، والسحر محرّم في كل الشرائع والرسالات لأنه كفر.

تعريف السحر لغة واصطلاحًا:

والسحر في اللغة: عبارة عما خَفِي ولَطُف سببه؛ يعني: له أساليب وطرق شيطانية وأعمال تخفى على الناس.

ومنه قول النبي ﷺ: «**إنّ من البيان لسحرًا**»[1]؛ لأنه بمنطقه الخطير يقلب الحقائق ويجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا[2]، والبيان فيه ممدوح وفيه مذموم؛

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٥١٤٦)، كتاب النكاح] من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) قال الشاعر:

في زخـرف القول تزيينٌ لباطله ... والحقُّ قد يعتريه سوء تعبير

تقول: هذا مُجاج النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت: ذا قيء الزنابير

لأنه قال: «إنّ من البيان» ولم يقل: «كل البيان»، يعني: منه ما يشبه السحر في قلب الحقائق وجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا- والعياذ بالله! -.

ومنه السَّحَر والسحور: آخر الليل؛ لأنه خفيّ.

وهو- أي: السِّحْرُ- كما يقول العلماء: عبارة عن عُقَد وتمائم وشعوذة وما شاكل ذلك.

وجاء في القرآن هذه الآيات: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ النفاثات في العقد: هنّ السواحر؛ يعقدن وينفثن في عقدهن حينما يُرِدْن أن يسحرن أحدًا، فيكون له أثر بإذن الله -تبارك وتعالى- لا بقدرتهم؛ فإذا شاء الله -تبارك وتعالى- أن يضرّ هذا السحر حصل به الضرر بإرادة الله -تبارك وتعالى- ولا يضر بذاته، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ فلا يحصل الضرر إلا بإذن الله ﷻ؛ فالنفع والضر بيد الله ﷻ، وهذا سبب خبيث قد يضر وقد يبطل الله مفعوله فلا يضر؛ فالأمور كلها بيد الله ﷻ.

الشاهد في سورة الفلق قوله تعالى: ﴿شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد: هو العائن؛ تكون نفسه خبيثة فينظر في الإنسان، أو ينظر في الحيوان فيقع الضرر، وفي الحديث: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»(١).

والسحر أمر واقع وحقيقة ثابتة، المعتزلة ينكرون ويقولون: لا حقيقة له! أو يقولون: لا وجود له!

وهذا يصادم القرآن، ويصادم الواقع، ويصادم السنة، بل جاء- كما روت

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢١٨٨)، كتاب السّلام] من حديث ابن عباس ﷺ.

عائشة رضي الله عنها- أن النبي ﷺ سُحِر؛ سحره لبيد بن الأعصم؛ قال ﷺ: «يا عَائِشَةُ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فيه! أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فقال: مَطْبُوبٌ، قال: من طَبَّهُ؟ قال: لَبِيدُ بن الْأَعْصَمِ، قال: في أَيِّ شَيْءٍ؟ قال: في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ قال: وَأَيْنَ هو؟ قال: في بِئْرِ ذَرْوَانَ». فَأَتَاهَا رسول اللَّهِ ﷺ في نَاسٍ من أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فقال: «يا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ أو كَأَنَّ رءوس نَخْلِهَا رءوس الشَّيَاطِينِ»(١).

والرسول -عليه الصلاة والسلام- تضرر جدًّا بهذا، وهذا لا ينقص ولا يحطّ من قدره -عليه الصلاة والسلام-؛ إذ إنه لا يؤثّر على ما جاء به من الوحي، وإنما يؤثّر على جسمه فقط؛ لأنه من جنس الأمراض التي يُبتلى بها البشر، والأمراض تصيب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ فهذا نص من السنة وذاك نص من القرآن كما ذكرنا.

أقسام السحر:

ويقول علماء السنة: إنّ السحر ينقسم إلى ما هو حقيقة وإلى ما هو تخييل؛ وهو سحر وإن كان تخييلًا.

- ومن السحر التخييلي: ما فعله سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]. جمعوا كيدهم ثم أتوا يعني: ملئوا واديًا من الحبال والعصيّ ووضعوا فيها مادة الزئبق فإذا بها تتحرك وتضطرب في هذا الوادي؛ فأرهبت الناس وخيِّل للناس أنها حيات وأفاع، حتى موسى خيِّل إليه في نفسه أنها تسعى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ

(١) أخرجه البخاري [برقم (٥٧٦٣)، كتاب الطّب] ومسلم [برقم (٢١٨٩)، كتاب السَّلام] من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ﴾ [طه: ٦٦-٧٣] رضي الله عنهم.

انظروا! في أول الأمر كان فيهم عناد؛ خوّفهم موسى ما خافوا ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦١-٦٣]، يعنون موسى وهارون ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣-٦٤]، سمعوا الموعظة والزجر والكلام ما بَالَوْا، لكن لما رأوا آيات الله الباهرة: واد من الحبال والعصيّ؛ حوّل الله عصا موسى إلى ثعبان رهيب وشرعت تبتلع ما في الوادي من الحبال والعصي ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ علموا أنّ هذا العمل العظيم ليس في طاقة البشر وليس بسحر؛ وأنّ هذا ليس إلا من عند الله فبادروا بالإيمان، وبادروا بالتوبة والرجوع إلى الله -تبارك وتعالى-.

كانوا سحرةً من أفجر خلق الله، ولما رأوا هذه الآية الباهرة تابوا وأنابوا إلى الله -تبارك وتعالى-[1]!!

فتوبوا إلى الله أيها الناس! فإنّ كثيرًا من الناس يعاندون؛ يكونون على

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: عند تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: «كانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة. قال ابن عباس، وعُبَيد بن عُمَيْر، وقتادة، وابن جُرَيْج: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء».

الباطل وعلى الضلال فيستكبرون ولا يرجعون إلى الحق!

ولا أقوى من حجج القرآن الكريم؛ آيات اللَّه بين أيدينا واللَّه أقوى من عصا موسى التي ابتلعت تلك الحبال والعصيّ، ولهذا تحدّى اللَّه به الجن والإنس، فتراه يقرأ القرآن- مسكين- ويعطِّل صفات اللَّه العظيم، وعنده بدع وضلالات، وخرافات وشركيات، رفض وبلايا، ولا يستفيد- مع الأسف- من قوارع القرآن وزواجره، ولا يعتبر بإعجازه!!

اللَّه أكبر! إن في توبة السحرة هذه- واللَّه- لعبرة عظيمة!!

فبعدما كانوا يقولون: ربنا فرعون؛ صاروا ﷺ- بعدما رأوا آيات اللَّه الباهرة- يقولون: ربنا اللَّه ﷻ؛ فقالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ مع أنّ فرعون هددهم وقال لهم: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾، قصتهم عجيبة- واللَّه -!!

اختلاف العلماء في حكم الساحر وما قرره المؤلف:

الشاهد: أن المؤلف هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرر مذهب الشافعي؛ لأنهم اختلفوا في حكم الساحر.

فمنهم من يكفِّره، بل يكفره بمجرد التعلم والتعليم وهم الحنابلة رحمهم اللَّه تعالى، ويكفِّره في الجملة الإمام مالك والإمام أحمد وأبو حنيفة رحم اللَّه الجميع.

والشافعي -رحمه اللَّه تعالى- يفصِّل؛ يقول: لا يكفر إلا إذا أتى ما هو كفر وشرك، أما إذا كان غير كفر وشرك؛ فيكون حرامًا ولا يكفر به، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرر هذا المذهب.

فالشافعي قال: إذا أتى السحر نقول: صف لنا سحرك، فإن وصف لنا

ما يوجب الكفر؛ مثل ما يفعل أهل بابل من: التقرب إلى الكواكب، واعتقاد أنها تنفع وتضر، وتعطي وتمنع؛ فهذا كفر لا شك، وإن كان من البخور ونحو هذه الأشياء؛ فهذا حرام ولكن لا يكفر به ويُعزّر كما قرر ذلك المصنف -رحمه اللَّه تعالى-.

فهذه هي مذاهب العلماء في حكم الساحر؛ أنّ كثيرًا منهم يكفرونه منهم إسحاق والإمام أحمد وأبو حنيفة والإمام مالك- رحمهم اللَّه-، والشافعي يُكفِّر الساحر إذا أتى الكفر، وإذا أتى غير الكفر كالبخار والتدخين وغيرها من الأشياء التي من هذا النوع؛ فيرى أن هذا النوع ليس بكفر، ولا يكفر إلا إذا أتى بما هو كفر من عبادة الشياطين وما شاكل ذلك.

الصواب في حكم الساحر:

والصواب: أنه لا يتأتى السحر إلا من كافر- والعياذ باللَّه!-؛ فالساحر كافر بنص القرآن، وفي هذه الآيات من سورة البقرة حكم عليه مرارًا بأنه كافر، ومن الأحاديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات**. قيل: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: **الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[1].

والشاهد في قوله- بعد الكفر -: السحر؛ هذا كفر على كفر والعياذ باللَّه! والبقية من كبائر الذنوب؛ لا يكفر صاحبها إلا باستحلالها.

* قال: «ويشهدون أن في الدنيا سحرًا وسَحَرَةً» بخلاف من ينكره «إلا أنهم لا يضرّون أحدًا إلا بإذن اللَّه» كما قررت الآية «فإن اللَّه قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ

(١) أخرجه البخاري [برقم (٢٧٦٦) كتاب الوصايا] ومسلم [برقم (٨٩)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة ﷺ.

بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢] ومن سَحَر منهم واستعمل السِّحر، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن اللَّه تعالى» حتى لو لم يعتقد هذه العقيدة؛ سواء اعتقد أو لم يعتقد فهو كافر «فقد كفر باللَّه ﷻ».

قال: «وإذا وصف ما يكفر به استتيب»:

اختلفوا هل يقتل بدون استتابته أو لا بد من استتابته؟

* فبعض العلماء يرجح أنه لا يستتاب؛ فإن الصحابة قتلوا بدون استتابة.

- كتب عمر ﷺ إلى عامله جَزء بن معاوية: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلوا ثلاث سواحر»[1].

- وحفصة قتلت جارية لها سحرتها بعدما أقرّت[2].

- وجندب بن كعب ﷺ قتل ساحرًا؛ كما روى ذلك البيهقي في سننه[3] من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود «أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر وكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجًا فيرتد إليه رأسه فقال الناس: سبحان اللَّه يحيي الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين فنظر إليه، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه فقال: إن كان صادقًا فليحيِ نفسه وأمر به الوليد دينارًا صاحب السجن وكان رجلًا صالحًا فسجنه فأعجبه نحو الرجل، فقال: أفتستطيع أن تهرب؟ قال: نعم، قال: فاخرج لا يسألني اللَّه عنك أبدًا».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٠، ١٧٩) وأحمد (١/ ١٩٠، ١٩١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٨٣) و(٧/ ٥٨٤) وأبو داود في سننه برقم (٣٠٤٣) والبيهقي في سننه الكبرى (٨/ ١٣٦) و(٩/ ١٨٩) ونقل عن الشافعي تصحيحه، وأخرجه ابن حزم في المحلى (١١/ ٣٩٧) وصححه.

(٢) روى عنها ذلك الإمام البيهقي في سننه (٨/ ١٣٦).

(٣) (٨/ ١٣٦)، قال العلامة الألباني في الضعيفة (٣/ ٦٤٢ رقم ١٤٤٦): «وهذا إسناد صحيح إن كان أبو الأسود أدرك القصة فإنه تابعي صغير».

قلت: لكن القصة لها طرق تصح بها، ذكرها الألباني في الموطن السابق.

الشاهد أن هذا عمل من الصحابة الأجلاء.

- وحديث جندب الآخر: «حدُّ الساحر ضربة بالسيف»[١] ويرجح بعض العلماء وقفه، ويذهب بعض العلماء إلى أن له طرقًا يرتقي بها إلى درجة الحسن.

وقال الإمام أحمد: ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ اتفقوا على قتل الساحر.

* وبعضهم يقول: هو كسائر المرتدين؛ إذا ارتد يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل.

والشاهد أنهم متفقون على قتله لكن اختلفوا هل يُستتاب أو لا يستتاب؟

الخلاصة:

يتلخص لنا أن السحر كفر وأن الإمام الشافعي وأصحابه يذهبون إلى التفصيل الذي ذكرناه، ثم هم متفقون على قتله إلا أنهم اختلفوا هل يُستتاب أو لا يستتاب؟!

نقول: هذا يرجع إلى اجتهاد الإمام، فقد يترجح له الاستتابة أو عدمها بعد النظر في الأدلة وأقوال أهل العلم وحجة كلٍّ منهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٤٦٠) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب ﷺ، وقال عقبه: «هذا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إلا من هذا الْوَجْهِ وإسماعيل بن مُسْلِمٍ الْمَكِّيُّ يُضَعَّفُ في الحديث وإسماعيل بن مُسْلِمٍ الْعَبْدِيُّ الْبَصْرِيُّ قال وَكِيعٌ هو ثِقَةٌ وَيُرْوَى عن الْحَسَنِ أَيْضًا وَالصَّحِيحُ عن جُنْدَبٍ مَوْقُوفٌ»، ورواه أيضًا من الطريق نفسه: عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ١٨٤) والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم فإنه غريب صحيح وله شاهد صحيح على شرطهما جميعًا في ضد هذا»، وضعفه العلامة الألباني في الضعيفة (١٤٤٦) ورجح وقفه على جندب ﷺ.

من آداب أصحاب الحديث

«ويحرِّم أصحاب الحديث المُسكِر من الأشربة المتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر كثيره، يحرِّمون قليله وكثيره، ويجتنبونه ويُوجبون به الحد.

ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات إحرازًا للأجور الحميلة بها والمثوبات.

ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام.

ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتمًا واجبًا، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها.

ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والسعي في الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتقاء شرّ عاقبة الطمع.

ويتواصون بالحق وبالصبر، ويتحابُّون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في الدين والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات».

الشرح:

قال المؤلف -رحمه اللَّه تعالى- هنا -: **«ويُحرِّم أصحاب الحديث المُسكِر من الأشربة المتخَذة من العنب أو الزبيب أو التمر أوالعسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر كثيره، يحرِّمون قليله وكثيره، ويجتنبونه ويوجبون به الحد»**

هذه طريقة أهل الحديث؛ أنهم يحرِّمون كل أنواع المسكرات؛ لأنّ **«كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»**[1]، وهذه الأنواع التي نص عليها المؤلف نص عليها عمر رضي الله عنه؛ قال: **«نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب والتمر والحنطة والعسل والشعير والخمر ما خامر العقل»**[2]، ولَيْسَ مُرَاده حَصْر الخمر فِي هذه الخمسة، ولهذا قال: **«والخمر ما خامر العقل»**، فكل ما خامر العقل يعني: غطاه وخالطه فهو خمر، سواء كان من هذه الأنواع التي ذكرها أو من غيرها.

وفي هذا العصر حدثت أشياء مصنوعات من الأطياب وغيرها، مثل الكلونيا يضعون فيها كحولًا فتكون مسكرة؛ فهي حرام لا شك، وأنا- واللَّه- وأنا في الثانوي بلغني أن هذه الكلونيا تسكر؛ فعزمت ألا أشتريها- وكان طلاب العلم وبعض العلماء يشترونها -، ولما جئت الجامعة وجدت المشايخ: الشيخ ابن باز والشيخ الشنقيطي والشيخ الألباني- رحمهم اللَّه- الثلاثة يحرمون بيعها وشراءها واستعمالها؛ لأنها مسكرة.

فكثير من الأطياب الموجودة وغيرها -واللَّه أعلم- فيها كحول تسكر.

وقال ﷺ: **«ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام»**[3]، وقال: **«أنهاكم**

---

(١) لفظ حديث سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٥٥٨١)، كتاب الأشربة]. ومسلم [برقم (٣٠٣٢)، كتاب التفسير] عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٧١، ٧٢، ١٣١) وأبو داود (٣٦٨٧) والترمذي (١٨٦٦) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني رحمه الله في الإرواء (٨/ ٤٤).

عن قليل ما أسكر كثيره»[1] فالمسكر كله محرم.

* وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابه وبعض علماء البصرة أو كثير منهم يرون أنه لا يحرم ما كان من غير العنب والرطب إلا القدر الذي يسكر! مثلًا: لو أنّ أحدًا لا يسكره إلا كيلوان؛ فله أن يشرب ما دون ذلك: كيلو مثلًا أو كيلوين إلا ربعًا!

فالنبيذ من العسل، والشعير، والذرة، وسائر الأنبذة، إذا شرب منها القدر الذي يسكر حتى سكر فحرام، وأما إذا شرب منه ما لم يصل به إلى حد الإسكار فهذا ليس بحرام!!

وهذا مخالف لأدلة كثيرة منها: قول النبي ﷺ الصحيح الصريح الذي رواه أحمد ومسلم وغيرهما من الأئمة من حديث ابن عمر مرفوعًا: **«كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»**[2].

فهذه قاعدة كلية لما كان موجودًا في ذلك العصر ولما يحدث ويجدّ إلى يوم القيامة؛ كل مسكر يسمى خمرًا، والأحناف ينازعون في تسمية الأنبذة غير الرطب والعنب: خمرًا، والحديث نص في تسميتها خمرًا، ويقولون: لا يحرم إلا ما بلغ حدّ الإسكار! وهذا ليس بصحيح؛ لأنّ النصوص تدل على أن ما أسكر كثيره فقليله حرام.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الخمور والمسكرات، ويخالفهم الأحناف- وما أكثر خلافاتهم -!! من الوضوء إلى الصلاة إلى الزكاة إلى الصوم إلى الحج.. إلى أشياء كثيرة جدًّا، غفر اللَّه لهم، ونسأل اللَّه العافية.

قال: «ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات وإقامتها في أوائل

---

(١) أخرجه النسائي برقم (٥٦٠٨) والدارمي (٢١٠٣) وأبو يعلى في مسنده (٦٩٤) من حديث سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في الإرواء (٨/ ٤٤).

(٢) أحمد (٢/ ١٦) ومسلم [برقم (٢٠٠٣)، كتاب الأشربة].

الأوقات»

- قوله: «ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات» المسارعة؛ يعني: التبكير إلى الصلاة؛ لأن الرسول ﷺ حثّ على التبكير إلى الصلاة، وحث على الصلاة في الصف الأول؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: **«ألا تصفون كما تصفّ الملائكة عند ربها.. يتمّون الصفوف الأول فالأول ويتراصون في الصف»**[١]. وهذه أشياء يخلّ بها حتى طلبة العلم! يعني: لا يحرصون على التبكير، ولا يحرصون على الصفوف الأولى، ولا يتراصون في الصفوف ولا يسدّون الخلل.

وهذه ظاهرة صعبة جدًّا، وهي واللَّه من أسباب الخلاف والفرقة الموجودة في الأمة.

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«لتسون صفوفكم أو ليخالفن اللَّه بين وجوهكم»**[٢] يعني: تُلقى في نفوسهم أسباب البغضاء والشحناء بسبب إخلالهم بهذا الأمر.

وكان الرسول ﷺ يقول: استووا! فيستوون في الصفوف، ويلصقون الكعاب بالكعاب، ويأمرهم بسدّ الخلل.

وأخبر رسول اللَّه ﷺ أن الفرجات هذه تتخللّها الشياطين؛ الشيطان إذا دخل بينك وبين أخيك في الصف ماذا يصنع؟ لماذا يدخل؟ ليشغلك ويوسوس لك ويلهيك.

وأنا جربت- واللَّه -: بعض الشباب يصلي ويلصق الكعب بالكعب؛ فتجد راحة في صلاتك وطمأنينة، وإذا بتعد إنسان وترك فرجة بينه وبين أخيه في الصف

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٠١، ١٠٦) ومسلم [برقم (٤٣٠)، كتاب الصلاة] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٧١٧)، كتاب الأذان] ومسلم [برقم (٤٣٦)، كتاب الصلاة] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

دخل الشيطان في هذه الفرجة، وكان لذلك أثره من السهو والوسوسة والاختلاف بين الوجوه.

وبعضهم يمكن يستغرب ويستنكر؛ كيف تلصق كعبك بكعب أخيك أو تحاول ذلك؟! وأنس ﷺ لما روى حديث إلصاق الكعاب بالكعاب قال: ولو أردت أن تفعل هذا اليوم لرأيت أحدهم ينفركما ينفر البغل الشموس[1]!! والعياذ بالله!

فتواصوا بهذه السنة- يا إخوة- فإنها من سنة نبينا التي حثّ عليها وطبقها أصحابه.

قال: «ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات» الرسول ﷺ أمر بالتبكير إلى الصلوات والحرص على الصفوف الأولى.

- قال: «وإقامتها في أوائل الأوقات».

إن الرسول ﷺ كان يصلي الصلاة في أول أوقاتها، وسئل عن أفضل الأعمال؛ سأله ابن مسعود فقال: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قال: **الصَّلَاةُ على وَقْتِهَا**- يعني: الصلاة التي تؤدى في أول وقتها- قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: **ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**. قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: **الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ**»[2]؛ فجعل في طليعة هذه الفضائل العظيمة: الصلاة في أول وقتها؛ حتى إنه ﷺ لما أخبر أنه سيوجد أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها؛ أجاز لهم أن يصلوها في بيوتهم إذا لم يصلها الإمام في أول وقتها، فإذا كنت في بلد يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلها أنت في أول

---

(١) «المصنف» لابن أبي شيبة (١/٣٠٨، برقم ٣٥٢٤) وعزاه الحافظ في الفتح (٢/٥٦) إلى سعيد بن منصور والإسماعيلي. وقال الألباني: «وهي عند المخلص، وسندها صحيح على شرط الشيخين أيضًا»، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣١)، ولكن ليس فيه ذكر إلصاق الكعب بالكعب، وإنما فيه إلصاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٥٢٧)، كتاب مواقيت الصلاة] ومسلم [برقم (٨٥)، كتاب الإيمان].

وقتها؛ فإذا وجدت جماعة فصل معهم وتكون لك نافلة، هذا لشدة فضيلة هذه الصلاة وأهمية وقتها.

وما كان الرسول ﷺ يصلي الصلوات إلا في أوائل الأوقات كما روى عنه عدد من الصحابة: عبد اللَّه بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع وغيرهم كثير؛ قالوا: أنه كان يصلي الظهر إذا زاغت الشمس عن كبد السماء، ويصلي العصر حين يصير ظل الشيء مثله- غير ظل الاستواء-، ويصلي المغرب إذا وجبت، ويستحب تأخير العشاء، ويصلي الفجر بغلس كما روت عائشة ﵂ قالت: «كُنَّ نِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ يَشْهَدْنَ مع رسول اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إلى بُيُوتِهِنَّ حين يَقْضِينَ الصَّلَاةَ لَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ من الْغَلَسِ»[1].

وهذا مما يخالف فيه الأحناف مع الأسف الشديد، وإذا ذهبت إلى غير هذا البلد تجد هناك وقتان للأذان؛ فتجد مثلًا في الهند وباكستان أهل الحديث يؤذنون في أول الوقت على الطريقة النبوية، والأحناف يتأخرون ويتأخرون! يعني هذه فرقة- واللَّه! - وتفريقٌ للمسلمين؛ بكونهم يؤذنون في أواخر الأوقات!

والأحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما؛ كثيرة جدًّا، تنصّ على أن الرسول ﷺ كان يصلي الصلوات في أول وقتها ويحث على ذلك -عليه الصلاة والسلام- إلا الظهر فإنه إذا اشتد الحرّ فإن الرسول يأمر بالإبراد.

فهذه طريقة أهل السنة والجماعة تجاه هذه الشعيرة العظيمة؛ الصلوات في وقتها في الجماعة في المساجد، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، بل ورد أن تأخيرها من صفات المنافقين؛ قال: «تلك صلاة

(١) البخاري [برقم (٥٧٨)، كتاب مواقيت الصلاة].

المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلا»[1] يؤخرها ثم يصليها على هذه الصورة- مع الأسف الشديد-!

لكن الأحناف لا يؤخرونها إلى هذا الوقت وإنما إلى قبيل هذا الوقت، فيفوتهم فضل عظيم، ثم هذه الطريقة- خاصة في الهند وباكستان- يعني: هؤلاء لهم آذان وهؤلاء لهم أذان- فيها تفرقةٌ للمسلمين!!

* قال: «ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام» يعني: قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[2] كما في حديث عبادة بن الصامت، وفي رواية عنه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن»[3] يعني: كلاهما ينص على أنه لابد من قراءة الفاتحة للإمام والمأموم والمنفرد؛ فلا صلاة لمن لم يقرأ بها.

هم متفقون على هذا بالنسبة للمنفرد والإمام؛ إلا الأحناف فإنهم لا يوجبون قراءة الفاتحة! ويستدلون بقول اللَّه تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]- وهذا في صلاة الليل وفي العهد المكي-؛ حتى إن بعضهم يبالغ فيقول: تكفي قراءة «مدهامّتان»! يعني ما تيسر من القرآن، وبعضهم يجيزها بغير اللغة العربية- مع الأسف الشديد-! وهذا غلط وبلاء والعياذ باللَّه.

وألف البخاري في هذا كتابًا سماه «القراءة خلف الإمام» والبيهقي كذلك وساقا أدلة كثيرة على وجوب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد.

وهناك رأي للإمام أحمد وابن تيمية -رحمهما اللَّه- أنه إذا كانت الصلاة

(١) أخرجه مسلم [برقم (٦٢٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري [برقم (٧٥٦)، كتاب الأذان] ومسلم [برقم (٣٩٤)، كتاب الصلاة] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(٣) مسلم [برقم (٣٩٤)، كتاب الصلاة].

سرية فعلى الجميع قراءة الفاتحة، وإذا كانت الصلاة جهرية ففي الركعتين التي يجهر فيهما الإمام لا يقرأ المأموم؛ فمثلًا: في صلاة الفجر لا يقرأ المأموم، وفي ركعتي المغرب والعشاء التي يجهر فيهما بالقراءة لا يقرأ فيهما المأموم وإنما ينصت للإمام.

لكن الراجح أنه يقرؤها؛ وينتهز الفرصة في سكتات الإمام، أو عندما يقرأ الإمام فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيقرأ في نفسه- بحيث يسمع نفسه ولا يشوش على الآخرين -: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وإذا قال الإمام: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أو يقرؤها في السكتة؛ فلا بد من قراءة الفاتحة؛ حتى قيل لأبي هريرة ﷺ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فقال: اقْرَأْ بها في نَفْسِكَ- وعند أحمد: «اقْرَأْ بها يا فارسي في نَفْسِكَ» -؛ فَإِنِّي سمعت رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «قال اللَّه تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ فإذا قال الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال اللَّه تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي. وإذا قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال اللَّه تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وإذا قال ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَنِي عَبْدِي. وقال مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيّ عَبْدِي. فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ. فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. قال: هذا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»[1] فهذا يتناول الإمام والمأموم والمنفرد؛ هذا ما يتعلق بقراءة الفاتحة.

قال: «ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتمًا واجبًا، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٠) ومسلم [برقم (٣٩٥)، كتاب الصلاة].

فيه، وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها» يعني: على حديث أبي حميد وعلى حديث أبي هريرة في المسيء صلاته وأحاديث في هذا الباب؛ أنه لابد من إتمام الركوع والسجود، ولا بد من الطمأنينة في القيام، والطمأنينة في الركوع والطمأنينة في الاعتدال، والطمأنينة في السجود، والطمأنينة في الجلسة بين السجدتين، والطمأنينة في السجدة الأخرى كما في حديث المسيء صلاته كما رواه أبو هريرة: «أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ دخل الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ على النبي ﷺ؛ فَرَدَّ عليه ﷺ السلام وقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ. فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صلى ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ على النبي ﷺ فقال: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ -ثَلَاثًا-. فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي. فقال ﷺ: **إذا قُمْتَ إلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حتى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حتى تعتدل قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حتى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حتى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذلك في صَلَاتِكَ كُلِّهَا**»[1]؛ فحكم أولًا على صلاته بأنها غير صلاة -يعني: باطلة-، لماذا؟ لأنه لم يأت بهذه الأركان فيها، ثم بيّن له هذه الأركان.

فمن طريقة أهل الحديث -رحمهم اللَّه- أنهم يأتون بهذه الأركان وافية كاملة؛ من القيام في الصلاة بعد التكبير إلى الركوع، إلى الاعتدال، إلى السجود، إلى الاعتدال بين السجدتين... إلى آخره؛ يأتون بها على الوجه المشروع؛ المطابق لهذا الحديث من قوله -عليه الصلاة والسلام-، ولما رواه أبو حميد الساعدي من فعله ﷺ، وكذلك غير أبي حميد وصف صلاة رسول اللَّه ﷺ بأنه كان يطمئن في هذه الأركان كلها.

ومع الأسف الأحناف يخالفون في الطمأنينة في هذه الأركان وينقرونها نقرًا

(١) أخرجه البخاري [برقم (٧٥٧)، كتاب الأذان] ومسلم [برقم (٣٩٧)، كتاب الصلاة].

مع الأسف الشديد! وقد صليت التراويح في المسجد الأموي في دمشق؛ يعني سبحان اللَّه عجب من العجائب! ما أدري! خمسة أو ستة مؤذنين عندهم مكبرات يرفعون صوتهم عاليًا ليدوي في أنحاء دمشق! والإمام يركع؛ يقرأ الفاتحة بسرعة ويقرأ آية- واللَّه أحيانًا يقرأ الشرط ولا يذكر الجواب -: اللَّه أكبر، سمع اللَّه لمن حمده، اللَّه أكبر!! صليت معهم الركعتين الأوليين وانسحبت، هذا بناءً على المذاهب مع الأسف؛ مذهب الأحناف!

قال: «ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات».

قوله: «ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام» يعني: هذا من أخلاق أهل الحديث؛ فإن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- كان يقيم الليل واللَّه تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، ويقول: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ويقول أيضًا: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧- ١٩].

فهذه سنة عظيمة يحرص عليها أهل الحديث ويتناصحون بها، فلنتناصح فيما بيننا بقيام الليل؛ من شاء أن يصلي تسعًا ومن شاء أن يصلي إحدى عشرة، وعلى الأقل يصلي ثلاثًا لكن يطيلها ويتم ركوعها وسجودها وخشوعها ويذكر اللَّه -تبارك وتعالى-، ويكثر من ذكر اللَّه في الليل والنهار، ولا سيّما في الليل كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]. واللَّه ﷻ ينزل في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: «**هل من سَائِلٍ يُعْطَى؟ هل من دَاعٍ يُسْتَجَابُ له؟ هل من مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ له؟ حتى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»[١]، فصلّ واستغفر، وصلّ هذه

(١) أخرجه البخاري [برقم (١١٤٥)، كتاب التهجد] ومسلم [برقم (٧٥٨)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها] من حديث أبي هريرة ﷺ. واللفظ لمسلم.

الصلاة في آخر الليل إن كان يغلب على ظنك أنك تقوم فتصليها؛ لأنّ الأفضل تأخيرها، وإن كان يغلب على ظنك أنك لا تقوم من آخر الليل أو وسطه فصلها من أول الليل؛ فإنه خير من تفويتها.

وكذلك صلة الأرحام؛ صلة الأرحام أمر عظيم جدًا، فعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حتى إذا فَرَغَ من خَلْقِهِ قالت الرَّحِمُ: هذا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ من الْقَطِيعَةِ. قال: نعم أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ من وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ من قَطَعَكِ. قالت: بَلَى يا رَبِّ قال: فَهُوَ لَكِ. قال رسول اللَّهِ ﷺ: فاقرءوا إن شِئْتُمْ** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾»[1]، فقطيعة الرحم من الإفساد في الأرض، فلنحرص على صلة الرحم؛ لأنه نصّ عليها القرآن، ولأنّ الرسول ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[2].

* قال: «وإفشاء السلام» إفشاء السلام له أثر عظيم؛ يعني: يسلم على إخوانه امتثالًا لأمر اللَّه وإحياءً لسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، والآخر يرد عليه وجوبًا ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]. إذا قال: السلام عليكم، تقول أنت: وعليكم السلام ورحمة اللَّه، إذا قال: السلام عليكم ورحمة اللَّه، تقول: وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[3]، فإفشاء السلام من الأسباب التي توثّق أواصر

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٤٨٣٠)، كتاب الأدب] ومسلم [برقم (٢٥٥٤)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٥٩٨٤)، كتاب الأدب] مسلم [برقم (٢٥٥٦)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث جبير بن مطعم ﷺ. واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢) ومسلم [برقم (٥٤)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة ﷺ.

المحبة بين المؤمنين.

ويسلم المسلم على أخيه مريدًا بذلك وجه الله ومريدًا لوجود هذه الحالة في أنفس المسلمين؛ لا يريد مجاملات ومداهنات وإنما يريد الغاية التي حثّ عليها الرسول -عليه الصلاة والسلام- إيجاد المحبة في نفوس المسلمين وإحراز الجزاء العظيم من ربّ العالمين.

* قال: «وإطعام الطعام» نص الله ﷻ على ذلك؛ فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]. وقال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٦] وقال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(١). هكذا يحث الإسلام على إطعام الطعام.

قال: «والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين» وردت في ذلك آيات؛ كما قرأنا عليكم- الآن- الآيتين من سورة البلد، وقوله تعالى ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣]. هذا ذمٌّ شديد للذي يؤذي اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين؛ هذه من خصال المنافقين ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧-٢٠]؛ فالله يذم من لا يقوم بهذه الخصال العظيمة، ويحث على القيام بها ويمدح أهلها ويبين جزاءهم في الآخرة كما قرأنا عليكم الآية من سورة الإنسان.

قال: «والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف».

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٠١٨)، كتاب الأدب] ومسلم [برقم (٤٧)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح» يعني: يتعفف في مأكله وملبسه ومشربه؛ فلا يأكل حرامًا ولا يلبس حرامًا؛ فإنّ أكل الحلال من أسباب إجابة الدعوة، إذا أردت أن تكون مستجاب الدعوة؛ فأطب مطعمك، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنّ اللّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾** [المؤمنون: ٥١]. وقال: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾** [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر؛ يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟**»[(١)].

فالإنسان يطيب مطعمه وملبسه ويكون كله حلالًا؛ يكسب بيمينه الحلال الطيب ويأكل منه طيبًا ويلبس منه حلالًا، كذلك في المنكح؛ فلا زنا ولا إطلاق العنان للنظر: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]. الزاني تعرفون حكمه وأنه إذا كان بكرًا يجلد مائة جلدة وينفى؛ يُغَرَّب عامًا، وإذا كان محصنا فحدّه الرجم حتى يموت، هذا إن ثبت عليه بأربعة شهداء أو بإقراره، وقال رسول اللّه ﷺ في ذمّ الزاني ووعيده: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٢)].

قال: «والمصرف» يعني: ينفق فيما يلزمه من النفقات وفي أبواب الخير وفي أبواب البرّ، ولا يصرف في المحرمات من الخمور والتعامل بالربا وإعطاء أهل الفساد من المال كما يفعل الآن بعض الناس! بعض الناس يمولون الإرهابيين؛ إيران تمول الإرهابيين في كل مكان!

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (١٠١٥)، كتاب الزكاة] من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

تَبَيَّن أن إيران من وراء الإرهابيين في كل الدنيا مع الأسف الشديد!

قال: «والسعي في الخيرات» فعل الخيرات من الصلاة والزكاة والصوم والحج والبر إلى آخره من الأشياء التي ذكرها.

قال: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار إلى فعل الخيرات».

- قوله: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» النهي عن المنكر من أصول الإسلام الذي لا يجوز أن يُهمل ولا يُتهاون فيه، والرسول ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1]، وفي القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] والله ﷻ أخبرنا أنه لعن اليهود على لسان داوود وعيسى بن مريم فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٨-٧٩]. فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرٌ ذميم وخبيث يستحقون عليه اللعنات.

فالمؤمن عليه أن ينكر المنكر: إن كان قادرًا أن يغير بيده مثل المسئولين ورؤساء الشركات، ومثل كبار الموظفين وأرباب الأسر وما شاكل ذلك؛ فلابد أن يغيِّر بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ولابد؛ يعني: مثل العالم يستطيع أن يتكلم إذا رأى منكرًا ويغيِّره بلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا فرض عين على كل مسلم؛ الإنكار بالقلب فرض على المسلمين جميعًا بمختلف طبقاتهم من كبار المسئولين إلى العلماء إلى أصغر واحد من المسلمين وأقلهم مرتبة، هذا واجب على الجميع.

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (٤٩)، كتاب الإيمان] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والنهي عن المنكر فرض كفاية يجب على الجميع؛ فإذا قام به البعض سقط عن الباقين؛ لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا. . » إلى آخره؛ لأنها صيغة عموم.

قال: «والبدار إلى فعل الخيرات» قال تعالى ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. يسارع إلى الجهاد، يسارع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يسارع إلى الصلوات، يسارع إلى كل الخيرات.

قال: «واتّقاء شرّ عاقبة الطمع» نعم- والله- الطمع يهلك، يقول ﷺ: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح؛ أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»(١) فالشحّ مهلك، ويقول تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وكم من الأفراد والجماعات أسقطهم الطمع فانحرفت عن الحق ومنهج السلف حين سال لعابها على متاع الدنيا الحقير والدينار والدرهم ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾. وهذا- والله- من شرّ عواقب الطمع، والآخرة أشدّ وأنكى إن لم يتوبوا إلى الله مما وقعوا فيه.

قال: «ويتواصون بالحق وبالصبر» كما قال -تبارك وتعالى- في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وهذا يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: «ويتحابُّون في الدين ويتباغضون فيه» نعم؛ ورد التحاب والتباغض في ذات الله -تبارك وتعالى-، وحثنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- على المحبة فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢)، ومن السبعة

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥) وأبو داود برقم (١٦٩٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٥) وقال: صحيح الإسناد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (ج٢/ ص٥١٣- ٥١٤/ تحت رقم الحديث ٨٥٨).

(٢) أخرجه البخاري [برقم (١٣)، كتاب الإيمان] ومسلم [برقم (٤٥)، كتاب الإيمان] من حديث أنس رضي الله عنه.

الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه وافترقا عليه»[1] ويقول تعالى في الحديث القدسي: «وَجَبَتْ محبتي لِلْمُتَحَابِّينَ فيّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فيّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ في وَالْمُتَبَاذِلِينَ فيّ»[2] ويقول الله يوم القيامة: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلِّي»[3] وأحاديث كثيرة في التحابّ بين المؤمنين والموالاة للمؤمنين والبغض للكافرين وللفاسقين والمبتدعين.

«يتباغضون فيه» لا يتباغض أهل الحديث فيما بينهم وإنما يبغضون من خالف كتاب الله وخالف سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

قال: «ويجانبون أهل البدع وأهل الضلالات» يعني: أهل البدع ندعوهم إلى الله ونبيِّن لهم، ثم هم قسمان:

١- قسم دعاة إلى الشر: فهؤلاء لا يؤخذ منهم حديث ولا يؤخذ منهم علم، ويجب التحذير منهم لوقاية الأمة من شرهم فإنهم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها والعياذ بالله.

٢- وأما عوامهم: فهؤلاء لا يُهجرون وإنما يدعون إلى الله -تبارك وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة؛ يعني: غير دعاة وعوام وفسادهم في أنفسهم، فهذا حاول هدايته إلى الله -تبارك وتعالى-؛ تدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا كان في الاختلاط به ما يضرك فابتعد عنه.

قال: «ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات» يعادون أهل البدع

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٦٦٠)، كتاب الأذان] ومسلم [برقم (١٠٣١)، كتاب الزكاة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ برقم (١٧١١) وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٣) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٠) وابن حبان في صحيحه برقم (٥٧٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم [برقم (٢٥٦٦)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والضلالات، وهذا حكاه غيره، كثير من أئمة الإسلام منهم البغوي[1] وغيره- أذكر منهم سبعة- منهم الإمام الصابوني وقبله الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، ومنهم المزني صاحب الإمام الشافعي وابن بطة الحنبلي والقاضي أبو يعلى.

«ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات» فيه التفصيل الذي ذكرته لكم: الدعاة إلى البدع لا يؤخذ منهم علم أبدًا ولا يوثق بهم ويُحَذر منهم، وإذا استمر في فساده وهناك حكومة تقتل وتعاقب؛ يجب قتله؛ تجب عقوبته بالقتل لأنهم كما قال ابن عبد البرّ: شر من المحاربين للَّه ورسوله الذين قال اللَّه فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. وسئل الإمام أحمد: الرجل يصلي ويصوم وكذا وكذا، أو يتكلم في أهل البدع؟ قال: إذا صلى وصام فلنفسه، وإذا تكلم فللمسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١): «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين؛ حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين. هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل اللَّه؛ إذ

(١) قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح السنة» (١/ ٢٢٧): «وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مُجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم». وانظر كلام بقية الأئمة في هجر أهل البدع: كتاب أخينا الشيخ خالد الظفيري- وفقه اللَّه! - «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» فإنه كتاب فريد في بابه.

تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء» اهـ.

ولهذا قال كثير من أئمة السلف: إن أهل البدع أضر على الإسلام من اليهود والنصارى وشبّهوهم بمن يكون في داخل البيت يخرِّب فيه ويفسد، ثم بعد ذلك يفتح الباب للعدو ويقول: له: ادخل؛ فهم يفسدون المسلمين ويحطّمون معنوياتهم ويضلونهم، فلا يأتي العدو إلا وهم غثاء فيقولون له: تفضل، وقد حصل هذا من غلاة الصوفية، وحصل من الروافض التعاون مع التتار وغيرهم من أعداء الإسلام إلى يومنا هذا! فكثير منهم يساعدون على احتلال بلدان المسلمين!

فأمر البدع خطير وخطير، ولنشمِّر عن ساعد الجدّ لإنقاذ عوام المسلمين من براثن أهل البدع؛ فإن كثيرًا منهم وخاصة جهال الصوفية؛ كثير منهم مساكين؛ يحب اللَّه ويريد الجنة وكذا وكذا، لكنه مخدوع بهؤلاء الدجاجلة، فلو دعوته وأقمت عليه الحجة وبيّنت له يستجيب لك، بل وجدنا واللَّه في النصارى من يبادر للإجابة؛ إذا دعوته وبيّنت له طريق الحقّ.

فعليكم بالدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء في عوام الناس والجهال أو عوام المبتدعين. وأما الطغاة منهم والمعاندون: فهؤلاء إذا اضطررنا إلى مناظرتهم؛ نناظرهم؛ فإما أن يهديهم اللَّه، وإما أن تقوم عليهم الحجة فيتبيّن حالهم للمسلمين فينفرون منهم.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يوفقنا وإياكم للقيام بهذا المنهج على الوجه الصحيح الذي شرعه اللَّه ورضيه، إن ربنا لسميع الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه؛ الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا؛ اهتدوا؛ كما كان رسول اللَّه ﷺ يقول فيهم.

ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين.

ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم.

ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالآذان؛ وَقَرَت في القلوب ضرَّت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت. وفيه أنزل اللَّه ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

الشرح:

* يذكر المصنف -رحمه اللَّه تعالى- ما يذكره من ميزات وصفات أهل الحديث والسنة، وقد ذكر شيئًا منها فيما سلف؛ فيقول: «ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم. . . إلخ».

أما الاقتداء بالنبي ﷺ فأمر واجب ولا شك، قال اللَّه تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور٦٣]. ويقول تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وكذلك التأسّي بأصحابه -رضوان اللَّه عليهم- وسلوك طريقهم ومنهجهم؛ لأن اللَّه ﷻ أثنى عليهم، وأخبر أنه رضي عنهم ورضي عمن يتابعهم؛ فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فما اتبعوهم إلا لأنهم أسوة للاتباع وقدوة وحريّون بذلك -رضوان الله عليهم-.

ويقول النبي ﷺ في أبي بكر وعمر: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[1]، ويقول أيضًا: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة وإنّ كل بدعة ضلالة**»[2].

ولما تحدث رسول الله ﷺ عن الفرق قال: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ على إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ في الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ في النَّارِ وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى على ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ في النَّارِ وَوَاحِدَةٌ في الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي على ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ في الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ في النَّارِ**» قِيلَ يا رسول اللَّهِ من هُمْ؟ قال: «**الْجَمَاعَةُ**»[3]. وفي رواية: «قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي**»[4] والمعنى واحد؛ فهم الجماعة لأنهم اجتمعوا على الحق، وعلى ما جاء به محمد ﷺ، واللفظ الثاني «ما أنا عليه وأصحابي» يعني: اتبعوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- وتمسكوا بالكتاب والسنة وتمسكوا بالحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وأما الحديث الذي ذكره المؤلف- وهو قوله: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» -؛ فهو حديث ضعيف جدًّا؛ فإنه ورد عن ابن عباس وعن عمر وغيرهما لكن من طرق ضعيفة؛ لا تتعاضد ولا يقوي بعضها بعضًا ولا تقوم بها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٣٩٩٢) والطبراني في الكبير برقم (١٢٩) وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم (١٤٩٢).

(٤) الترمذي برقم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة تحت رقم (٢٠٤).

حجة، وفي الآيات التي ذكرناها والأحاديث ما يشفي ويكفي ويغني في فضل الصحابة ومكانتهم.

قال المصنف: «ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين».

أي: يتبعون الصالحين من أئمة الدين: مثل: التابعين بعد الصحابة؛ كسعيد ابن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير ومن كان في طبقتهم، وكذا الزهري وغيرهم من كبار التابعين ومن صغارهم.

ومن أتباع التابعين مثل: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد وابن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم، وبعدهم يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد وغيرهم من أئمة الدين الذين اشتهروا بالعلم والثبات على الإسلام والتمسك بدين الله -تبارك وتعالى- والتحذير من البدع والضلال رحمة الله عليهم.

فيتبعونهم فيما كانوا عليه من الحق؛ لقولهﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[1] يعني: الصحابة والتابعين وأتباع التابعين؛ هؤلاء هم خيار الناس، وفي عهدهم كان الإسلام عزيزًا وأهله متماسكون، ومن وقع في بدعة كان في غاية الذل والهوان.

فمن جاء بعدهم من أهل الحق ومن أهل السنة ومن يقال فيهم- إن شاء الله -: الطائفة المنصورة؛ ساروا على أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة؛ واقتدوا برسول الله واقتدوا بالصحابة واقتدوا بأئمة الهدى من التابعين وأتباع التابعين إلى القرون الثلاثة المفضلة -رضوان الله عليهم-.

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٥١)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ] ومسلم [برقم (٢٥٣٣)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

وفي القرون التي بعد القرون الثلاثة المفضلة: فضلاء كثيرون وأئمة عظماء -رضوان الله عليهم-؛ من أمثال: البخاري ومسلم وأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين، وبعدهم مثل: الدارقطني، وبعدهم: الخطيب البغدادي، ثم المقادسة في أيّامهم، وابن تيمية، وهكذا مرّت الدعوة السلفية بخير في كل مراحلها؛ إذ يوجد في كل عصر من تقوم به الحجة ومن يصدق عليه أنه من الطائفة المنصورة، وإلى يومنا هذا إن شاء الله.

قال: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم»

كيف هذا؟ هل هذا من عند أنفسهم أو بتوجيهات من الله ومن رسوله ومما كان عليه السلف الصالح؟

حذر الله ﷻ من أهل البدع وبيّن لنا أنهم أهل أهواء وأنهم يتبعون المتشابه ويتركون المحكمات.

فعن عائشة ﵂ قالت: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**»(١).

فالله ﷻ بيّن أنهم عندهم أهواء وعندهم زيغ ويقصدون إضلال أنفسهم وإضلال الناس الآخرين! ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٤٥٤٧)، كتاب التفسير] ومسلم [برقم (٢٦٦٥)، كتاب العلم].

فهم يريدون الفتن ويتقصدون إضلال الناس، ولهذا ذكرهم الرسول ﷺ ووصف لنا حالهم؛ فقال: «**سَيَخْرُجُ في أمتي أَقْوَامٌ تجارى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كما يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى منه عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ الا دَخَلَهُ**»(١).

فترى أهل السنة تمر عليهم فترات وهم في فتور وركود، بينما هؤلاء لا يكلّون ولا يملّون ولا يفترون من نشر باطلهم بمختلف الطرق؛ بالكذب، بتزيين الباطل وزخرفته.. إلخ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فعندهم من تزيين الباطل الشيء الكثير، ولاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه وسائل الشر والفتن؛ من الصحف والمجلات والتلفزيونات وشبكة الإنترنت وأمور لا أوّل لها ولا آخر! وهم في غاية النشاط الآن، وكل سهامهم موجهة ضد الحق وأهله؛ ضد السنة وأهلها! فتهيّأ لهم من الوسائل ما لم يتهيّأ لمن قبلهم، ويحتمون بالغرب مثل أمريكا وبريطانيا؛ يصولون ويجولون من وراء أمريكا والغرب ولا سيما الروافض!

الروافض جلبوا على المسلمين من الضرر والشر وسفك الدماء والفتن ما لا يعلمه إلا اللّه ﷻ! وهم يستحلون دماء المسلمين وأموالهم! ويكفرون الصحابة ويبغضونهم أشد البغض، ويكفرون أهل السنة ويبغضونهم أشد البغض، ويتحينون الفرص؛ فإذا وجدوا فرصة وثبوا عليهم؛ فيسفكون دماءهم وينتهكون أعراضهم ويسلبون أموالهم؛ لأنهم يرون أن الكون كله لهم والدنيا والآخرة لهم! وهم لا يستحقون شيئًا لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ويكذبون على أهل البيت الكرام! كم افتروا عليهم؟! وكم ارتكبوا من

---

(١) قطعة من حديث معاوية، أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) وأبو داود (٤٥٩٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨) والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥١) وفي «ظلال الجنة» (٢).

الجرائم باسم أهل البيت؟! وأهل البيت- والله- مظلومون وبرآء منهم.

يكفرون الصحابة باسم أهل البيت، ويحرفون القرآن باسم أهل البيت، ويفعلون أفاعيل لا أول لها ولا آخر، ويتوصلون إلى الملك وإلى المناصب وإلى الأموال و. . و. . إلخ؛ كل ذلك باسم أهل البيت!!

الآن يتأكّلون باسم المهدي؛ بل من قرون؛ يجمعون الخمس والوصايا والتبرعات لأصحاب القبور وأمور كثيرة باسم القائم الذي لم يولد!

فأهل السنة يبغضون أهل البدع لاشك، وذكر عدد من الأئمة ومنهم هذا الإمام: أنهم أجمعوا على بغضهم.

لكن منهم دعاة لا يجالسون ولا يناظرون إلا في حال الضرورة وإلا للمصلحة، فلا يجوز أن تدخل معهم في جدال؛ لا يجوز أن تدخل مع الروافض في جدال خاصة إذا كنت ضعيفًا، لا تدخل مع الصوفي في جدال خاصة إذا كنت ضعيفًا، إلا إذا كان رجل متمكن من العلم والدين وقيام الحجة، وعنده ذكاء ونباهة، ورأى مصلحة في مناظرتهم فيناظرهم ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾؛ فهناك جدال مشروع؛ الله ما سدّ الأبواب مائة بالمائة؛ فإذا كانت لنا طريق إلى إقامة الحجة وهداية الناس إلى الخير فنسلكها، وهذا الذي تناظره قد لا يستفيد لكن غيره قد يستفيد.

وأما الضعفاء فلا؛ وحتى من العلماء من يكون ضعيفًا ومن تخطفه الشبهة وهو عالم؛ يكون عالمًا لكن شخصيته ضعيفة؛ فيضعف أمام أهل البدع ولو كانوا أصغر منه وأقل منه علمًا! وقد حصل لكثير من المنتمين إلى السنة والحديث من التغيّر بسبب ضعفهم ومخالفتهم لمنهج السلف؛ فمثلًا:

- عبد الرزاق كان من كبار أهل الحديث، انخدع بجعفر بن سليمان الضبعي فأوقعه في التشيع!

- البيهقي كذلك؛ من كبار أهل الحديث وعلمائهم، انخدع ببعض الأشاعرة كابن فورك وأمثاله فوقع في الأشعرية!

- أبو ذر الهروي؛ كان من كبار أهل الحديث، ومن الرواة لصحيح البخاري، وله عناية عظيمة بالحديث، وألف الإلزامات على الصحيحين وهو تلميذ الدارقطني؛ سمع الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ يثني على الباقلاني فاغتر به فأحبه؛ فوقع في شيء من الأشعريات، فذهب بها ونشرها في المغرب- وكان في مكة- فانتشرت العقيدة الأشعرية في المغرب عن طريقه!

هذه بعض الأمثلة، وإلاّ فهي كثيرة جدًا.

وفي هذا العصر! كم ضاع من الشباب على أيدي أهل البدع؟! كم من الشباب ومن الكهول ومن خرّيجي الجامعات انخدعوا بأهل البدع فوقعوا في أحضانهم؟! انخدعوا بالأحزاب فوقعوا في أحضانهم! لماذا؟ لأنهم ما أخذوا بقول الرسول ﷺ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**».

القوي يدعو أهل البدع، يدعو النصارى، لا بد من الدعوة إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، لا بد أن يكون علماء أقوياء ينشرون دين اللَّه وإذا دعت الحاجة للمناظرة يناظرون حتى تقوم الحجة وينتفع من ينتفع.

وأما الضعفاء فلا، واللَّه لو كان عالمًا وهو ضعيف يجب عليه أن يتجنب أهل البدع.

ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم» على التفصيل الذي ذكرته لكم؛ قد تدعو الحاجة والمصلحة إلى المناظرة فيناظر، والقرآن بيّن ذلك: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

لكن من هؤلاء؟ هم الأكفاء وليس كل من هبّ ودبّ؛ فكثير من الناس ينخدع بنفسه ويقول: أنا أدخل مع هؤلاء القوم لأصلحهم! ثم لا تراه إلا وقد جرفوه وصار معهم! كثير وكثير!

فهذه الأصناف لا تتصدى لمناظرة أهل البدع؛ لأنهم يغلبونهم بالشبه والحيل والمكر والكيد وحتى بالإغراء بالمال!

قال: «ويرون صون آذانهم من سماع أباطيلهم» وقد مرّ معكم مثل هذا؛ ابن سرين وأمثاله ما كانوا يسمعون شيئًا من أهل البدع؛ يقولون له: نقرأ عليك آية؟ يقول: لا، ولا نصف آية، قالوا: حديث؟ يقول: لا، قوموا عني.

«وقال صالح المري: دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح بابًا من أبواب القدر فتكلم فيه. فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم» (تلبيس إبليس ١/ ٢٢).

لكن هذا لا يؤدّي بنا إلى إغلاق باب الدعوة، من عنده كفاءة يدعو؛ إذا رأيت من هو أضعف منك من أهل البدع أو من الكفار فادعه إلى اللَّه وبين له بالحكمة، وإذا رأيت أنه سيضرك ورأيت نفسك ضعيفًا فابتعد عنه، فالسلامة لا يعدلها شيء.

وإذا كنت تستطيع أن تكون سببًا لهداية الناس فالرسول ﷺ يقول: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[1]، والرسول ﷺ يقول لعلي ﷺ: «**فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[2]؛ ولهذا ما كان رسول اللَّه ﷺ يرسل

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٦٧٤)، كتاب العلم] من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري [برقم (٢٩٤٢)، كتاب الجهاد والسير] ومسلم [برقم (٢٤٠٦)، كتاب فضائل الصحابة] من حديث سهل بن سعد ﷺ.

إلا الفقهاء الأذكياء الأقوياء لدعوة الكفار، وكل الصحابة فقهاء وأذكياء - رضوان اللَّه عليهم- لكن يتفاوتون في العلم وفي غيره.

- المصنف يعلل عدم السماع منهم وعدم مجالستهم فيقول: «ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان وقرت في القلوب ضرَّت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت». وهذا يحصل لكثير من الناس؛ يخالطون أهل البدع ويستمعون إلى كلامهم- وقد يكون الإنسان مغرورًا وهو مسكين ضعيف -؛ فما تراه إلا وقد سافر مع القوم مع الأسف الشديد!

قال: «وفيه أنزل اللَّه ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٨٦].

هذه الآية في الأصل نزلت في الكفار؛ لأنهم يخوضون في آيات اللَّه بالتكذيب بالقرآن والقول بأنه سحر وأنه كهانة وأنه شعر.. وإلخ، ويطعنون في الرسول ﷺ بأنه ساحر وشاعر وكاهن و..و..إلخ عليهم من اللَّه ما يستحقون.

ثم إن الآية بعمومها تتناول أهل البدع؛ لأنهم يخوضون في آيات اللَّه بالباطل!

ولو ترى خوض الروافض في آيات اللَّه؟! واللَّه اليهود ما يلحقونهم في الخوض في آيات اللَّه والتلاعب بها وتحريفها!

وكذلك أهل الكلام يحرفون دين اللَّه عن مواضعه؛ المعتزلة والقدرية ويتابعهم الأشاعرة في كثير من التحريفات والتأويلات.

والصوفية كذلك؛ متأثرون بنظريات الروافض وعقائدهم إلى حدّ بعيد! القبور والخرافات والحلول ووحدة الوجود، هذه مقتبسة من عقيدة الروافض وباطنيتهم! أخذها منهم الصوفية، لا سيّما لما حكم الباطنيون مصر والمغرب

والشام وغيرها انتشر الفكر الباطني، ولما قضى اللَّه على دولهم؛ بقيت آثارهم وأفكارهم في كثير من الصوفية؛ مثل: الحلول ووحدة الوجود، حتى إنّ فيهم شيئًا من الرفض؛ تجد بعض الصوفية فيهم شيء من الرفض!

فاللَّه ﷻ حذر من استماع ومجالسة من يخوض في آيات اللَّه، فهذه الآية تنطبق على أهل البدع.

ونقل المحقق هنا نصًا جيِّدًا عن الشوكاني نقرؤه عليكم، وله رَحِمَهُ اللَّهُ نصوص أقوى من هذا في «فتح القدير» حتى إنه ذكر في بعض النصوص: أن أهل البدع أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى والزنادقة! لماذا؟ لأن المسلمين لا ينخدعون باليهود والنصارى والزنادقة وينفرون منهم؛ فلا يقبلون منهم شيئًا، لكن ينخدعون بمن ينتمون إلى الإسلام!

وقد ذكر أئمة الحديث في باب «الموضوع» من كتب المصطلح أن أخطر الفئات على الإسلام والمسلمين هم المتدينون الذين يكذبون؛ يكذبون للرسول كما يقولون! متدين وزاهد وعابد ويصلي ويصوم وخاشع وكذا لكنه يكذب!

قال -أي: الشوكاني-: «هؤلاء أخطر وأضر على الإسلام من الزنادقة»، والعلة هي نفسها وهي أن الناس يُخدعون بهم فيقبلون كلامهم، ولهذا التصوف انتشر أكثر في العالم الإسلامي بسبب ماذا؟ بسبب أنه عابد زاهد خاشع! وهو ينشر خرافاته، فينخدع كثير من الناس به.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح القدير (٢/ ١٨٥): «والمعنى: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم».

قال الشيخ معلقًا على كلام الشوكاني: في ضُلاّل الروافض من يستهزئ بالقرآن! في غلاة الصوفية من يكنّ التكذيب في نفسه! لأن الزنادقة يندسون في صفوف هؤلاء، فهم مرتع خصب للزنادقة!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الشوكاني-: «ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث مغاير له، أمره اللَّه سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات اللَّه إلى غاية هي الخوض في غير ذلك.

وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام اللَّه ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة».

قال الشيخ: يعني إذا جاء إلى مجلس فيه صوفية أو روافض وعنده علم ومنطق وحجة وحكمة؛ فعليه أن يدعوهم إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ، أما أن يجالسهم وهم يخوضون وهو ساكت- ولو كان يعتقد خلاف ما يقولون -؛ فهذا قد شاركهم، فهو منهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير».

قال الشيخ: هذا لأنه هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ عانى من غلاة الزيدية ومن الروافض في اليمن؛ فحاربهم وكافحهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله كتاب اسمه: «منتهى الأرب»؛ يحكي فيه بعض ما وقع لأهل السنة معهم؛ يعني: معارك كانت تدور بين أهل السنة ومعهم الشوكاني وبين الروافض.

كان الروافض يقومون بمظاهرات ويكونون جماعات ويهاجمون أهل السنة في المساجد ويفعلون الأفاعيل! ذكر هذه القصص الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا «منتهى الأرب» وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يسميهم إلا روافض.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبِّهون بها على العامة».

قال الشيخ: يعني هو لا يعتقد ما يقولون لكن مجالسته إيّاهم ينشأ عنها

مفسدة عظيمة، وهي أن العوام يقولون: ما جالسهم «فلان» إلا وهم على الحق!

والآن إذا سكت العلماء عن الباطل، يقول الناس: كيف سكت فلان وفلان وما تكلم إلا فلان؟! فيتخذون من سكوتهم شبهة! وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وسبقه ابن قتيبة والذهبي وقد عاصره: لا بد من الرد على أهل الباطل ولا يجوز السكوت، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق»[1].

ولهذا أمر اللَّه تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعن الذين لا يتناهون عن المنكر؛ فقال -تبارك وتعالى-: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٨-٧٩].

فالواجب على الأمة وعلماء الأمة أن ينكروا المنكر، ولا يحتقروا بدعة أبدًا؛ لا يجوز التهاون في أيّ بدعة، لا بد من إنكارها، بل لو أن الناس فرطوا في سنة فمن النصيحة أن تبيِّن لهم فضل هذه السنة، وأن تركها قد يؤدي إلى ترك الفرائض والواجبات.

فالعلماء هم حُرّاس الدين؛ يحافظون على أصوله وفروعه، فروضه ومستحباته، عقائده ومناهجه، هم مسئولون عن هذا؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فيجب عليهم أن يكونوا حماة لدين اللَّه، وحراسًا لدين اللَّه من العلمانيين والشيوعيين والروافض والباطنية والصوفية، وأهل البدع كلهم وأهل الضلال.

الآن تجد من ينتمي إلى السنة بل إلى السلفية من يقول في كبار أئمة الضلال: إنهم أئمة هدى! أيّ غشّ هذا وأيّ تلبيس على المسلمين؟!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر، وقد

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣١٥).

شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها؛ علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي اللَّه بفعل شيء من المحرمات، ولا سيّما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة؛ فإنه ربما يتفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه؛ فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى اللَّه به معتقدًا أنه من الحق وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر». انتهى كلام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الشيخ: نعم، يسمع المنكر ويسكت فيأثم، كيف تسكت؟! إما أن تأتي إليهم فتنصحهم وتبيِّن لهم، فإن سمعوا فالحمد للَّه، وإن لم يسمعوا فاتركهم؛ لأنهم عاندوا، أما أن تأتي إليهم وتسكت وتسمع الباطل والخوض في آيات اللَّه بالباطل وتحريف كتاب اللَّه عَزَّوَجَلَّ ثم تسكت، فلا.

كذلك كتبهم؛ كتب أهل البدع حذّر منها السلف، بل قد يكون الكتاب أخطر من السماع من الشخص؛ لأنه قد نظّم هذه البدع وأسّسها ووطّدها وحفّها بالأدلة -وهي شبه وليست أدلة- مما قد يعجز عنه الذي يتكلم بالبدعة!!

فالكتب خطيرة جدًّا، والأشرطة كذلك خطيرة؛ لأنه يكون قد أعدّ العدة لإضلال الناس بتزيين الباطل وسوق الشبه مساق الحجج.. إلخ.

* * *

علامات أهل البدع

«وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحَمَلَة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة؛ اعتقادًا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتاج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾».

الشرح:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة».

ذكر المؤلف قبل هذا الفصل مزايا أهل السنة وأهل الحديث -رحمهم الله- منها: أمرهم بالمحافظة على الصلاة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومحبتهم لأهل السنة.

ومن أعظم علاماتهم: محبتهم لأهل السنة وذكر لهم بعض العلامات الأخرى.

وهنا يتحدث عن علامات أهل البدع؛ يعني للنفاق علامات، الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا اؤتمن خَانَ»[1] فإذا رأيت هذه الثلاث أو واحدة منها في شخص

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٣٣)، كتاب الإيمان] ومسلم [برقم (٥٩)، كتاب الإيمان] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فيكون عنده شيء من النفاق، وقد يصل إلى النفاق الكامل -والعياذ بالله- باستهتاره بالصدق والأمانة وغيرها من الأخلاق العالية؛ التي حذرت من أضدادها الأحاديث.

وأهل الحديث عرفوا من تعاملهم مع أهل البدع ومعاملة أهل البدع لهم: أن لهم هذه العلامات؛ يسمعونها بآذانهم ويعرفونها عنهم منها:

قال: «وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدّة معاداتهم لحَمَلة أخبار النبي ﷺ».

هذه أبرز وأظهر علامات أهل البدع؛ لا تجد رافضيًا ولا صوفيًا ولا سياسيًا حزبيًا ولا من يدور في فلك هؤلاء من الكذابين الزاعمين أنهم سلفيون؛ لا تجده إلا يبغض أهل الحديث ولا يطيق سماع ذكرهم، ولا سيّما من يتصدى لبدعهم وضلالاتهم وبدع شيوخهم؛ فإنهم يحاربونه أشد الحرب وبشتى الوسائل؛ قد يفوقون اليهود في الكذب والإشاعات الكاذبة الباطلة!!

فإذا رأيت إنسانًا يطعن في أهل السنة؛ فهذا دليل على أنه مبتدع، وقد يكون زنديقًا؛ إذا رأيت إنسانًا يطعن في أهل السنة وفي أهل الحديث؛ فما يطعن فيهم إلا وهو مخالف لهم محتقر لما عندهم، لا شك في ذلك.

وإلا فما الذي يدفعه إلى الطعن في أهل السنة وأهلها؟! ما يدفعه إلا أنه ضال وينطوي على زيغ وخبث وشر! فهذا من علاماتهم؛ هذا من علامات أهل الشر وعلامات أهل البدع، ولو قال: إني من أهل السنة فلا تصدقه؛ لأنه كذاب!

وكثير من هؤلاء المزيفين الكذابين؛ يقول لك: أنا سلفي وهو كذاب، ما قال هذا إلا مكيدة؛ مثل المنافق يقول: أنا مؤمن، أنا مسلم؛ يقول: أنا مسلم! المنافق لا يقول: أنا كافر، وأنا منافق وأنا أكره الإسلام؛ بل يقول: أنا مسلم ويصلي ويتصدق ويفعل وكذا، وهو يحارب الإسلام ويبغض أهله.

فكثير من الناس- الآن- من يقول: أنا سلفي، ولا تراه إلا يبغض أهل الحديث ويطعن فيهم!!

أهل الحديث موجودون- والحمد لله -؛ موجودون في مكة، موجودون في المدينة، موجودون في اليمن، في الهند، في باكستان، في كل مكان، وهو لا صلة له بأهل الحديث إلا الحرب! يوالي أهل البدع ظاهرًا وباطنًا ويدافع عنهم ويستميت في الدفاع عنهم!

فهؤلاء لا شك أنهم مبتدعة ولو سموا أنفسهم ما سموا، ووصفوا أنفسهم ما وصفوا؛ فهذه من العلامات التي تبيِّن حالهم.

لماذا يبغضون أهل الحديث؟

يبغضونهم لأجل أنهم على الحق، ولأنهم متمسكون بالكتاب والسنة، وهذا أمر خطير.

فقد يكون خبيثًا زنديقًا يكره كتاب الله ويكره سنة رسول الله ﷺ، فلهذا يحارب أهل الحديث؛ يحارب أهل الحديث؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وبسنة رسول الله، ولا يدفعه إلى بغضهم ومعاداتهم والطعن فيهم إلا لأنهم متمسكون بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ كما أمرهم الله بذلك، ومعتصمون بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ فأيّ شر أدهى من هذا البلاء؟!

ولهذا يقول الرسول ﷺ: «**أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد** ﷺ وشر الأمور محدثاتها»، ومن شرها أنها تدفع أهلها إلى محاربة كتاب الله وسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، فأيّ شر يفوق هذا؟!

إذا سمع قال الله لا يعجبه، وإذا سمع قال رسول الله لا يعجبه؛ يبغضه، إذا سمع من يقول قال الله، يقول: هذا حشوي، هذا كذا، هذا كذا؛ يطعن فيه! فأي

خير في هذا وأي شر يفوق هذا والعياذ بالله؟!! ولهذا حذر منهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام- وحذر منهم الصحابة وحذر منهم السلف الصالح - رضوان الله عليهم- وتبرءوا منهم كما نقل ذلك البغوي وغيره من الأئمة بغضهم لأهل البدع وعداوتهم لهم.

نعم، قد يكون هذا المبتدع جاهلًا مقلِّدًا؛ لأننا- مع ما ذكرنا- نرى أن فيهم عوامًّ؛ فيهم عوام محتاجون إلى دعوة؛ قوم مخدوعون ليسوا على المنهج الذي عليه هؤلاء الفجرة الذين يضحكون على العوام فيحسنون بهم الظن فيتبعونهم ويحترمونهم، ولو انكشفت لهم الحقيقة لأداروا ظهورهم لهؤلاء ولانضموا لأهل الحق.

فنحتاج إلى دعوة عوام أهل البدع، نحتاج إلى دعوتهم؛ عوام الخوارج، عوام المعتزلة، عوام الروافض حتى لو أمكن؛ ندعوهم إلى الله -تبارك وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة مع بغض أهل البدع؛ يعني: تبغضهم لله لأنهم يبغضون الحق الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله ﷻ، فأنت لا تبغضهم لشخصك وإنما تبغضهم لله وتقربًا إليه لماذا؟! لأنهم يبغضون ما جاء به محمد ﷺ؛ بعضهم جهلًا منهم وبعضهم خبثًا منهم والعياذ بالله.

وقد مرّ بكم موقف عمر بن الخطاب من صبيغ وأنه كان يسأل عن المتشابه ويسأل.. ويسأل..؛ فلما جاء إلى عمر ضربه ضربًا شديدًا وأمر به للسجن، ثم أخرجه مرة أخرى وضربه ثم أدخله السجن، ثم ضربه مرة ثالثة أو رابعة ثم نفاه إلى العراق وأمر بهجرانه.

وابن عمر رضي الله عنه؛ جاءه اثنان من أهل العراق يحيى بن يعمر وعبد الرحمن بن حميد فقال أحدهما: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قِبَلَنا أناس يقرءون القرآن ويتقفّرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف- يعني: أن الله ما كان يعلم بهذه الأشياء ولا يعلم بالأشياء إلا بعد حدوثها

مستأنفًا! فلما سمعوا بهذه البدعة رحلوا إلى المدينة ليكتشفوا حقيقة هذا الأمر، وهذه كانت عادة عند التابعين وسنة؛ وحتى الصحابة كانوا يرحلون- فقال ابن عمر ﷺ: فإذا لقيت أولئك؛ فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[1].

فهؤلاء القدرية كفار؛ لأنهم ينكرون علم الله ﷻ، ولهذا كان الشافعي وأحمد يقولان: «ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن اعترفوا به خُصِموا وإن جحدوه كفروا».

هؤلاء القدرية كانوا ينكرون علم الله -تبارك وتعالى- السابق بالأحداث وما يكون من العباد وما يكون من غيرهم فأنكروا علم الله، أنكروا علم الله -تبارك وتعالى-؛ فقال ابن عمر ﷺ: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم- يعني براءة المؤمن من الكافر- وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر».

والرسول ﷺ حذّر من أهل البدع وأمر بقتل الخوارج؛ قال فيهم: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مع صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ ويقرءون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**»[2]، وقال فيهم: «**أينما وجدتموهم فاقتلوهم**»[3]، وقال فيهم: «**لو أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[4].

---

(١) مسلم [برقم (٨)، كتاب الإيمان].

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٥٠٥٨)، كتاب فضائل القرآن] ومسلم [برقم (١٠٦٤)، كتاب الزكاة] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وتلقى هذا الدرس أصحاب رسول اللَّه -رضوان اللَّه عليهم-، ولما ظهر الخوارج اجتمعت كلمتهم على قتالهم وقتلهم؛ لم يختلفوا فيهم، نعم اختلفوا في قضية الجمل وفي قضية صفين؛ لأنها كانت فتنة؛ هؤلاء مسلمون وهؤلاء مسلمون، هؤلاء على السنة وهؤلاء على السنة؛ فكانت فتنة اختلفوا فيها وافترقوا ثلاث فرق: فرقة قاتلت مع علي وفرقة توقفت وفرقة قاتلته، وكلهم مجتهدون إن شاء اللَّه، لكنهم لم يختلفوا في الخوارج؛ بل اجتمعت كلمتهم على وجوب قتلهم وقتالهم، وفعلًا قاتلهم علي ﷺ وقتلهم وما بقي منهم إلا من فرّ ونجا بنفسه.

فهذا رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- يحذِّر منهم ويأمر بقتل الخوارج، وهذا عمر بن الخطاب فعل بصبيغ هذا الفعل، وهذا عبد اللَّه بن عمر ﷺ يتبرأ من القدرية الأولى، وكذلك ابن عباس وغيرهم؛ ابن عباس قال: «ائتوني بهم لو وجدت أحدًا منهم لعضضت أذنه» ونُقل عن جابر وعن غيره إنكارهم على أهل البدع.

وسار على نهجهم أهل الحديث الطائفة المنصورة؛ يدعون إلى اللَّه وإلى كتابه وإلى سنة نبيه ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ويوالون على ذلك ويعادون عليه، وهذا مبثوث في كتب تاريخهم وفي كتب العقائد يتداولونه جيلًا عن جيل؛ هذا شيء مسلم له به ومفروغ منه.

الآن الإخوان المسلمون يقولون: الروافض إخواننا!! والروافض يقتِّلون في أهل السنة ويستبيحون دماءهم ويهدمون مساجدهم ويدوسون مصاحفهم ويفعلون بهم الأفاعيل؛ الأفاعيل التي لا يفعلها لا اليهود ولا النصارى! وحقد الروافض على أهل السنة وعلى الصحابة لا يفوقه حقد يهود ولا غيرهم، لا أحد يلحقهم في هذا!!

والإخوان ينادون بالجهاد؛ مع من؟! إلى جانب الروافض! وهم إخوان

اليهود والنصارى! والتاريخ أكبر شاهد والواقع أكبر شاهد، وإذا قاتلوا لا يقاتلون لإعلاء كلمة اللَّه؛ يقاتلون لأغراض شخصية!

والجهاد إنما يكون في سبيل اللَّه ولإعلاء كلمة اللَّه؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء؛ فأيّ ذلك في سبيل اللَّه؟ قال: **من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه**»(١).

فهل الذي يقاتل مع الروافض يريد أن تكون كلمة اللَّه هي العليا؟!! الروافض عندهم تكفير الصحابة، الطعن في القرآن وتحريفه، الطعن في الرسول ﷺ وزوجاته، هؤلاء أشد علينا من أكفر الكفار وأشد أعداء الإسلام.

لكن أهل الأهواء وأهل البدع من شرورهم هذا، من شرورهم أنهم يفتنون المسلمين ويلقون بينهم مثل هذه الفتن؛ فالشباب الآن في بلبلة من عمل الإخوان المسلمين- مطايا الروافض وإخوانهم -، وأعتقد أن في الإخوان المسلمين روافض مدسوسين؛ يحركون عواطف البلهاء الذين يتبعونهم! وهذا تجده في أيّ بلد، تجدهم يتعاطفون مع الروافض ويمهدون لهم السبل لإفساد الناس وإدخالهم في الرفض! في العراق، في سوريا، في لبنان، في السودان، في دول إفريقيا، في شرق آسيا يمهد لهم الإخوان المسلمون!

الروافض على امتداد تاريخهم ما كانوا يطمعون في أهل السنة حتى جاء الإخوان المسلمون ومهدوا لهم هذا الانتشار وهذا البطر والأشر الذي يظهره الآن الروافض. وهذا من شرور الإخوان المسلمين؛ هذا من شرِّهم؛ موالاتهم للروافض ووقوفهم إلى جانبهم في الأحداث ضد أهل السنة وضد المسلمين وإن تظاهروا أنهم ضدّ اليهود وهم واللَّه ضد أهل السنة!!

---

(١) أخرجه البخاري [برقم (٢٨١٠)، كتاب الجهاد والسِّير] ومسلم [برقم (١٩٠٤)، كتاب الإمارة] من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

قال: «واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم».

إي- واللَّه! -؛ ترى الاستخفاف بأهل السنة في هذا العصر؛ استخفاف شديد، وتلميع لأهل الباطل والكذب والزور والفجور: العلامة فلان والإمام فلان و. . و. . إلى آخره، والسبّ والشتم والافتراءات على أهل السنة!!

قال: «وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة».

يطلقون هذه الأوصاف على أهل الحديث وهم برآء من هذه المذامّ والخصال المذمومة؛ أهل السنة منها برآء؛ فإنهم متمسكون بكتاب اللَّه وبسنة رسول اللَّه ﷺ وليس فيهم شيء من هذه الضلالات، لكنهم يقولون هذا كذبًا وزورًا، وهذا من أكاذيب أهل البدع ولا تجد مبتدعًا إلا كذابًا، ولا يستطيع أن يقاوم أهل السنة إلا بالأكاذيب والافتراءات.

هذا في التاريخ السابق، وهو موجود الآن في أهل البدع في هذا العصر؛ لا يحاربون أهل السنة إلا بالكذب والافتراءات والاتهامات!!

فهم- الآن- يقولون في أهل السنة: مرجئة! وكذبوا ورب الكعبة؛ وهم أخسّ- واللَّه- من المرجئة، واللَّه عندهم أخبث أنواع الإرجاء؛ إذ يكون الزعيم منهم كذابًا خائنًا فاجرًا، من أكذب الناس وأفجرهم وأخونهم، ومع ذلك: هو العلامة الإمام عندهم! ويمدحونه ويوالون عليه ويعادون عليه؛ هذا أخبث من الإرجاء وتحت الإرجاء بدرجات؛ ويسمون أهل السنة مرجئة!!

وهذه الألقاب الآن -واللَّه أعلم- قليلة؛ لأن الجهمية الآن اندست في الأشاعرة؛ فالأشاعرة عتاتهم وغلاتهم يبغضون أهل الحديث ولو سموا أنفسهم أهل سنة؛ بل يرون أنفسهم هم أهل السنة! يبغضون أهل الحديث ويسمونهم مشبهة وحشوية وجهلة، ويوجد هذا في كتبهم، لماذا؟ لأنهم ورثوا الجهمية في كثير من عقائدهم وإن كانوا لم يأخذوا كل بدعهم؛ فقد أخذوا منها حظًّا وافرًا؛ مثل تعطيل الصفات، ومثل القول بالجبر وأشياء أخرى.

وقوله: «وظاهرية»: سموا أهل السنة ظاهرية؛ لأنهم يؤمنون بالنصوص القرآنية والنبوية، ويأخذون بدلالتهما الظاهرة الواضحة، فلا يئوّلونها ولا يحرّفونها كما يفعل أهل الأهواء!

قال: «ومشبهة»؛ يعني: أهل السنة تمسكوا بسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ بأنّ اللَّه يجيء، وأنّ اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا؛ كما في أحاديث، وفي القرآن ما يؤيد هذا، وهم عند أهل البدع حشوية، جهلة، ظاهرية، مشبهة. لماذا؟ يقولون: لأنهم يأخذون بالظواهر، وليس عندهم تأويلات كما عندنا؛ فنحن نؤوِّل استوى: بمعنى استولى؛ وأنتم شبهتم اللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأنكم تأخذون بظاهر استوى، وكيف تقولون: اللَّه ينزل؟! لا ينزل إلا المخلوق! لا ينزل إلا الجسم! -قاتلهم اللَّه! -.

اللَّه يفعل ما يشاء؛ اللَّه استوى استواء يليق بجلاله، وينزل نزولًا يليق بجلاله والأحاديث متواترة في ذلك، ويؤيد ذلك الآيات: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]. جاء الرب ﷻ: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٩٦]. فقد جاءت آيات تدلّ على أن اللَّه يجيء وينزل ﷻ، والأحاديث متواترة في ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعتقادًا منهم في أخبار رسول اللَّه ﷺ أنها بمعزلٍ عن العلم»؛ لأن عندهم أساس العلم هو العقل وهو الميزان؛ العقل هو الميزان؛ فإن جاء الشرع يوافق العقل قبلوه لا لأجل أنه شرع وإنما لأنه وافق عقولهم الفاسدة وإن خالف عقولهم قدموا العقل على الكتاب والسنة فأي شر يفوق هذا؟! أن يقدِّم عقله الفاسد الجاهل على كلام اللَّه الحكيم، العليم، الخبير، الذي أحاط بكل شيء علمًا؛ الذي قدره حكمة وشرعه حكمة، وكل قضية من القضايا التي يشرعها حكمة، وكل خبر قائمٌ على العلم والعدل والحكمة.

فهؤلاء بعقولهم الفاسدة الكاسدة يردون النصوص النبوية ويحرفونها؛ لأنها أخبار آحاد! وأما نصوص القرآن فيصبون عليها التأويلات؛ لأنها وإن

كانت قطعية الثبوت فإنها - عندهم - ظنية الدلالات!

وهكذا يتعاملون مع نصوص الكتاب والسنة، ثم يوجِّهون هذه التهم لأهل السنة من حشوية ومشبهة وظاهرية و. . و. . إلى آخره، وهم أهل العقول، وأهل الوعي، وأهل الذكاء!

أما أهل السنة فيأخذون بنصوص القرآن؛ ما من صفة تقريبًا إلا وفيها مئات وعشرات النصوص: «صفة الرحمة»؛ خمسمائة آية غير الأحاديث كلها تدل على هذه الصفة، ويأتي هؤلاء يئولونها! يخالفون قواعد اللغة وقواعد القرآن وقواعد أهل السنة وما كان عليه الرسول والصحابة! هل رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ تأوّل؟! هل الرسول تأول شيئًا من هذه النصوص؟!

ثم انحرف هؤلاء وأخذوا فلسفات اليونان وغيرها، فصارت عقولهم لا تقبل ظواهر نصوص القرآن!! والأصل في الإسلام الأخذ بظاهر النص القرآني أو النبوي؛ الأصل فيه الأخذ بالظاهر، ولا يجوز التأويل إلا بقرينة قوية واضحة، وهم ليس عندهم قرائن، إنما عندهم شبهات وخيالات!

نحن قد نرى مثلًا نصين متعارضين؛ فنجمع بينهما، وهذا فيما يبدو لنا وإلا فهي ليست متعارضة، فنجمع بينهما؛ هذا نوع من التأويل.

لكن النصوص الواضحة مثل نصوص الصفات هذه ليست من المتشابه ولا تحتاج إلى تأويل، لهذا ما أولها الصحابة ولا التابعون ولا أئمة الهدى، ولما برز هؤلاء بفتنتهم وتأويلاتهم الفاسدة؛ واجههم أهل الحجج والبراهين التي تدحض شبهاتهم وأباطيلهم.

كذلك الخوارج - والعياذ بالله - يردون كثيرًا من السنة، وينكرون كثيرًا من الحدود ولا يأخذون إلا بالقرآن! فالسارق - عندهم - تقطع يده من الكتف، والزاني المحصن لا يرجم؛ لماذا؟ لأنهم لا يأخذون بالسنة!

وكذلك المعتزلة والقدرية والجبرية والجهمية والصوفية؛ كلهم عندهم تأويلات وتحريفات ورد للنصوص بطرق ملتوية؛ خاصة في القرون المتأخرة من بعد ما انتشر الكلام في الأشاعرة وغيرهم؛ فقد ساد التأويل إلى أبعد الحدود، ودخل التصوف في الأشاعرة فاتسعت دائرة الفتنة والضلال والانحراف ومواجهة كثير من نصوص الكتاب والسنة خاصة الأمور الغيبية.

فهم يقولون: إذا تعارض العقل والنقل نقدم العقل؟ لماذا؟ لأنه أصل النقل! انظروا هذا الضلال!

أما أهل السنة فالأصل عندهم اتباع الكتاب والسنة، والعقل السديد هو الذي يفهم القرآن والسنة، والعقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح؛ لا يتعارض العقل والنقل أبدًا، لكن هم ليس عندهم عقول؛ وإنما عندهم شبهات ووساوس يسمونها عقليات؛ فلذلك تتصادم أهواؤهم وخيالاتهم بالقرآن والسنة.

أما أهل العقول الراجحة الصريحة الواضحة؛ فهؤلاء تنسجم عقولهم مع الكتاب والسنة، ويستسلمون لنصوص الكتاب والسنة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. ويرون أن هذه النصوص لا تخالف العقل أبدًا، وأصرح العقول يتتلمذ على هذه النصوص؛ لأنها وحي من اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٤- ٥].

واللَّه أمر باتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما وأكد ذلك مرارًا، فكيف يأمرهم باتباع النصوص وظاهرها باطل؟! وكيف يحيلهم على شيء غير مليء؟! نعوذ باللَّه من الضلال!

فبين المصنف- هنا- أن منشأ عداوتهم للسنة هو اعتمادهم على عقولهم الفاسدة وخيالاتهم فإذا رسخ هذا الباطل في أذهانهم احتقروا السنة

واحتقروا أهلها!

فيقولون: السنة أخبار آحاد، وأخبار الآحاد تحتمل الكذب؛ فلا بد أن يكون النص متواترًا؛ النص الذي تنبني عليه العقيدة لابد أن يكون متواترًا، وإذا جاءهم متواترًا يتأولونه! وإن كان متواترًا فدلالته- عندهم -: ظنية! لعب وخوض في آيات اللَّه!

يقولون فيها: إنها بمعزل عن العلم! يعني: إنّ العلم ما دلتهم عليه عقولهم التي يسوقها الشيطان ويشحنها بالخيالات وبالخرافات والأباطيل والأضاليل فيظنوها أنها معقولات وهي مجهولات وضلالات.

ولهذا قال المصنف: «اعتقادًا منهم في أخبار رسول اللَّه ﷺ أنها بمعزلٍ عن العلم، وأنّ العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتاج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير» نعم واللَّه؛ هذه صفاتهم والعياذ باللَّه «وكلماتهم وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة» كل هذا معطوف على الكلام السابق؛ يعني: عقولهم فاسدة، وما يتخيلونه علمًا: هو هواجس وخيالات، وكلماتهم التي يعبرون بها عن عقولهم الفاسدة وحججُهم: عاطلةٌ وباطلةٌ.

ثم قال: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لعنهم المصنف؛ والأمر يحتاج إلى تفصيل:

فالمنافقون منهم يستحقون هذا اللعن، وكذلك من كان منهم معاندًا مكابرًا أو زنديقًا قد يستحق اللعن إذا مات على عقيدة فاسدة؛ لأن اللَّه قد يتوب على هذا الضالّ.

أما الجهال الذين يتبعونهم؛ فلا نلعنهم، وندعوهم إلى اللَّه -تبارك وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة.

والأولى اجتناب مثل هذا اللعن خاصة في المعين؛ اللعن على العموم جائز؛ تقول: لعنة اللَّه على الظالمين، على الكاذبين على كذا؛ لا تعيِّن، حتى ولو كان نصرانيًّا أو يهوديًّا لماذا؟ لأن اللَّه قد يتوب عليه فيموت على الإسلام، قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ حينما دعا على نفر من قريش: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٢٨].

* * *

«سمعت الحاكم أبا عبد اللَّه الحافظ يقول: سمعت أبا عليّ الحسين بن عليّ الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه.

قال: وسمعت الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت [أباإسماعيل] محمد بن إسماعيل الترمذيّ يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد اللَّه، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق [زنديق]، حتى دخل البيت.

قال: وسمعت الحاكم أبا عبد اللَّه يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده.

قال: وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلًا فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له: قم يا كافر، فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبدًا، ثم التفت إلينا وقال: ما قلت قط لأحد ما تدخل داري إلا هذا.

وسمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبد اللَّه بن حمشاد العالم الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرئ الرازي يقول: قُرئ على عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي يقول: - عَنَى به الإمام في بلده أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي- يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشويه، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبِّرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة».

الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت الحاكم أبا عبد اللَّه الحافظ يقول: سمعت أبا عليّ الحسين بن عليّ الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد بن سنان الواسطيّ يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدِعٌ إلا وهو يُبغِضُ أهل الحديث»

هذا من علاماتهم؛ لا تجد مبتدعًا يحب أهل الحديث؛ لا تجدهم إلا يبغضون أهل الحديث، ولماذا يبغضونهم؟! لأنهم على الحق ويدعون إلى الحق ويوالون على الحق ويعادون عليه، ولهذا يبغضونهم.

إن أهل الحديث ينكرون عليهم أباطيلهم فيزداد بغضهم لهم والعياذ باللَّه، وهذا الداء والبلاء مستشرٍ في الناس إلى الآن!

ولا شك أن للصوفية قيادات فاجرة، وللأحزاب قيادات من هذا النمط، والروافض حدِّث عنهم ولا حرج؛ بل علماؤهم زنادقة، فلماذا لا يبغضون أهل الحديث ويحاربونهم؟! لأن دينهم يناقض دين اللَّه الحق؛ فلابد من العداوة لأهل الحديث والبغض والتنقص لهم والطعن فيهم.

قال: «فإذا ابْتَدَع الرَّجُلُ نُزِعَت حلاوة الحديث من قلبه».

فأي خير فيه إذا ذهبت من قلبه حلاوة الحديث، والعياذ بالله؟!

فعلًا؛ قد تراه محدِّثا وهو يبغض الحديث وأهله! مثل الكوثري وأمثاله كانوا يبغضون أهل الحديث السابقين واللاحقين والموجودين في عصرهم!

يطعنون في عبد الله بن أحمد وفي أحمد بن حنبل، ويطعنون في البخاري وفي مسلم، ويطعنون في الخطيب وغيره.. وغيره؛ في ثلاثمائة عالم عدّهم المعلمي -وهو من أئمة السنة- يطعن فيهم الكوثري الصوفي الغالي الجهمي الضال الغارق في التجهم والتعطيل، كيف يحبهم وهذا حاله؟!

وترى التبليغيين ينفِّرون من أهل الحديث، وهم يدّعون أنهم من أهل السنة!

والإخوان المسلمون من أشد الناس حربًا لأهل السنة وأشد الناس تنفيرًا منهم وأشد الناس دعوة للباطل والعياذ بالله؛ هؤلاء لا يجدون حلاوة الحديث؛ فلو وجدوا حلاوة الحديث لاستقر في قلوبهم، ودانوا بما فيه واطمأنوا إليه واعتقدوا ما فيه، ولكنهم لا يجدونها؛ بل هم -أولًا- لا يدرسون الحديث ولا يهتمون به، وإذا درسوه لا يستفيدون منه ولا يثقون به!

والغزالي في هذا العصرحارب أهل الحديث حربًا شديدة، وطعن فيهم وسخر منهم؛ وهو من العقلانيين الذين يحكِّمون عقولهم ويقدّمونها على السنة، يتعلق بكثير من الأحاديث الضعيفة ويبني عليها أحكامًا وعقائد وغيرها، ويردّ الأحاديث الصحيحة، ويقول للناس: إن قَبِل عقلي الحديث فهو صحيح ولو كان إسناده ضعيفًا!، وأردّ الحديث الصحيح إذا خالف عقلي! ؛ فجعل عقله هو الميزان لحديث رسول الله ﷺ!، وألف كتابًا سماه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» يطعن في الحديث وأهله، ويسخر من بعض الأحاديث، وذهب إلى أفكار خالف فيها الإجماع، وتخبط ومدح أهل البدع، وأخذ بأقوالهم وأقوال الغربيين وأحكامهم وقوانينهم، وأشاد بحرية المرأة وأنها تصلح للمناصب كلها إلا الخلافة الكبرى! يبيح ويمنع كما شاء بلا دليل.

ثم قال المصنف: «وسمعت الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ» -والنص يوجد في كتابه «معرفة أهل الحديث»-: «يقول: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت [أباإسماعيل] محمد بن إسماعيل الترمذيّ» وهو من كبار أهل السنة «يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين» وإمام المسلمين «أبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد اللَّه، ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكة أصحاب الحديث» وابن قتيلة هذا من أهل البدع «فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق، زنديق، حتى دخل البيت».

لماذا يبغض أهل الحديث ويقول: قوم سوء؟! لأنهم متمسكون بكتاب اللَّه وبسنة الرسول ﷺ الذين يتمسكون بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ يصيرون قوم سوء؟!! فالسوء -في نظره- جاءهم من كتاب اللَّه وسنة الرسول ﷺ؟!! لهذا قال أحمد: زنديق، زنديق، زنديق. وله الحق أن يقول ذلك، والعياذ باللَّه.

وأيده ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من أهل السنة، قال الإمام ابن تيمية: «لأنه عرف مغزاه»؛ مغزاه الطعن في كتاب اللَّه وفي سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

ولا شك أن كثيرًا ممن يطعن في أهل الحديث زنادقة، ويندسون في صفوف العوام وفي صفوف طوائف الضلال مثل الصوفية والروافض، ويطعنون في الدين ويطعنون في حملته.

فمن كان من الصوفية الجهلة ندعوه، ومن كان منهم يقول بالحلول ووحدة الوجود هذا كافر، والروافض علماؤهم -عندي- زنادقة وهذا حق، وعوامهم ينظر فيهم، إذا كانوا يوافقونهم في عقائدهم الكفرية فهم منهم، وكذلك عوام الصوفية؛ من كان يقول بالحلول ووحدة الوجود يكفر! لأنه ينكر بديهيات في العقل والدين، فاللَّه ﷻ خالق كل شيء ومتميز عن خلقه وخلقه متميزون عنه؛

وأهل وحدة الوجود يقولون: الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق!! إن الحيوانات لا تقول هذا! إذن العامي الذي يعتقد هذه العقيدة يلحق بساداته الزنادقة! وإذا لم يكن عنده هذه الأشياء ندعوه إلى الخير وإلى الحق ولا نكفِّره.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت الحاكم أبا عبد اللَّه يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيءٌ أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده».

لا يطيقون الحديث ولا يحتملونه ولا يثقون فيه، وهو ثقيل عليهم حملُه وحفظُه والعملُ به؛ فيبغضونه ويبغضون أهله، وهذا مجرّب عليهم[1]. وهذا الأثر في «المعرفة»[2] للحاكم أيضًا، واللَّه أعلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق ابن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟» كره الحديث وضاق به ذرعًا، ولا يطيق سماعه؛ يريد كلام رءوس أهل البدع والضلال؛ رءوس الجهمية ورءوس المعتزلة وأمثال هؤلاء! لا يريد: قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، قال رسول اللَّه ﷺ، «فقال الشيخ له: قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبدًا».

وهذا العالم الجليل لا يكفِّر هذا الشخص بعينه إلا وهو يعرف أنه كافر لا شك؛ ولو كان جاهلًا كان يمكن أن يعذره، لكن يعرفه بعينه أنه يستحق هذا التكفير، وهذا العالم معروف بكرم الأخلاق؛ ولهذا قال: «ما قلت قط لأحد: ما تدخل داري إلا هذا!» لماّ رأى أن هذا الفعل يستثقل منه، فقدّم هذا الكلام

(١) قال أبو عبد اللَّه الحاكم: وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة، ويسميها الحشوية. معرفة علوم الحديث للحاكم (ص٧).
(٢) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص٧).

كالمعتذِر، وإنما حمله الغضب للَّه على طرد هذا الرجل من داره وتكفيره؛ لأنه قال كلمة كبيرة تدل على كفره، ثم اعتذر من الناحية الأخلاقية: أنا ما طردت أحدًا من داري، إنما طردت هذا لأن مجالسته لا تطاق ولا يحل له أن يجالسني، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبد اللَّه بن حمشاد العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرئ الرازي يقول: قُرئ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي يقول- عَنَى عبد الرحمن بن أبي حاتم به: أباه الإمام في بلده أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي يقول- وهذا في عقيدته المسماة أصول السنة-: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية» يعنون أنهم حشوٌ في الناس؛ احتقارًا لهم!، يعني: ما هم رءوس في الناس ولا لهم مكانة عند الناس، والأمة المعتبرة عندهم هم أهل البدع والضلال!!

«يريدون بذلك إبطال الأثر» وهذه العبارة قريبة من عبارة أبي زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإنه قال: إذا رأيت الرجل يسب أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فهو زنديق، لأنهم يريدون أن يبطلوا شهودنا. يعني: هؤلاء الصحابة يبلغون القرآن والسنة وأولئك يطعنون فيهم لإسقاط عدالتهم، وهذا هو مغزى الروافض من الطعن في أصحاب رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ أنهم يريدون إسقاط الدين الذي بلغنا الصحابة والذي تلقوه من رسول اللَّه وبلغونا إياه، فهدفهم الأساسي من الطعن في الصحابة ورميهم بالكفر ورميهم بالنفاق وعدم العدالة إلى آخره هو إسقاط الدين وإبطاله، وكذلك القول في حملة الحديث؛ الذين حملوا سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ما حال هؤلاء الذين يبغضونهم ويطعنون فيهم بهذه المطاعن إلا من أجل الغاية التي يرمي إليها الروافض.

قال: «وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة».

القدرية يقولون: إن العباد يخلقون أفعالهم! وأهل السنة يقولون: إن اللَّه -تبارك وتعالى- خالق كل شيء بما في ذلك العباد وأفعالهم؛ فهو خالقهم وخالق أفعالهم، والأعمال هذه أعمالهم حقيقة، فاللَّه خالقهم وهم عاملون بقدرة وإرادة، واللَّه هو الذي أعطاهم القدرة وأعطاهم الإرادة وأعطاهم اختيارًا، ويعملون المعاصي باختيارهم والطاعات باختيارهم، فيكافئهم اللَّه على الطاعات بالثواب الجزيل، ويعاقبهم على أعمالهم السيّئة وعلى اعتقادهم الباطل، وإن كان خالقًا لأعمالهم فالعباد فاعلون لها؛ كما قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. خلقك وخلق عملك وليس لك أن تعتذر بهذا؛ لا عذر لك لأن عندك اختيارًا وتمييزًا وعقلًا وسمعًا وبصرًا، وكلَّفك أشياء تفهمها وتقدر على أن تقوم بها، ثم تستكبر وتأبى أن تنقاد للَّه وأن تطيعه وتطيع رسله!، هذه جرائم؛ كل العقلاء يرون العقاب عليها.

فمن الواقع -مثلًا- أي إنسان يسرق فإن الناس لا يمدحونه ولا يبرئونه، بل يعاقبونه! حتى الجبرية أنفسهم الذين يقولون: العبد معذور لأنه مجبور على العمل لا يقولون: إنه معذور إذا جنى عليهم! وأما القدرية فإنهم يقولون: خلق فعله بنفسه، وأهل السنة لا يقولون بخلق فعل نفسه ولا يقولون إنه مجبور؛ أهل السنة وسط بين القدرية وبين الجبرية.

القدرية غلوا في نفي القدر والجبرية غلوا في إثبات القدر حتى وصلوا إلى درجة أن العباد مجبورون على أفعالهم؛ فالذي يزني والذي يسرق والذي يقتل هذا عندهم مجبور! لكن لو قتلت ابنه لا يقول: إنه مجبور، لو أخذت ماله لا يقول: إنك مجبور! لكن هو لو قتل، لو زنى يقول: أنا مجبور! ؛ اللَّه قدر عليّ! هذا عذره؛ أشبه عذر الكفار؛ كما قال اللَّه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. هذه حجة باطلة.

فالعبد يؤمن بالقدر، وعليه أن يعمل و«كل ميسر لما خلق له»(١).

القدرية يرون الشرع ويحترمونه، ويعظّمون نصوص الوعيد، ولكن غلوا في نفي القدر وفي إثبات أفعال العباد وإسنادها إلى العباد أنفسهم حتى اعتقدوا أن العبد يخلق أفعال نفسه، حتى إن بعضهم يرى أن اللّه لا يقدر أن يخلق مثل هذه الأفعال التي يعملها العباد!! فهذا طعن في اللّه ﷻ وفي خالقيته وفي إرادته ﷻ؛ لأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده، فلا تتحرك حركة من شخص أو من حيوان أو من شجرة إلا بإرادة اللّه ومشيئته ﷻ، والفرق بين الحيوانات وبين العباد وبين الجماد أن اللّه أعطاهم عقولًا وأعطاهم إدراكًا، وخلقهم لعبادته ﷻ، وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب ليقوموا بدينه؛ فمن أطاع اللّه - تبارك وتعالى- واستجاب لرسله وأطاعهم هذا يرجى له- إن شاء اللّه ﷻ-أن يرضى عنه، وهو من أهل الجنة، ومن عصاهم وعاندهم وطعن فيهم واستكبر عليهم فهذه الأفعال- التي ارتكبها باختياره- يستحق عليها العقاب.

الجبرية يقولون: بل هو مجبور والمجبور معذور! والقدرية يرون أنهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم!! وأهل السنة برآء من الجبرية ومن القدرية؛ فلا يقولون بقول الجبرية ولا يقولون بقول القدرية؛ يقولون: اللّه خالق كل شيء، والعباد مُكَلَّفون، واللّه ﷻ أعطاهم عقولًا وقدرة وإرادة واختيارًا؛ فهم المسئولون على ما يقترفونه من المعاصي، ومثابون على ما يتقربون به إلى اللّه من الطاعات، وأعمالهم هذه اختيارية وليست جبرية، لكن من خبث القدرية ومن كذبهم وفجورهم على أهل السنة يسمونهم مجبرة!، لأنهم لايوافقونهم على عقيدتهم الباطلة؛ لا يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه وأن اللّه لا يخلقها، فنسبوهم إلى الجبر!.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٧).

وكل من الجبرية والقدرية ضالون؛ هؤلاء غلوا في إثبات الشرع وفي نفي القدر وأولئك غلوا في إثبات القدر وبالغوا في الاستخفاف بالشرع، ولهذا يفضل بعض العلماء ومنهم ابن تيمية القدرية- على ضلالهم- على الجبرية[1]؛ لأن الجبرية يبطلون شريعة اللّٰه بعقيدتهم هذه الفاسدة؛ يفعل المعصية ويحتجّ بالقدر!!

ولقد جُرّب عليهم الهوى؛ قيل لأحدهم: لو أن أحدًا أخذ غنمك وقتل ابنك، تقول: هو مجبور؟! قال: لا! فقيل له: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري؛ فأي مذهب وافق هواك قلت به!

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبِّهة».

أهل السنة يثبتون صفات اللّٰه على الوجه اللائق باللّٰه -تبارك وتعالى- من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، لكن الجهمية معطلة؛ يعطِّلون صفات اللّٰه، فإذا أثبتها أهل السنة قالوا- فيهم -: مشبهة. وفرق بينهم؛ المشبهة يقولون: إن للّٰه صفات كصفاتنا؛ له علم كعلمنا وله قدرة كقدرتنا وله يد كأيدينا وله عينان كأعيننا وله وجه كوجوهنا، هؤلاء هم المشبهة، وتكلموا بكلام لا يستحق حكايته!.

أما الذي يثبت صفات اللّٰه على الوجه اللائق باللّٰه وعلى الطريقة التي سلكها رسول اللّٰه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إزاء هذه النصوص؛ فهؤلاء هم أهل السنة وأهل الحق والحقّ معهم، والمعطلة ضُلاّل، أتباع فرعون؛ يعطلون صفات اللّٰه الثابتة في الكتاب والسنة، ويرون أنفسهم على الحق وهم على أبطل الباطل.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٢٤-٢٢٥): «وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ قَوْلَ الْقَدَرِيَّةِ الجهمية الْمُجَبِّرَةِ أَعْظَمُ مُنَاقَضَةً لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ قَوْلِ النفاة وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مُظْهِرِينَ لِهَذَا فِي زَمَنِ السَّلَفِ؛ بَلْ كُلَّمَا ضَعُفَ نُورُ النُّبُوَّةِ أَظْهَرُوا حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ فَإِنَّهُ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ وَمُنْتَهَاهُمْ الشِّرْكُ وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ وَهَذَا جِمَاعُ الْكُفْرِ كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ وَتَصْدِيقَ الرُّسُلِ جِمَاعُ الْإِيمَانِ وَلِهَذَا صَارُوا مَعَ أَهْلِ الْكُفْرِ الْمَحْضِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَبَسْطُ هَذِهِ الْأُمُورِ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ».

والمشبهة قابلوهم بالغلو في الإثبات حتى شبهوا اللَّه بخلقه! تعالى اللَّه عما يقول المعطلة الجهمية وعما يقول المشبهة الهشامية علوًّا كبيرًا .

وبالمناسبة : إن هؤلاء المشبهة كانوا رءوس الروافض في السابق ؛ ثم ذهبوا إلى مذهب الجهمية والمعتزلة في التعطيل ، وذهبوا إلى قول القدرية في القدر ، وجمعوا الشر من كل أطرافه- والعياذ باللَّه- ؛ هذا إضافة إلى طعنهم في الصحابة وتكفيرهم إلا القليل ، وطعنهم في القرآن بأنه محرَّف ، بل أوسعوه هم تحريفًا لا نظير لهم في ذلك!!

قال : «وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة» لأنهم لم يؤلهوا أهل البيت -كما هي عقيدة الرافضة- وأحبّوهم كما أحبّوا سائر الصحابة ، بل يحترمونهم ويوقرونهم ويعرفون لهم حقهم ، والروافض كفّروا الصحابة وطعنوا فيهم وغلوا في أهل البيت ، فإذا قال أهل السنة الحقّ وقالوا : نحن واللَّه نحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعلي أخوهم ومن الخلفاء الراشدين ، قال لهم الرافضة : لا ، أنتم ناصبة! لأنكم لا تبغضون أبا بكر وعمر! وعندهم لا ولاء إلا ببراء ؛ لا تكون مواليًا لعليّ وأهل بيته إلا إذا تبرّأت من أصحاب محمد ﷺ!! قبَّحهم اللَّه ، لهذا يسمون أهل السنة ناصبة أي : ناصبوا العداء لأهل البيت ، وإلى اليوم! لا يكفي عندهم أن تُحبّ أهل البيت للَّه -تبارك وتعالى- على الوجه المشروع! بل لابدّ من تأليههم ، ولابد من عداوة أصحاب محمد ﷺ!

فأهل السنة على الحقّ ولا يوافقون الروافض في غلّوهم وضلالهم وكفرهم ، ولا يوافقون النواصب في الطعن في أهل البيت .

نعم! النواصب كانوا طائفة من الناس يتكلمون في عليّ ويتكلمون في أهل بيته وقد انقرضوا ، لكن الروافض يصرون على أن أهل السنة هم النواصب! قاتلهم اللَّه أنّى يؤفكون .

أهل السنة يحبون أهل البيت ويحبون الصحابة وينزلون كلًّا منهم منزلته ؛

لا إفراط ولا تفريط؛ يحبون الصحابة ولا يغلون فيهم؛ فينصبون لهم القباب والقبور ويعبدونهم! ولا يعطونهم حقّ التشريع! حاشاهم من ذلك، إلا أن الصوفية أخذوا بمنهج الروافض في الغلو في الأولياء وحتى في أهل البيت؛ فبعض الصوفية غلوا في أهل البيت على طريقة الروافض؛ لأن التصوف مقتبس من الرفض؛ ولهذا تجد الإلتقاء بين الروافض وبين الصوفية -والعياذ بالله-، والإخوان المسلمون لجمعهم بين الصوفية والروافض وغيرهم وغيرهم لا تأتي كارثة إلا وهم واقفون إلى جانب الروافض أو إلى جانب أهل البدع ضدّ أهل السنة! خلطوا بين أهل البدع وبين أفكارهم ومعتقداتهم فتجدهم دائما مناصبين لأهل السنة مخالفين لهم تجاه الأحداث وتجاه غيرها.

فنسأل الله -تبارك وتعالى- أن يهدي المسلمين للأخذ بالحق وأن يوفقهم لاتِّباع السنة واتِّباع أهلها السابقين واللاحقين إن ربنا لسميع الدعاء.

* * *

قال الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله تعالى- في سياق ذكر علامات أهل البدع:

«قلت أنا: وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو «أهل الحديث».

قال أبو عثمان: قلتُ أنا: رأيتُ أهل البدع في هذه الأسماء التي لقَّبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلًا من الله ومنَّة، سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القولَ فيه، فسماه بعضهم ساحرًا وبعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذابًا، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيدًا بريئًا، ولم يكن إلا رسولًا مصطفى نبيًا، قال الله ﷻ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩].

وكذلك المبتدعة خذلهم اللَّه اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث، فسمّاهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية، قد وفقهم اللَّه ﷻ لا تباع كتابه ووحيه وخطابه، واتباع أقرب أوليائه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه وأكرمهم وأعزّهم عليه، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته، ومن أحبَّ قومًا فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول اللَّه ﷺ: «المرء مع من أحبّ».

الشرح:

فهذا تكملة لعلامات أهل البدع التي مرت بنا، فمن علاماتهم: ذمّهم أهل السنة وذمّ أهل الحقّ وتلقيبهم بـ: حشوية وجبرية ومرجئة و.. إلى آخره من الصفات القبيحة التي يقذفون بها أهل الحديث والسنة الأبرياء ﷺ.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ طعون أهل البدع في أهل السنة والحديث، وكل طائفة لها نبز تنبز به أهل السنة؛ علّق على ذلك فقال: «رأيتُ أهل البدع في هذه الأسماء التي لقَّبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلًا من اللَّه ومِنَّة..».

كل ما وصفوا به أهل السنة هم برآء منه ولا يلحقهم شيء منه، وإنما هو من افتراءات وأكاذيب أهل البدع؛ فإنهم لخلوّ أيديهم من الحجج والبراهين التي يجابهون بها أهل السنة يلجئون إلى الكذب! وهذا حال أهل البدع في كل زمان ومكان؛ لا يستطيعون محاربة أهل السنة إلا بالإشاعات الكاذبة والافتراءات الظالمة، وهذا موجود الآن على وجهٍ أقبح وأشدّ في محاربة أهل السنة.

أهل البدع الآن من أكذب الناس حتى إنهم قد يفوقون الكفار في الكذب!

الروافض والأحزاب الضالة المنحرفة فيهم من الكذب والافتراء ما لا يعلمه إلا اللَّه وكم كالوا من التهم والسباب والتشنيعات لأهل السنة في هذا العصر، ولا سيما قد ساعدتهم وسائل، مثل الوسائل الإعلامية التي استغلوها في حرب أهل السنة!

حرب أهل السنة- واللَّه- حرب للإسلام نفسه، وإن تستّروا به وتلحّفوا به فإنهم يحاربون الإسلام؛ لأن أهل السنة على كتاب اللَّه وعلى سنة رسول اللَّه في عقائدهم ومناهجهم وأخلاقهم وأعمالهم، فهؤلاء يحاربونهم من أجل هذه العقائد والأخلاق والأعمال التي استمدوها من كتاب اللَّه ﷻ ومن سنة رسول اللَّه ﷺ!

قال: «ولا يلحقهم شيء منها فضلًا من اللَّه ومِنَّة».

وكذلك لا يلحق أهل السنة الآن شيء ولله الحمد فضلًا من اللَّه ومنة، والعيوب التي يعيبون بها أهل السنة هم منغمسون في شر منها، والعياذ باللَّه.

قال فيهم: «سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم اللَّه مع رسول اللَّه ﷺ».

أظنه يريد باللعن: لعن المشركين واللَّه أعلم.

قال: «فإنهم اقتسموا القولَ فيه».

يعني: أن أهل البدع اقتسموا القول في أهل السنة؛ كل جماعة تنبزهم بلقب كاذب، والمشركون قبلهم سلكوا هذا المسلك مع رسول اللَّه ﷺ «فسماه بعضهم ساحرًا» ونفى اللَّه -تبارك وتعالى- عنه السحر، وسمّوه مجنونًا ونفى اللَّه عنه الجنون؛ قال -تبارك وتعالى-: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم:١,٢].

«وقال بعضهم كاهنًا»: وقد نفى اللَّه عنه هذا؛ فقال: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا

تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢]. وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ -٢٢٣]. فهؤلاء الشعراء والكهنة والسحرة لهم علاقة بالشياطين؛ الشياطين تلقِّنهم الشعر والكذب، ورسول الله ﷺ بريء من ذلك، وقال ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]. فنفى عنه الشعر لما قال المشركون في القرآن: هذا شعر!! فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي ليس بشاعر أصلًا؛ كيف تقولون: إن هذا القرآن شعر، وهذا الرسول لا يستطيع حتى أن يحكي الشعر- ﷺ -؟! لا يقوله ابتداءً ولا يستطيع حكايته! وهذا من معجزاته -عليه الصلاة والسلام- ومن براهين صدقه، لو كان يقول الشعر لقالوا: هذا شعر، ولو كان يكتب بخط يمينه لقالوا: هذا اكتتبه من أهل الكتاب، فالله -تبارك وتعالى- ما علّمه الكتابة ولا علّمه الشعر- ﷺ- لئلا يجد أهل الشرك والكفر والضلال والكذب متعلقًا يتعلقون به على رسول الله ﷺ.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبعضهم» سماه «مفتونًا» قبّحهم الله! «وبعضهم مفتريًا» وبعضهم«مختلقا» وبعضهم «كذابًا» وجاء في القرآن الرد على كل هذه الافتراءات.

قال: «وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيدًا بريئًا» -عليه الصلاة والسلام-. كل ما عابوه به هو من أبرأ الناس ومن أبعد الناس منه -عليه الصلاة والسلام-.

قال: «ولم يكن إلا رسولًا مصطفى نبيًّا» لا شاعرًا ولا ساحرًا ولا كاهنًا ولا مجنونًا ولا مفتريًا؛ ما هو إلا رسول مصطفى، وكل أقاويلهم أكاذيب وافتراءات على هذا الرسول المصطفى ﷺ، والقرآن الذي أنزله الله عليه معجزة المعجزات؛ قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. فالشاعر يأتي من

يضاهيه في شعره وقد يغلبه ويفوقه، والساحر قد يأتي من هو أسحر منه، والكاهن قد يأتي من هو أقوى منه في الكهانة- وكذلك كل صاحب صناعة -، والرسول ﷺ بريء من هذه الأشياء، وهذه معجزته عجزت الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله؛ تحداهم اللَّه أن يأتوا بمثله فعجزوا، وبعشر سور من مثله فعجزوا، ثم بسورة من مثله فعجزوا إلى يوم القيامة.

هذا دليل أنه رسول اللَّه وأن هذا القرآن كلام اللَّه، ولا يستطيع البشر جميعًا بل الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله؛ لأنه كلام ربّ العالمين.

وأفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء لا يستطيع أن يأتي بسورة من مثله، فكيف تقولون فيه: إنه ساحر وكاهن وشاعر أيُّها الأفاكون؟!

وأهل السنة تمسكوا بما جاء به الرسول ﷺ؛ فاعتقدوا عقيدته ﷺ، ويعملون في صلاتهم وزكاتهم وحجهم وأذكارهم وسائر أعمالهم على الكيفيات التي شرعها رسول اللَّه ﷺ اللَّه لايتجاوزون ذلك، وينكرون على من يخالف عقيدة الرسول ﷺ أو منهجه أو عبادته وأعماله وأخلاقه، فهم متّبعون للرسول ﷺ حقّ الاتباع، ومن أجل هذا يحاربهم المخالفون لهم؛ المخالفون- حقًّا- لرسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، المخالفون لكتاب اللَّه ولسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- رغم أنوفهم شاءوا أم أبوا فهم مخالفون!

وسلكوا مسالك المشركين في ذمِّهم لأهل السنة والافتراء عليهم والطعن فيهم بما هم منه برآء.

قال: «وكذلك المبتدعة خذلهم اللَّه اقتسموا القول في حَمَلَة أخباره» لما يربطهم برسول اللَّه من رابطة الاتباع؛ فكما افترى الكفار على الرسول تلك الافتراءات التي مرت كذلك المبتدعة خذلهم اللَّه سلكوا مسلكهم في أتباع الرسول ﷺ؛ ولكل قوم وارث كما يقال.

فكما اقتسم الكفار القول في رسول اللَّه ﷺ كذلك أهل البدع والضلال

«اقتسموا القول في حملة أخباره» يعني: أخبار الرسول ﷺ؛ وهي السنة الثابتة الصحيحة عنه ﷺ، حفظوها في صدورهم ودوّنوها في الكتب وعملوا بها واعتقدوا ما فيها ونافحوا عنها وذبّوا عنها وبيّنوا كذب الكذابين وأخطاء المخطئين، فهي لا تزال إلى الآن غضّة طريّة لا يمكن أن يخلطها أحد بكلمة أو بحرف؛ كما قال الإمام ابن حبّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فلا يستطيع أعداء الإسلام وأهل الضلال والزنادقة أن يدسّوا في سنة رسول اللَّه ألفًا أو واوًا أو ياءً أو أدنى من ذلك؛ فكما حفظ اللَّه القرآن حفظ اللَّه السنة؛ لأنها بيان القرآن؛ فكثير من الآيات لا نستطيع أن نفهمها إلا ببيان رسول اللَّه ﷺ الذي قال اللَّه ﷻ في شأنه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فقام ﷺ ببيان القرآن على أكمل الوجوه. ففي القرآن الأمر بالصلاة والزكاة كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في آيات كثيرة؛ تفاصيلها ما تجدها إلا في السنة؛ كيفية القيام والركوع والسجود وما يقال فيها، نهانا رسول اللَّه أن نقرأ القرآن راكعين أو ساجدين -عليه الصلاة والسلام-؛ وبيّنها بيانًا شافيًا -عليه الصلاة والسلام-، فالذي يترك التشهد في الصلاة -والتشهد ليس واردًا في القرآن- لم يكن مصليًا؛ لأن السنة والقرآن وحي من اللَّه -تبارك وتعالى- والسنة بيان للقرآن.

وهكذا الزكاة؛ بيّن النبي ﷺ زكاة الإبل وزكاة الغنم وزكاة الحبوب والثمار وما شاكل ذلك، وبيّن ما يجب فيه العشر وما فيه نصف العشر.

وكذا الصيام؛ بيّن النبي ﷺ تفاصيله، لو صام إنسان إلى قبيل المغرب وأفطر، هذا ما صام. الواجب أن يصوم حتى تغرب الشمس كما بيّن رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، وهكذا -عليه الصلاة والسلام- بيّن مجملات القرآن وفصّلها ﷺ، وتلقّى ذلك عنه الصحابة الكرام وتلقّاها عنهم التابعون بإحسان، وتلقّاها عنهم من تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا.

ومن عهد الصحابة بدأ أعداء السنة من أهل البدع يحاربون الصحابة، ففي آخر عهد الصحابة ظهر ابن سبأ ووجد أفراخه من الخوارج والروافض، وبدءوا بنشر عقائدهم فقامت الحرب بينهم وبين أصحاب محمد ﷺ؛ تارة بالعلم والحجة وتارة بالسيف والقوة، واستمرت الحروب بينهم على هذا، وهم لا يحاربون أهل السنة إلا بالأكاذيب والافتراءات والتهم الباطلة!!

وفي قول الإمام الصابوني: «. . . حملة أخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه» إشارة إلى أن حمل الأخبار ونقلها والاقتداء بالرسول -عليه الصلاة والسلام- والاهتداء بالسنة كل ذلك يغيظ أهل البدع؛ فيشنون الحرب على أهل السنة؛ لأنهم إذا خالفوا القرآن والسنة تصدّى لهم أهل السنة ولم يسكتوا عنهم، وبيّنوا باطلهم، فتأخذهم الأنفة والكبرياء والتعالي! فلا ينقادون للحق! ويحملهم الحقد على بغض من أنكر عليهم عليهم فيبدءون في حربهم!

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث»، وكثير من الفقهاء والمفسرين رحمهم الله -والحمد لله- يقتدون بسنة رسول الله ومنهجه -عليه الصلاة والسلام-، لكن أهل الحديث تميّزوا بشدة اهتمامهم بالسنة؛ حفظها وتدوينها وتأريخها ومعرفة رجالها والتمييز بين صحيحها وضعيفها إلى آخر المزايا التي تميزوا بها على الفقهاء والمفسرين وغيرهم، وإن كان أولئك إخوانهم ويشاركونهم في المعتقد والمنهج، لكن هذه ميزتهم؛ أنهم تفرغوا لخدمة سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فحفظ الله بهم هذه السنة النبوية المطهرة، ولهذا خصّهم هنا المصنف فقال: «المعروفين بأصحاب الحديث» وهو شافعي المذهب ومن أئمتهم- ومحدِّث- لكنه منصف؛ أعطى أهل الحديث حقهم وبين ميزتهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «فسماهم بعضهم» بعض أهل البدع «حشوية» يعنون -على زعمهم- هم حشو في الناس وغثاء! وأركان الأمة وأعمدتها وقوامها -كما

زعموا- هم أهل البدع! أما أهل السنة والحديث والمعتقد الصحيح والمنهج السليم فحشوٌ في زعم أهل الضلال! قبحهم الله!

«وبعضهم» يقول فيهم «مشبهة»؛ لأنهم يثبتون الصفات للَّه تعالى على الوجه اللائق به؛ خلاف طريقة أهل البدع؛ فإنهم يقولون- على سبيل التمثيل- في قول الله ﷻ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، جاء أمره! ينكرون مجيء الله ﷺ! فإذا قال السلفي المحدِّث ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا يدل على مجيء الله، وأن الله ﷺ يأتي كما يشاء-، وأما الكيفية فيقول: لا أعرف، أُثبِت أنه يجيء وأن مجيئه حقيقة لكن يختلف عن مجيء المخلوقين، فاللَّه -تبارك وتعالى- لا يشبه المخلوقين، وصفاته وأفعاله لا تشبه صفات وأفعال المخلوقين تعالى الله سبحانه، واللَّه الذي لا ينطق بالباطل- تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا - ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى أثبتا هذه الأمور؛ كالاستواء للَّه في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. وست آيات أخرى دالة على صفة الاستواء. والرحمة صفة للَّه في القرآن وحده أكثر من خمسمائة موضع كما يقول ابن الوزير رحمه الله. وهم يقولون المراد بالرحمة: الإحسان! أو إرادة الخير! يئولونها ويعطلونها من مضمونها! ولهم تأويلات أخرى مثل تأويلهم: استوى بـ«استولى»!

ويقولون: اللَّه في كل مكان! واللَّه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار!

فلما يقول أهل السنة بما دل عليه كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ ويثبتون الآيات الكثيرة ويؤمنون بمضمون الآيات الكثيرة والأحاديث الكثيرة في علو اللَّه -تبارك وتعالى-؛ التي بلغت ألف دليل كما يقول ابن القيم رحمه الله؛ يؤمنون بها كلها ويوقنون أن اللَّه -تبارك وتعالى- فوق هذه المخلوقات، والعقل النظيف معهم والعقل الصريح معهم، لأن اللَّه -تبارك وتعالى- يتعالى ويتنزه أن يكون في داخل خلقه، ويتعالى ويتنزه أن يكون تحت خلقه، ولا يقبل العقل والشرع إلا أن يكون فوق جميع مخلوقاته -تبارك وتعالى-، ثم يأتي أهل البدع

ويقولون: اللَّه في كل مكان! أو اللَّه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار!

ويلزمهم على القول الأول أن اللَّه ﷻ في كل شيء! - مع الأسف الشديد! - وفي الأشياء والأمور القذرة التي يستحيا من ذكرها، قبحهم اللَّه وقبح هذه العقيدة!

ويلزمهم على القول الثاني أنه معدوم! لو كُلِّفت بوصف معدوم ما تستطيع أن تزيد على هذه الافتراءات التي يفتريها هؤلاء القوم على أن اللَّه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار! فلما يثبت أهل السنة هذه الصفات على الوجه اللائق باللَّه يقولون فيهم: حشوية، ويقولون: مشبهة!

«وبعضهم يقول نابتة» يعنون فئة نبتت حديثًا! وهم أصل الإسلام -في زعمهم-!

«وبعضهم ناصبة» الروافض هم الذين يسمونهم نواصب؛ لأنهم لا يعبدون أهل البيت! ولكن أهل السنة يحبون أهل البيت ويحترمونهم، والحقيقة أن المحبة المعتبرة عند اللَّه وعند العقلاء هي محبة أهل السنة، وأما محبة الروافض فليست بمحبة بل هي من أشد أنواع البغض لأهل البيت؛ لأنهم يُبغِّضونهم للناس بهذه الأكاذيب والتلفيقات التي ينحلونها أهل بيت رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ يجعلون منهم أقطابًا، وأنهم يدبِّرون أمر هذا الكون، وأن السموات والأرض لهم، وينسبون إليهم أنهم يقولون: الجنة لنا والنار بأيدينا وإلى آخره، ينسبون كل هذه الأكاذيب والافتراءات لأهل البيت! وينسبون افتراءاتهم على أصحاب رسول اللَّه ﷺ لأهل البيت! حاشاهم وحاشاهم أن يطعنوا في أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

فإذا قال إنسان: أنا أنكر هذه التُّرهات والأكاذيب والافتراءات، وأنزل أهل البيت منازلهم قالوا: ناصبي! يعني: لا تكون محبًّا لأهل البيت إلا إذا طعنت أو كفَّرت أبا بكر وعمر والصحابة! لا تكون محِبًّا لأهل البيت إلا بهذا! قبحهم اللَّه! وكبار أهل البيت يتبرءون من هؤلاء الرافضة ويعلنون محبتهم وولاءهم لأصحاب محمد ﷺ ولا سيما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

«وبعضهم يقول جبرية» وفرق بين الجبرية وبين أهل السنة.

أهل السنة يقولون: إن العبد فاعل لفعله؛ يفعل هذا الفعل باختياره، إن كان خيرًا أو شرًّا فإنه يفعله باختياره، وهذا الفعل وهذا العمل ينسب إليه وبه يستحق الثواب والعقاب، وهو مع ذلك مخلوق للَّه هو وعمله؛ لأن اللَّه تعالى قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. فسمّوهم بهذا المعتقد الصحيح الذي يدل عليه القرآن والسنة والعقل سمّوهم جبرية! لماذا؟ لأن المعتزلة عندهم أن العبد يخلق فعل نفسه! واللَّه لا يخلق المعصية! وهذا كذب على اللَّه؛ اللَّه خالق كل شيء كما في الحديث: «**الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١] فاللَّه يقدِّر الخير والشر، ويعلم أن كل إنسان سيعمل خيرًا أو شرًّا أو يعمل شرًّا محضًا حتى يموت ويكون كافرًا، ولا يحدث هذا الكفر وهذه المعاصي إلا بمشيئته وإرادته إذ لا أحد يخرج عن إرادة اللَّه وقهره ﷻ، وهو مسئول عن هذه الأعمال لأنه فعلها وباشرها ومارسها بل وتلذذ حين مواقعتها كحال الزاني والسارق؛ فما دام أنه فعلها باختياره فهذا مناط المسئولية أمام اللَّه -تبارك وتعالى-، كما أن مناط الثواب من اللَّه -تبارك وتعالى- كونه يعمل الأعمال الصالحة باختياره، وليس لنا وراء ذلك شيء؛ قال الرسول ﷺ: «**اعملوا وكلٌّ ميسر لما خُلِق**»[٢] لا تقل: هل اللَّه ﷻ كتبني في الأشقياء أو كتبني في السعداء؛ ليس لك حق أن تقول هذا، ولكن اعمل؛ فالرسول -عليه الصلاة والسلام- حثّك على العمل لأن عندك قدرة واستعدادًا لأن تعمل وتميز بين الخير والشر والحقّ والباطل؛ وهذا كل إنسان يأنسه من نفسه، بل إن بعض الناس يمثّل لمن يملك القدرة والاختيار فيقول: بل إن الحيوانات والكلاب تميز بين الفعل الاختياري والفعل الاضطراري -يقول هذا

---

(١) جزء من حديث جبريل المشهور، سبق تخريجه في (ص٢١٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٣٧).

في رده على الجبرية- قال: لو أخذت حجرًا ورميت به كلبًا فإنه يهجم عليك ولا يذهب للحجر؛ لأنه يعرف أن الحجر وإن ضربه ليس له اختيار، وتضربه بالعصا فلا يأتي ليعضّ العصا وإنما يهاجمك أنت؛ لأنك أنت المختار، فيميز بين المختار وبين المضطر فيحارب الذي يؤذيه اختيارًا، أما هذا فلا اختيار له.

الجبرية يقولون: إن الإنسان كالريش في مهب الريح يحركه؛ لا إرادة له ولا اختيار فالأعمال كلها أعمال اللَّه! فِعْلِي وفعلك هو فعل اللَّه! وفعل العباد كلهم هو فعل اللَّه! قبحهم اللَّه!

والقدرية يقولون: إنما فعل الشر خاصة هو فعل العبد! ولا دخل لإرادة اللَّه ومشيئته في هذه الأفعال الشريرة!

ونحن نقول: كل الأعمال وكل ما يجري في الكون من أقوال الناس وأعمالهم كلها بإرادة اللَّه ومشيئته والعبد عامل ومسئول عن عمله.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية».

أصحاب الحديث برآء -إن شاء اللَّه- من هذه المعايب التي تنسب إليهم من كونهم ناصبة وحشوية وجبرية.

نعم! هذه أسماء لفرق موجودة؛ الناصبة موجودون، لكن الرافضة يتركونهم وينبزون باسم النصب أهل السنة! والحشوية والمشبهة موجودون؛ وُجد من فرق الضلال من الروافض من يشبه اللَّه تعالى بخلقه ويقول: إن اللَّه مثل الإنسان! ويقول: له يد كيدي، وله عين كعيني، وله وجه كوجهي و. . و. . . قبحهم اللَّه! ولا شك أن هذا تشبيه!

ولهذا قال إسحاق بن إبراهيم كما نقله عنه الترمذي قال: لا يكون من يثبت الصفات مشبهًا؛ المشبه هو الذي يقول: له يد كيدي وله عين كعيني وله وجه

كوجهي؛ هذا هو المشبه، أما الذي يقول: له وجه لا كوجوه المخلوقات؛ وجه يليق بجلاله، له استواء لا يشبه استواء المخلوقات، له استواء يليق به، له نزول لا كنزول المخلوقات وإنما هو نزول يليق بجلاله ﷻ، وهكذا اليدين والسمع والبصر والإرادة والقدرة نثبت هذه الصفات للَّه -تبارك وتعالى- وننفي عنها مشابهة المخلوقين؛ كيف نكون مشبهة؟! المشبه الذي يقول: يد اللَّه كيدي وله عين كعيني وله وجه كوجهي! ونحن نبرأ إلى اللَّه من هذا ونرى أن هذا كفرٌ، كيف تنبزونا به؟! لكن أهل البدع أهل ظلم وكذب وينسبون لأهل السنة ما لا يعتقدونه ولا يخطر ببالهم ولا تنطق به ألسنتهم.

قال: «وليسوا إلا أهل السنة المضية» يعني المضيئة، فالسنة مضيئة وهي نور، «والسيرة المرضية» لأنهم يترسّمون خُطا رسول اللَّه ﷺ؛ فترسم خطى رسول اللَّه هو الأمر المرضي الذي يريده اللَّه -تبارك وتعالى- ويحبه.

«والسُبُل السوية» لأنهم في صراط اللَّه المستقيم في عقائدهم ومناهجهم كماأمرهم ربّهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. هم يسلكون هذا الصراط المستقيم ويأمرون بلزومه ويدعون إليه وينافحون عنه.

«والحجج البالغة القوية» فلم يستطع خصومهم أن يقابلوهم بمثلها، وإنما يقابلونهم بالأكاذيب والشبهات والتّرهات! أما هم فحججهم من حيث موافقتها العقل والمنطق -ما شاء اللَّه- مع العقل الصريح، من حيث الشرع معهم أدلة الكتاب والسنة، أما خصومهم ليس عندهم لا أدلة عقل ولا أدلة شرع!.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد وفقهم اللَّه ﷻ لاتّباع كتابه ووحيه وخطابه واتباع أقرب أوليائه» ولا شك أن هذا واضح ظاهر في أهل السنة والجماعة؛ فإنهم متبعون لكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ في عقائدهم وأعمالهم رضوان اللَّه.

«واتّباع أقرب أوليائه» الصحابة ومن سلك مسلكهم؛ يتبعونهم في الاعتقاد

الصحيح والمنهج الصحيح.

«والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره» خبرًا محضًا أو أمرًا ونهيًا، فإذا كان خبرًا آمنوا به؛ سواء عن الجنة، أو عن النار، أو عن عذاب القبر، أو عن عذاب الأشقياء في النار، وكذا إذا كان أمرًا أو نهيًا في الحلال وفي الحرام، يحلون ما أحله اللَّه، ويحرمون ما حرمه اللَّه، يؤمنون بوعيد اللَّه، ويؤمنون بوعده، لكن أهل البدع عندهم تصرفات ومسالك في هذه الأشياء وعندهم مخالفات؛ تجدها عند المعتزلة، وتجدها عند الخوارج والروافض؛ الخوارج لا يؤمنون بالسنة والروافض كذلك، إنما يأخذون من السنة شيئًا ضئيلًا يوافق أهواءهم فقط ومن طرق غير طرق الصحابة؛ لأنهم يشتركون في تكفير أكثر الصحابة فلا يقبلون مروياتهم كل واحد له جهة يأخذ منها!

الروافض لا يأخذون إلا من أهل البيت فقط -كما يزعمون-، ثم يلفقون الأكاذيب باسم أهل البيت ويقولون: هذه سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-!

والخوارج كذلك؛ أهل صفين والجمل عندهم فسّاق وكفار؛ لا يقبلون رواياتهم ولا شهاداتهم فماذا يكون بأيديهم من السنن؟ ما يكون عندهم إلا أكاذيب أو أحاديث يسيرة محدودة قد تكون جاءتهم من طريق أبي بكر وعمر، وهم يتولونهما فيقبلونها!

قال: «في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته» يعني: اللَّه- أعانهم؛ فالضمير يرجع إلى اللَّه -تبارك وتعالى-؛ اللَّه وفقهم لهذه الأشياء، وفقهم لقبول أخبار رسول اللَّه ﷺ سواء تعلقت بالوعد والوعيد أو تعلقت بالحلال والحرام. وأعاد الضمير على اللَّه في قوله: «وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته» لأن العبد لا حول له ولا قوة إلا باللَّه؛

إلا بمشيئة اللَّه وإرادته وتوفيقه ﷻ، فالخير منه؛ إذا وفقك للخير فهذا من فضله وجوده أن وفقك للخير؛ وفقك للإيمان الصادق ووفقك لاتباع الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، ولهذا نحن نحتاج إلى دعائه- أن يوفقنا في اليوم عشرات المرات -في الصلوات-نقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنك لا تملك الهداية لنفسك، فإن لم يهدك اللَّه ويوفقك فلن تهتدي أبدًا؛ قال اللَّه- : ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١]. فالزكاء والتقوى والتمسك بالدين كل هذا من فضل اللَّه وتوفيقه ﷻ، فإذا وفق اللَّه العبد لهذا المنهج الصحيح والأعمال الصالحة فليشكر اللَّه- الذي وفّقه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه» أقرب الأولياء هم الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ثم الصحابة الكرام ثم من بعدهم من سلك نهجهم.

قال: «وأكرمهم وأعزهم عليه»: هم الأنبياء -أيضًا- ومن تبعهم بإحسان من الصحابة وغيرهم.

قال: «وشرح صدورهم لمحبته»؛ قال اللَّه - : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. فهذا العون كله من اللَّه ﷻ، وبتوفيقه شرح الصدورلمحبة واتّباع الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-؛ كل هذا فضل ومنٌّ من اللَّه ﷻ، فلنشكره على ذلك، وله الفضل والمنّ -تبارك وتعالى-.

قال: «ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته» وهذا كذلك من فضل اللَّه ﷻ؛ فالذي يكره أصحاب محمد ﷺ أو يكره من تبعهم بإحسان أو يكره العلماء في أي عصر من العصور هذا من خذلان اللَّه له، ومن علامة الخذلان والشقاء أن تبغض أهل العلم والفضل والخير؛ العالمين باللَّه وبكتاب اللَّه وبسنن رسول اللَّه ﷺ

العاملين بهما، لماذا تبغضهم؟! لا تبغضهم إلا لأنك قد خذلك الله وما أراد بك خيرًا إلا أن تتوب إلى الله -تبارك وتعالى-.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أحبّ قومًا فهو معهم يوم القيامة» وفي معنى هذا وردت أحاديث مثل حديث أنس وغيره[1]، «من أحبَّ قوما فهو معهم» فما فرحوا بشيء مثل ما فرحوا بهذا الكلام، فعن أنس رضي الله عنه: «أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال: **وما أعددت لها**؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: **أنت مع من أحببت**، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: **أنت مع من أحببت**، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أَعمَلْ بمثلِ أعمالِهِم»[2].

«بحكم قول رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[3] فالذي يحب رسول الله ويحب كتاب الله ويحب سنة رسول الله ويحب الصحابة والتابعين وأهل العلم والعمل فهذا معهم إن شاء الله يوم القيامة، ومن جانبهم وأبغضهم- أبغض صنفًا منهم- فهو مع من يحب لأنه إذا أبغضهم أحبّ نقيضهم وضدّهم من أهل الباطل وأهل البدع فيُحشر مع من أحبّ.

نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يوفقنا وإياكم للتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، وأن يرزقنا حبه وحب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وصحابة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لأنهم كلهم مؤمنون، فعلينا أن نحبهم؛ نحب أصحاب محمد ﷺ، نحب أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من المؤمنين

---

(١) قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد روايته حديثين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: وَفِي الْبَاب عَنْ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَصَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي مُوسَى رضي الله عنهم. [السنن، كتاب الزهد، باب المرء مع من أحب].

(٢) أخرجه البخاري [برقم (٣٦٨٨)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ وأخرج مسلم الشطر الأول منه [برقم (٢٦٣٩)، كتاب البر والصلة والآداب].

(٣) أخرجه البخاري [برقم (٦١٦٩) و(٦١٧٠)، كتاب الأدب] وأخرجه مسلم [برقم (٢٦٤٠) و(٢٦٤١)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

وأصحاب عيسى عليه السلام وأصحاب نوح وأصحاب إبراهيم وأصحاب صالح عليهم السلام؛ كل من آمن بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام نحبهم لأنهم إخواننا ونسأل اللَّه أن يحشرنا معهم، ونحب علماء أهل السنة- واللَّه- ونذبّ عنهم ونناضل عنهم، والذين يبغضونهم معروفون بعقائدهم ومناهجهم وأخلاقهم وسلوكهم، فنسأل اللَّه ألا يجعلنا منهم وأن يحول بيننا وبين ضلالهم وجهلهم، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم؛ إن ربنا سميع الدعاء.



علامات أهل السنة

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدة السلف أصحاب الحديث:

«وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين اللَّه سبحانه قلوب أهل السنة ونوّرها بحب علماء السنة فضلًا منه جَلَّ جَلَالُهُ.

أخبرنا الحاكم أبو عبد اللَّه الحافظ- أسكنه اللَّه وإيانا الجنة- حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي، حدثنا أحمد بن سلمة قال: قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب «الإيمان» له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشريكًا ووكيعًا ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن ابن مهدي فاعلم أنه صاحب سنة، قال أحمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فألحقت بخطي تحته: ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وإسحق بن إبراهيم بن راهويه، فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر الينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى، فقلنا: يا أبا رجاء! ما يحيى بن يحيى؟ قال رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق ابن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل عندي أكبر مَن سميتهم كلهم.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين منهم محمد بن إدريس الشافعي، وسعيد بن جبير والزهري، والشعبي، والتيمي، ومن بعدهم؛ كالليث بن سعد المصري، والأوزاعي، والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب السختياني، وابن عون، ونظرائهم. ومن

بعدهم مثل يزيد بن هارون الواسطي، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وجرير بن عبد الحميد الضبي، ومن بعدهم مثل محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني، وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم وابنه، ومحمد بن مسلم بن واره، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعثمان بن سعيد الدارمي السجزي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الذي كان يدعى إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي، والحسن بن سفيان الفسوي وجدي من قِبَل أبى سعد يحيى بن منصور الزاهد الهروي، وأبي حاتم عدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنة أبي عبد اللَّه الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها، ناصرين لها داعين إليها وَالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضًا، بل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحدٍ منهم ما يضادها رِضى.

واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى اللَّه ﷻ بمجانبتهم ومهاجرتهم.

قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنا بفضل اللَّه ﷻ ومنِّه متّبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم، ناصح لإخواني وأصحابي ألا يزلقوا عن منارهم، ولايتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين، والمناكير من المسائل التي ظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه، وبدَّعوه ولكذَّبوه، وأصابوه بكل سوء ومكروه.

ولا يغرَّن إخواني- حفظهم اللَّه -كثرة أهل البدع ووفور عددهم؛ فإن وفور أهل الباطل وقلة عدد أهل الحقّ من علامات اقتراب اليوم الحق؛ إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقلَّ العلم ويكثر الجهل»

والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة.

وقال ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة وفي الأرض أحد يقول: اللّه».

ومن تمسك اليوم بسنة رسول اللّه ﷺ وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «له أجر خمسين، فقيل: خمسين منهم؟ قال: بل منكم». وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

قال أبو عثمان: وجدتُ في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبد اللّه محمد بن عدي ابن حمدويه الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسويّ، أن العباس بن صبيح حدثهم قال: حدثنا عبد الجبار بن طاهر قال: حدثني معمر بن راشد قال: سمعت ابن شهاب الزهري يقول: تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن محمد بن زكريا الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغوليّ قال: سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: سمعت عمرو بن محمد يقول: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد، فحدثه بحديث أبي هريرة «احتج آدم وموسى»، فقال علي بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف؟! قال: فما زال يقول حتى سكت عنه.

قال: هكذا ينبغي للمرء أن يعظِّم أخبار رسول اللّه ﷺ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق. وينكر أشدّ الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف على طريق الإنكار له، والابتعاد عنه، ولم يتلقّه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ. جعلنا اللّه سبحانه من الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة والآراء

المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلا منه ومنة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

الشرح:

في الفصل السابق تكلم المصنف عن علامات أهل البدع؛ ومن علاماتهم بغضهم لأهل السنة، وفي هذا الفصل يتكلم عن علامات أهل السنة، ومنها حبهم لأهل السنة:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإحدى علامات أهل السنة حبُّهم لأئمة السنة» فإذا رأيت الرجل يحب من ذكرهم مثل سفيان الثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وأبي زرعة والزهري ومجاهد وأمثالهم من أئمة الإسلام؛ هذا- إن شاء الله- علامةٌ على أنه من أهل السنة؛ إذ يجب حب هؤلاء وموالاتهم؛ لأنهم مؤمنون، ولا يكون المرء مؤمنًا حق الإيمان إلا إذا أحبّهم ووالاهم؛ لأنهم أولياء الله وحملة رسالته ومُبلّغوها، فلهم منا كل احترام وتقدير ومحبة وموالاة، ومن يبغض أحدًا منهم أو يبغضهم فذلك دليل على أنه من أهل البدع وأنه لا يحب سنة رسول ﷺ ولا يحترمها، ولو كان يحب سنة رسول الله ﷺ ويحترمها لأحب هؤلاء؛ لأن هؤلاء خدموا السنة؛ خدموها وتفقهوا فيها وبلغوها في شتى أقطار الأرض، فهؤلاء لهم منزلة عظيمة عند الله- إن شاء الله-وعند المؤمنين، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد**

الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[1].

فهم أئمتنا وأحباؤنا وقدوتنا وأسوتنا؛ لأنهم بلغوا رسالة محمد ﷺ كما وصلتهم، أدّوها لمن بعدهم ومن بعدهم لمن بعدهم وهكذا إلى يومنا هذا، فلهم الفضل؛ والرسول ﷺ يقول: «**لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[2] فقد اهتدى على أيديهم أناس كثير في عصورهم ومن بعد عصورهم، واستضاءوا بأنوار علمهم واجتهادهم وفقههم في دين اللَّه ﷻ -رضوان اللَّه عليهم- وعلى من يحبهم ويواليهم.

وذكر المصنف أسماء جماعة وقال: إن أحمد بن سلمة أضاف إلى ما دوّنه قتيبة في كتاب الإيمان -أي في العقيدة فجعل من الإيمان حبّ هؤلاء-؛ أضاف أشخاصًا منهم: يحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وإسحاق، فنظر إليهم أهل نيسابور! فقال: هؤلاء يبغضون يحيى بن يحيى؛ لأنه يعيش بين ظهرانيهم؛ وهو نيسابوري فيبغضونه، ويوجد من هذه الأصناف الرديئة في كل زمان؛ أن يكون الرجل عالمًا فاضلًا داعيًا إلى اللَّه ينبري له أناس يبغضونه ويحاربونه!

وهؤلاء -واللَّه أعلم- هم الجهمية والمعتزلة وأهل البدع ومتعصبة أهل الرأي وما شاكل ذلك من هذه الأصناف، وإن كان هناك من أهل الحديث من يحبه ويواليه وله منزلة عظيمة عنده.

يعني: هذا من علامة أهل البدع؛ أن يُبغَض يحيى بن يحيى! لماذا يُبغَض هذا؟! لأنه ينشر سنة رسول اللَّه، يدعو إلى الحق رضي اللَّه عنهم أجمعين.

وأضاف هو أئمة آخرين كما سماهم لكم رحمهم اللَّه؛ منهم كما قال: «منهم محمد بن إدريس الشافعي، وسعيد بن جبير، والزهري، والشعبي،

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (٢٥٨٦)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث النعمان بن بشير ﷺ.
(٢) سبق تخريجه في (ص١٩).

والتيمي» يعني إبراهيم التيمي؛ كلهم من أئمة الإسلام «ومن بعدهم، كالليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب السختياني، وابن عون ونظرائهم» هؤلاء كلهم نحبهم في اللَّه، ومحبتهم في اللَّه من علامات أهل السنة -إن شاء اللَّه- وبغضهم أو بغض بعضهم من علامات أهل البدع.

قال: «ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون الواسطي، وعبد الرزاق، وجرير بن عبد الحميد الضبي، ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني، وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم وابنه، ومحمد بن مسلم بن واره، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري».

كل هؤلاء أئمة -رضوان اللَّه عليهم-، ولهم مؤلفات ولهم جهاد ولهم نضال عن السنة ومواجهة لأهل البدع- رحمهم اللَّه تعالى- فهؤلاء حبهم من دين اللَّه ومن الإيمان، وبغضهم ينافي كمال الإيمان.

ومدح المصنف ابن خزيمة فقال: «الذي كان يدعى إمام الأئمة في عصره» سمى ابن خزيمة إمام الأئمة؛ لأن العلماء الذين عاصروه كان أكثرهم تلاميذه ويرجعون إليه رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان من كبار حفاظ السنة ومن كبار فقهاء السنة ومن أئمتها، وهو الذي قال مقولته المشهورة: إن السنة لا تتعارض فمن ظهر له تعارض بين حديثين فليأتني بهما؛ لأوفق له بينهما» هذا لعمق فقهه -رحمه اللَّه تعالى-.

وذكر أسماء آخرين.

الشاهد: أن هؤلاء جميعًا من أئمة السنة ويحبون وكذلك من بعدهم.

والمصنف توفي في منتصف القرن الخامس، وجاء بعد هؤلاء أئمة

الإسلام؛ مثل أئمة العلم من المقادسة وبعدهم ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم كثير؛ ممن خدم السنة ورفع راية السنة، وجاء بعدهم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلاميذه وهكذا، ولا تنقطع هذه الطائفة بقول الصادق المصدوق ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم ظاهرون على الناس»**[1].

فمن يبغض الآن مثلًا ابن تيمية وابن عبد الوهاب-رحمهما اللَّه- ما هو منهجه؟! الذي يبغض ابن باز والألباني وابن عثيمين وأمثال هؤلاء ما هو منهجه؟! لا شكّ من أهل البدع والضلال! تجد فرقًا متحزبة لا تحترم هؤلاء بل تبغضهم وتناقض منهجهم! نسأل اللَّه العافية، هؤلاء مصيرهم مصير أهل البدع، ونحن نتولّى هؤلاء العلماء لأنهم حفظوا السنة وبلّغوها، حفظوا العقيدة وبلّغوها، جاهدوا في سبيل ذلك وناضلوا رحمهم اللَّه تعالى، فلهم منا الولاء والحب، وبغضهم من علامات أهل البدع، وكذلك من يأتي بعدهم من يسير على نهجهم لا يبغضهم إلا أهل البدع والضلال.

قال: «وهذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء» من أول الكتاب إلى هنا؛ من الإيمان بأن القرآن كلام اللَّه، وتضليل من يقول: إن القرآن مخلوق وتكفيره، والإيمان بأسماء اللَّه وصفاته وإثباتها على الوجه اللائق باللَّه -تبارك وتعالى-، والإيمان بالرسل، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالجنة والإيمان بالنار، وأن الجنة والنار مخلوقتان -بعضهم قد يؤمن بالجنة والنار لكن يقول ما خُلِقتا كالمعتزلة والجهمية، وهما مخلوقتان والنصوص كثيرة على أنهما مخلوقتان-، وهكذا احترام الصحابة وحبهم، وموالاة المؤمنين وإلى آخر هذا الكتاب؛ كل هذه الجمل قال: «كانت معتقَدَ جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضًا، بل أجمعوا عليها كلها» كلهم يؤمنون بها ونحن نؤمن بها؛ كل من ذكرناهم يؤمن

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧).

بهذه الأشياء ولا يختلفون في شيء منها -رضوان الله عليهم-؛ عقيدتهم واحدة ومنهجهم واحد، فلهم منا الاحترام والتقدير والحب؛ لأنهم رفعوا راية السنة واجتمعت كلمتهم عليها، وتعرّضوا لأهل البدع وبيّنوا ضلالهم، وهذا من تمام وكمال الإيمان، بل من صميم الإيمان؛ أن نحترم السنة وأن ندافع عنها وأن نذبّ عنها.

فهؤلاء كان لهم جهاد في تبليغ السنة والذبّ عنها فهم أئمة الإسلام وقد سلكوا منهج الرسول -عليه الصلاة والسلام- في اتباع الحق ومنابذة من يخالفه وجهاد من يخالفه -عليه الصلاة والسلام-؛ بأمر الله له: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. يجاهد الكفار والمنافقين بهذا القرآن جهادا كبيرا، فهؤلاء يجاهدون بالقرآن أهل البدع والنفاق والزنادقة من الباطنية والروافض الغلاة، وأمثال أولئك، والجهمية الغلاة؛ جاهدوهم بكتاب الله- وبسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

ويحكي المصنف الاتفاق على إذلال أهل البدع؛ هذا من جملة عددٍ من الأئمة يحكون الإجماع على بغض أهل البدع وقهرهم وإذلالهم؛ منهم هذا المصنف ومنهم البغوي وغيرهما حكوا هذا الإجماع، الآن أناس يتولّون الروافض! ويقولون بمنهج الموازنات ويدافعون بهذا المنهج عن الروافض والباطنية وغيرهم! أما أولئك السلف والأئمة فليس عندهم هذا المنهج؛ عندهم ولاء لله وحب لله وبغض فيه؛ يبغضون أهل البدع ويقهرونهم وينابذونهم ويحذّرون من شرِّهم ويسعون في قتل بعضهم وقد قتلوا بعضًا؛ لماذا؟ لأن فساد المبتدع أشدّ من فساد الكافر؛ فالكافر فساده في الخارج بعيد عن المجتمع الإسلامي لكن هذا المبتدع ينخر في المجتمع الإسلامي وينخر في عقائدهم، وقد قال عدد من أئمة الإسلام: إن أهل البدع شر على الإسلام وأضر من اليهود والنصارى، وأنا أقول هذا، ومن الناس اليوم من يناهضنا في هذا الكلام! لأنه

لا يحترم منهج السلف ولا يحترم أقوالهم ولا يعرف الحقيقة والواقع!

يقول: فلان يقول: إن الجماعة الفلانية أضر على الإسلام من اليهود والنصارى!

نعم! -واللَّه- هم أضرّ وأشدّ؛ قال هذا كثير من الأئمة؛ منهم أبو الفضل الهمداني ومنهم ابن عقيل ومنهم ابن الجوزي ومنهم عبد الغني المقدسي؛ وابن قدامة لا يبعد أن يقول هذا؛ فقد ألف كتابًا[1] في التحذير من النظر في كتب أهل البدع رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنهم ابن تيمية ومنهم الشوكاني؛ هؤلاء الذين وقفنا على كلامهم، والكثير الكثير يقول هذا؛ لأنه كما يقال: العدو يحاصر البيت من الخارج وهذا المبتدع يخرِّب في البيت من الداخل ثم يفتح الباب لأعداء الإسلام ويقول: تفضل، ادخل! وقد حصل هذا؛ من تعاون الروافض والصوفية مع أعداء الإسلام من التتار والنصارى واليهود وغيرهم، فلا شك أن هذا الصنف أضر على الإسلام؛ لهذا حَذِرُوهم، حذروا منهم وهجروهم وصارموهم وقاطعوهم.

وبالمناسبة أقول: إن أهل البدع الآن كثير يملئون الأرض والعياذ باللَّه! فنحن لا نهجر الجميع إنما هم محلّ دعوتنا؛ ندعوهم إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأما الرءوس المدبّرة والدعاة إلى الباطل في صحفهم ومجلاتهم وكتبهم وأشرطتهم ومحاضراتهم وندواتهم ومواقعهم؛ هؤلاء يُحاربون ويُحذَّر منهم ولا يُجالَسون ولا يُقرأ لهم ولا يستفاد منهم. وعوامّهم المساكين المخدوعون هؤلاء ندعوهم إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا الكلام يؤيده كلام كثير من أئمة السنة ومعاملتهم؛ أنهم يدعون العوام إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ولا يهجرونهم كما يهجرون أئمة السوء وأئمة الشر وأئمة الضلال.

---

(١) سماه: تحريم النظر في كتب أهل الكلام.

افهموا هذا! ؛ حتى لا يفهم بعضكم أن كل من وقع في بدعة بُتّ هجرُه لا كلام معه ولا دعوة ولا شيء! لا، الدعوة قائمة حتى للكفار ولليهود والنصارى، والدعوة قائمة لأهل البدع أيضًا لكن لا يتميّع الإنسان فيذهب يداخلهم ويأنس إليهم حتى يضيع ؛ تُخلص لله ﷻ وتحاول إنقاذ هذا الذي وقع في الضلال بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ بالعرض الجيد المقرون بالحجة والبرهان ؛ فإن هذا سبب من أسباب الهداية ؛ وقد حصل به هداية الكثير في كثير من البلدان.

جاء الإمام محمد بن عبد الوهاب والدنيا مظلمة فجاهد بالدعوة إلى الله - تبارك وتعالى- وهدى الله على يديه الكثير ؛ كانوا قبوريين وخرافيين وضالين واهتدوا على يديه، وشيخ الإسلام ابن تيمية كذلك، وأئمة الدعوة في الهند من السلفيين ؛ جاءوا والدنيا مظلمة ونشروا هذه الدعوة فاستجاب لهم الملايين، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

استمر المصنف في مدح هؤلاء وفي ذمّ أهل البدع وقال: «ولا يغرنَّ إخواني حفظهم الله كثرة أهل البدع» يعني: لا تغتر بكثرة أهل البدع فإن هذا من علامات الساعة وساق عددًا من الأدلة، وأنا أضيف بعض الأدلة منها: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»**(١) هذا من الأحاديث التي تدل على غربة الإسلام والمسلمين لقلّتهم ؛ فإن الإسلام بدأ غريبًا ؛ كان قلّة وبدأ الرسول ﷺ معه اثنان ثم ثلاثة. . ، في قلة مستضعفة في العهد المكي وواجه مشقة وغربة إلى آخره إلى أن هاجر -عليه الصلاة والسلام-، وبعد ذلك فتح الله عليه وأقبل الناس على الإسلام حتى ما مات إلا وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) أخرجه مسلم [برقم (١٤٥)، كتاب الإيمان].

ثم على مرّ الأيام استمر الإسلام عزيزًا في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد بني أميّة استمر الإسلام وكان عزيزًا، ثم على مرّ الأيام وتكاثر أهل البدع وتوالي المحن صار الإسلام في غربة؛ حتى في أيام المصنف كان الإسلام في شيء من الغربة وإن كان هو في كثرة بالنسبة لنا كان في غربة؛ لأنه كان أهل السنة -في عهده- إذا قارنتهم بأهل البدع تجدهم قلة.

ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة هذه: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقلَّ العلم ويكثر الجهل»[1] ومن علاماتها أن يُقبَض العلماء: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حتى إذا لم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ الناس رءوسا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[2] فمن علامات الساعة أيضًا أن يقبض العلماء وأن تكثر رءوس أهل الضلال فيترأسون باسم العلم ويفتون بغير علم فيَضِلون ويُضِلون في العقائد وفي الأحكام وفي غيرها، وقال ﷺ: «إنَّ الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها»[3] لأن الإيمان بلغ مشارق الأرض ومغاربها ثم يأرز إلى المدينة، فهذا يدل على غربة الإسلام، وفي حديث آخر قال ﷺ: «مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتِ الشام مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا وَعُدْتُمْ من حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ من حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ من حَيْثُ بَدَأْتُمْ»[4] هذا كله يدل على غربة الإسلام.

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: اللَّه، اللَّه»[5]. وفي طريق:

(١) أخرج البخاري [برقم (٨٠) و (٨١)، كتاب العلم] ومسلم [برقم (٢٦٧١)، كتاب العلم] نحوه من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري [برقم (١٠٠)، كتاب العلم] واللفظ له، ومسلم [برقم (٢٦٧٣)، كتاب العلم] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨٧٦) ومسلم برقم (١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم [برقم (٢٨٩٦)، كتاب الفتن وأشراط الساعة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٢) ومسلم [برقم (١٤٨)، كتاب الإيمان] من حديث أنس رضي الله عنه.

«لا إله إلا اللَّه»(١) هذا من علامات الساعة أيضًا وغربة الدين.

والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق كما في حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»(٢) وفي طريق من حديث عبد اللَّه بن مسعود: «**إلا على شرار الناس**»(٣) فعلى هذه الأصناف إذا فُقِد ذكر اللَّه في الأرض قامت الساعة؛ لأن اللَّه يبقي على هذه الدنيا مادام فيها وحيه ودينه قائمًا، فإذا ذهب الدين والوحي قامت الساعة ولا تقوم إلا على شرار الخلق.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تمسك اليوم بسنة رسول اللَّه ﷺ وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «**له أجر خمسين**» فقيل: خمسين منهم؟ قال: «**بل منكم**». وإنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته».

هذا الحديث(٤) في الجملة صحيح إلا قوله «بل منكم» أنا درسته دراسة خاصة والآن لا أستطيع أن أحددها لكم، لكن توصلت إلى أن «بل منكم» ضعيف.

نعم له «أجر خمسين» من أهل عصره ويمكن من قبل عصره، لكن من الصحابة فلا؛ الصحابة أفضل الناس ولا يلحقهم أحد في الفضل ولو عَبَد اللَّه طول حياته ما قابل حسنة من حسنات الصحابة: «**لا تسبُّوا أصحابي فوالذي**

---

(١) كما عند ابن حبان في صحيحه (٦٨٤٨) وأحمد في رواية من طريق حماد بن سلمة والحاكم من طريق حميد. وانظر الصحيحة (٧/ ٤١).

(٢) أخرجه مسلم [برقم (١٩٢٤)، كتاب الإمارة] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجها أحمد (١/ ٣٩٤) ومسلم [برقم (٢٩٤٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة].

(٤) أخرجه محمد بن نصر في السنة (ص١٥٨)، برقم (٢٤/ت الهلالي) والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٥٨-٢٥٩) «مجمع البحرين»، والكبير (١٧/ ١١١/ ٢٨٩)، ومسند الشاميين (١/ ٣٣/ ١٧) من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1] فللصحابة منزلة؛ منها أنهم صاحبوا رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، وجاهدوا معه ونصروه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، وذاقوا من ألوان الأذى ما لا يعلمه إلا اللَّه، فبلغوا منزلة عظيمة جدًّا بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ؛ هم أفضل الناس بعد الأنبياء، والذين يجاهدون في آخر الزمان لهم أجر جزيل؛ للواحد منهم أجر خمسين، لكن من جنسه وليس من الصحابة.

فهذا الذي يظهر لي -واللَّه أعلم-، وأرجو من الإخوة أن يراجعوا هذا الحديث لأنه في الجملة له طرق لكن كلمة «بل منكم» هذه قد توصلتُ إلى ضعفها.

ثم ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قصة فيها منقبة للرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ والرشيد هذا له ميزة عظيمة؛ كان يحج عامًا ويغزو عامًا رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان يصلي كل يوم مائة ركعة لا يتركها إلا لعذر، وكان كثير البكاء من خشية اللَّه، وكان محبًّا للعلماء وكان محبًّا للدين ومحبًّا لسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وغيورًا عليها، وأبو معاوية الضرير أحد علماء السنة ورُمِي مع ذلك بشيء من الإرجاء؛ وكان يحترم السنة ويحبها، وأهل السنة يحترمونه، وكان يجالس الرشيد فذكر عنده أبو معاوية هذا الحديث؛ حديث أبي هريرة: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند ربهما فحج آدم موسى؛ قال موسى: أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض! فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللَّه برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيًّا فبكم وجدت اللَّه كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا، قال آدم: فهل وجدت فيها «وعصى آدم ربه فغوى» قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملًا كتبه اللَّه علي أن أعمله قبل أن يخلقني

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٥٦).

بأربعين سنة، قال رسول اللَّه ﷺ: فحج آدم موسى»[(١)]، «فقال علي بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى؟!» القصة.

وفي رواية[(٢)]: ذكر الحديث وفي المجلس رجل من وجوه قريش وقيل[(٣)]: إنه عم الرشيد، فقال القرشي: أين لقي آدم موسى؟! قال: فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق واللَّهِ يطعن في حديث رسول اللَّه ﷺ قال: فما زال أبو معاوية يسكّنه ويقول: كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكّنه.

الشاهد: أنه غضب غضبًا شديدًا لسنة رسول اللَّه ﷺ وهمّ بقتل من ردّ هذا الحديث، ويرى أن هذا معارض لرسول اللَّه ﷺ مكذِّب له ﷺ.

أنا أول ما وقفت على هذه القصة بكيت -واللَّه الذي لا إله إلا هو- ونحن في شبابنا، من يغضب -الآن- لسنة رسول اللَّه ﷺ هذا الغضب؟!

اليوم أقرأ لكاتب يُقال له فلان حنفي -مصري- يقول: يجب أن نحذف من أسماء اللَّه: المتكبِّر والجبار والمهيمن وكذا؛ لأنها توحي بالدكتاتورية! قبحه اللَّه؛ هذا مكذِّب للقرآن ومستخف به وهو مجرم لا يستحق -واللَّه- إلا القتل.

اللَّه يغفر الذنوب جميعًا ﷻ؛ وهذا لكمال رحمته وعفوه، والجبروت والكبرياء والعظمة من أخص صفاته، وهذا مقتضى ملكه؛ يقول اللَّه ﷻ -كما في الحديث القدسي-: **«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»**[(٤)] أمر خاص باللَّه -تبارك وتعالى-، وهذا دليل على أنه هو

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٥).

(٢) أخرجها الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٧- ٨).

(٣) انظر: «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٢/ ١٨١).

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٣٧٦)، وأبو داود في سننه برقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه برقم (٤١٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٢ / ٤٨٦، برقم٥٦٧١-الإحسان)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لأبي داود وابن حبان، قال الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ٦٤): صحيح لغيره.

الملك المطلق والسيد المطلق والمهيمن المطلق .

فماذا سيُصنع بهذا الرجل -ياترى-؟! سيأتي أناس يدافعون عنه! وستجد له أنصارًا يدافعون عنه!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا ينبغي للمرء أن يعظِّم أخبار رسول اللَّه ﷺ» ينبغي علينا جميعا أن نعظِّم أخبار رسول اللَّه ﷺ وأن نغضب لها إذا انتهك شيء منها أو اعترض على شيء منها أو استخف بشيء منها ، ومن ذلك الإنكار على أهل البدع لمخالفتهم لسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- .

أهل البدع واقعون في مخالفات كثيرة للقرآن والسنة فلهذا يجب بغضهم للَّه -تبارك وتعالى- وغضبًا للَّه ونصرًا للَّه -تبارك وتعالى- .

الكفار والمنافقون والزنادقة وأهل البدع والضلال؛ هؤلاء مخالفون لدين اللَّه ﷻ كل بحسب ضلاله؛ يتفاوتون في الخلاف والعداوة ولكن في الجملة هم كلهم عندهم خلاف وعندهم ما يقتضي أن يُبغَضوا في اللَّه -تبارك وتعالى- .

قال: «ويُنكَر أشدَّ الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ مع من اعترض على الخبر الصحيح» .

هذا الكلام -عندي- فيه ركّة واللَّه أعلم، وعلى كل حال يريد أن يسلك مسلك الرشيد في الإنكار الذي أنكره على هذا الرجل الذي اعترض على حديث رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وقال: أين التقيا؟! مقتضاه أن هذا الخبر عنده كذب! كيف آدم مات في أول حياة البشرية وبينه وبين موسى عشرات القرون فأين التقيا؟!

اللَّه ﷻ هو الذي جمع بينهما ولا يعجزه شيء عن ذلك، وفي قصة الإسراء لقي الرسول ﷺ عددًا من الأنبياء: آدم في السماء الدنيا ثم عيسى ويحيى وموسى وإبراهيم وهارون -عليهم الصلاة والسلام- وجدهم في السموات، وصلى بهم

في بيت المقدس؛ هذه معجزة من المعجزات؛ فالله ﷻ جمع آدم وموسى كما أراد وحصل بينهما هذا الحجاج.

قال: «جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول ويتّبعون أحسنه، ويتمسَّكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنَّبنا الأهواء المضلَّة والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلا منه ومِنَّة».

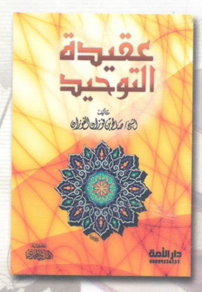
نقول: آمين.

ونسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ ومن الموالين لها والمعادين لمن خالفها وعاداها؛ إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ونسأل الله أن يثبتنا وإياكم على السنة والهدى.

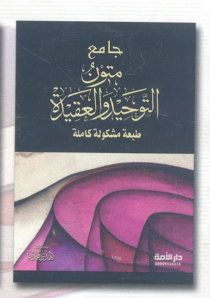
* * *

فهرس الموضوعات

* * *

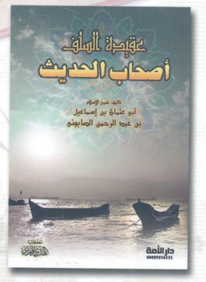

عقيدة التوحيد
تأليف
الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان
دار الأمة


دروس البلاغة
شرح الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
دار الأمة


جامع
متون التوحيد والعقيدة
طبعة مشكولة كاملة
دار الأمة




شرح
حصن المسلم
سعيد بن علي بن وهف القحطاني
دار الأمة


عقيدة السلف
أصحاب الحديث
تأليف شيخ الإسلام
أبي عثمان بن إسماعيل
بن عبد الرحمن الصابوني
دار الأمة